The Islamic University–Gaza

Research and Postgraduate Affairs

Faculty of Ossoul Ed-deen

Master of Interpretation and Quran Sciences

الجامعـــــــة الإســـلاميـة – غـزة

شئون البحث العلمي والدراسات العليا

كليـــة أصـــــــــول الديـــــــن

ماجستير/ قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والخمسين من القرآن الكريم

(الملك – القلم – الحاقة – المعارج – نوح)

The analytical study of the purposes and objectives of the party of The fifty seven of the Quran (Almolk – Alqalam – Alhagah – Almarej – Nouh)

إعداد الطالب

محمود حمد منون

إشراف

الأستاذ الدكتور

زكريا إبراهيم الزميلي

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي قسم التفسير وعلوم القرآن بِكُلِيةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

٢٠١٦/٧م – شوال/١٤٣٧هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والخمسين من القرآن الكريم

(الملك – القلم – الحاقة – المعارج – نوح)

The analytical study of the purposes and objectives of the party of The fifty seven of the Quran (Almolk – Alqalam – Alhagah – Almarej – Nouh)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى. وأن حقوق النشر محفوظة لجامعة الإسلامية غزة –فلسطين

Declaration

I hereby certify that this submission is the result of my own work, except where otherwise acknowledged, and that this thesis (or any part of it) has not been submitted for a higher degree or quantification to any other university or institution. All copyrights are reserves toIslamic University – Gaza strip paiestine

Student's name:	محمود حمد منون	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	2016/11/05	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

ج س غ/35/

الرقم Ref ..... 2016/08/20 م

التاريخ Date .....

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمود حمد محمد منون** لنيل درجة الماجستير في **كلية** *أصول الدين*/ **قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والخمسين من القرآن الكريم (الملك- القلم- الحاقة- المعارج- نوح)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 17 ذو القعدة 1437هـ، الموافق 2016/08/20 م الساعة العاشرة صباحاً بمبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي	مشرفاً و رئيساً	.....
د. محمود هاشم عنبر	مناقشاً داخلياً	.....
د. رمضان يوسف الصيفي	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية** *أصول الدين*/ **قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

الإهـــــداء

إلى معلم البشرية الذي أرسله الله رحمةً للعالمين محمد ﷺ وأصحابه الكرام

إلى روح والدي الحبيب صاحب الفضل بعد الله في وصولي إلى ما وصلت

إلى أمي حفظها الله

إلى جميع شهداء هذا الوطن الذي ضحوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله

إلى مشرفي الأستاذ الدكتور زكريا الزميلي حفظه الله ورفع قدره وشأنه في الدنيا والآخرة

إلى إخوتي الأعزاء على قلبي حفظهم الله ورعاهم

إلى زوجتي وأهلها من آل صالح

إلى عمي وابنه الفاضل حفظهم الله

إلى جميع الأقارب والمحبين وإلى المصلين في مسجد الرحمن الذي أصلي بهم إماماً

إلى المصلين في مسجد أبي الخير الذي تربيت فيه صغيراً بصحبة والدي الحبيب

إلى كل مسلم ومسلمة حريص وغيور على كتاب الله

وأهدي ثمرة هذا البحث المتواضع إلى روح والدي وأسأل الله أن يجعله في ميزان حسناته ويجزيه عنا خير الجزاء ويجمعنا به في الفردوس الأعلى

الباحث

محمود حمد محمد منون

شـكر وتقديـر

الحمد لله الذي هدانا لهذا، ونسأله أن يجعلنا من الشاكرين وانطلاقاً من قوله تعالى: **[وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ]** {لقمان:١٢}، وقوله ﷺ: **(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)** [١].

أتقدم بالشكر إلى والدي رحمه الله الذي علمني صغيراً، وترك لي ما أتعلم كبيراً، والشكر موصول إلى والدتي التي لا تترك الدعاء لي فهي دائمة الدعاء لي بالتوفيق.

والشكر العميق لأستاذي الدكتور زكريا الزميلي المشرف على هذه الرسالة وأشكره لسعة صدره وصبره معي في كل مرحلة من مراحل هذه الرسالة.

والشكر أيضاً للدكتور محمود هاشم عنبر مناقشاً داخلياً، والدكتور رمضان يوسف الصيفي مناقشاً خارجياً، وأشكرهم لقبولهم تحكيم هذا البحث.

والشكر موصول لجامعتي الرائدة، وأساتذتي الكرام الذين تلقينا منهم العلم بالشدة والحلم، الشدة بكثرة التقارير والأبحاث، والحلم علينا بأخلاقهم ومعاملتهم.

كما أتقدم بالشكر للأخ أ. عبد الله أبو موسى (أبو عامر) سكرتير الكلية على ما قام به من جهد في طباعة وتنسيق الرسالة.

والشكر الخاص لكليتي كلية أصول الدين عميداً وأكاديميين وإداريين، وكذلك عمادة الدراسات العليا.

والشكر لكل أصدقائي وأصحابي خاصة الأخ محمد العلي، وصاحباي في المرحلة الجامعية البكالوريوس والماجستير الأخ/ ظاهر ربحي قبها الأسير المحرر، والأخ أسامة السلطان، ويجمعنا أن كلاً من غاب عن التعليم قرابة عشرين سنة، ثم عاد بفضل الله ومشيئته إلى التعليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) سنن الترمذي، (٣٣٩/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع مع الصغير وزيادة، (٢-١١٢٢).

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْر مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْر
قَبْل أَنْ تَنْفَد كَلِمَات رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾

سورة الكهف، الآية 109

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، اللهم انفعنا بالقرآن وارفعنا به في الدنيا والآخرة و الصلاة و السلام على سيد المرسلين سيدنا محمد و آله وصحبه اجمعين

الحمد لله الذي شرفنا بدراسة القرآن والبحث في ظلاله، و ميادينه، فإن القرآن هو الدستور الخالد وهو يهدي للتي هي أقوم [**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**] {الإسراء:٩}.

أسأل الله العظيم أن نحصل على هذه البشرى والأجر الكبير نحن وآباؤنا وأمهاتنا أصحاب الفضل بعد الله علينا، ولا ننسى من الدعاء من علمنا ودرسنا وأوصلنا الى هذه المرحلة أما بعد.

فإن علم التفسير من أشرف العلوم لأنه متعلق بخير الحديث وأصدقه ألا وهو كلام الله ﷻ، ولا شك أن من حاز هذا العلم فقد حاز العلوم كلها.

فالقرآن كتاب هداية وإرشاد ودستور لأمور الحياة كلها إذا أمعنا النظر والفكر في آياته وعرفنا الأهداف والمقاصد من هذه الآيات لتكون لنا نورا وسط الظلام المطبق على الأمة ليكون القرآن داعياً الى الوحدة والتآلف.

لذا جاءت هذه الدراسة لمقاصد وأهداف الحزب السابع والخمسين لتلبي حاجاتنا المعاصرة من تعظيم الله ومحاورة الملحدين بالدليل العقلي والاطمئنان لما أعده الله للمؤمنين، ولنتعلم أساليب الدعوة إلى الله وعدم اليأس مهما كانت المعاناة، وأن العذاب واقع بالكافرين.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

١. خدمة كتاب الله ﷻ في البحث والتنقيب عن مقاصد السور وربطها بالموضوع الواحد.
٢. التدبر في آيات القرآن الكريم واستنباط أسراره وفوائده ومقاصده عملاً لقوله تعالى: [**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**] {محمد:٢٤}.
٣. النظرة التحليلية لسور هذا، الحزب، وإظهار ما فيه من هدايات وإرشادات معينة على فهم وحل مشكلات الواقع الأليم الذي نعيشه.
٤. المساهمة في مشروع التفسير وعلوم القران "بكلية اصول الدين" في هذه السلسلة التي امتدت من بداية القرآن العظيم والتي اشرفت على الانتهاء.

٥. العمل على ربط موضوعات السور بالواقع المعاصر وما تعالجه هذه السور من قضايا هامة تفيد المجتمع .

ثانياً: أهمية الموضوع:

١. تعلق الموضوع بأهم الكتب وأجلها وهو القرءان العظيم.
٢. معرفة بعض المقاصد والأهداف لهذه السور وخاصة التي تلامس الواقع بحلول مفيدة ، ليكون القرءآن واقعاً في حياتنا.
٣. الوقوف أمام القرآن بالعقل تفكراً، وبالقلب تدبراً، وبالجوارح تطبيقاً، لنتفاعل مع القرآن ونستنطقه، لاستنتاج واستلهام الحلول المناسبة لبعض المشاكل التي ألمت بالأمة.
٤. تقديم الحلول المناسبة التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم، وذلك لبيان وإبراز المقاصد والأهداف التي تحتويها الآيات القرآنية.
٥. معرفة مقاصد الآيات وأهدافها يرسخ الإيمان في النفس والعناية بالقرآن والإقبال عليه.
٦. بيان الإعجاز البلاغي من خلال الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد السور .

ثالثاً أهداف البحث:

١. ابتغاء الأجر والثواب وأن نبتغي به وجه الله ﷻ.
٢. ربط مقاصد الآيات وأهدافها بواقع المسلمين المعاصر ومحاولة وضع الحلول المناسبة.
٣. الأثراء العلمي و زيادة الخبرة من خلال دراسة تحليليه تشمل مقاصد وأهداف السور وإبرازها في رسالة علمية محكمة لتزداد الخبرة و يتسع الافق.
٤. بيان عظمة وإعجاز القرءان الكريم من خلال الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات.
٥. محاورة الملحدين بالحجج والبراهين العقلية، وعدم التأثر بهم وتقلبهم في البلاد.
٦. تحقيق الإيمان بوعد الله وما أعده للمؤمنين، وبث الأمل رغم الألم، وعدم اليأس، والتمسك بحبل الله المتين.
٧. التأكيد على وقوع العذاب على الكافرين، فهي نهاية حتمية لهم لا دافع لها عنهم.
٨. إبراز ما تناوله الحزب السابع والخمسون (الملك – القلم – الحاقة – المعارج – نوح) من مقاصد متنوعة تهدف إلى تعميق التربية الإيمانية، والتوجيهات التشريعية في حياة المسلمين.

رابعاً: منهجية البحث:

١. اعتماد المنهج التحليلي الموضوعي الاستنباطي بما فيه من أدوات متعددة، تخدم هذا المنهج من علوم قرآن، وعلوم اللغة، وإعجاز ، وقرءات.
٢. تقسيم الآيات في كل سورة إلى مباحث، وتحت كل مبحث مجموعة من الآيات المناسبة له والمتناسقة في الموضوع.
٣. أن نضع عيناً على الآيات وعيناً على الواقع حتى يستمر الربط بين هدايات وإرشادات الآيات والواقع.
٤. عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك في متن الدراسة.
٥. كتابة الآيات بالرسم العثماني كما هي في المصحف الشريف.
٦. تخريج الأحاديث المستشهد بها، وعزوها إلى مصادرها الرئيسية حسب أصول التخريج، ونقل أقوال العلماء على الحديث إن وجد عدا أحاديث الصحيحين.
٧. عزو الاقتباسات النصية لأصحابها، وتوثيقها حسب الأصول المتبعة في الحاشية، وعند تلخيص المقتبس وعرضه بصورة غير الأصل نكتفي بقول "انظر أو يُنظر" ونذكر المراجع التي تم الاستفادة منها في هذه القطعة.
٨. الترجمة للأعلام غير المشهورين.
٩. الاكتفاء في الحاشية بذكر اسم الكتاب ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة، وقد ذكرت مواصفات الكتاب كاملة في قائمة المصادر والمراجع.
١٠. عند إحالة القارئ إلى جزئية، أو فكرة، أو حديث سبق ذكره في البحث أقول سبق الإشارة إليه وأذكر رقم الصفحة.
١١. عمل فهارس للوصول إلى أي موضوع بيسر وسهولة.

خامساً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية وبعد سؤال الأخوة المختصين لم أعثر على أي رسالة علمية سواء كانت رسالة ماجستير أو دكتوراه قد تناولت هذا الموضوع ، كما أني سأكون ضمن السلسلة التي أقرها قسم التفسير وعلوم القرءان من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية والتي تناولت الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة لآيات القرءان الكريم.

وكان نصيبي من هذه السلسلة دراسة لمقاصد وأهداف الحزب السابع والخمسين.

سادساً خطة البحث:

تحقيقا لأهداف البحث سابقة الذكر وضعت هذه الخطة التي تتكون من مقدمة، تمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة ومجموعة فهارس وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: المقدمة وتشمل:

١. أسباب اختيار الموضوع .
٢. أهمية الموضوع.
٣. أهداف البحث.
٤. منهج البحث.
٥. الدراسات السابقة.
٦. خطة البحث.

الفصل التمهيدي

مدخل لمقاصد وأهداف السور القرآنية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الدراسة التحليلية ومتطلباتها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية.

المبحث الثاني: مفهوم المقاصد والأهداف وأهميتها.

ويشتمل على:

١. مقاصد السور والآيات.
٢. الفرق بين المقاصد والأهداف.
٣. أهمية معرفة المقاصد والأهداف.
٤. طرق معرفة المقاصد والأهداف.
٥. أهم المصنفات في مقاصد السور والآيات وأهدافها.

الفصل الأول

تعريف عام بسورة(الملك) وبيان المقاصد والأهداف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الملك.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول :اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.

المطلب الثاني : زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه .

المطلب الثالث : فضائل السورة ومحورها الرئيسي ،

المطلب الرابع : مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها .

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف السورة:

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: مظاهر القدرة والعلم.

المطلب الثاني: بعض مظاهر نعمة الله وقدرته وعلمه مع تهديد الكفار.

المطلب الثالث :إثبات للبعث وتهديد وبيان لبعض النعم.

الفصل الثاني

تعريف عام بسورة (القلم) وبيان المقاصد والأهداف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف عام لسورة القلم.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول :اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.

المطلب الثاني : زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه .

المطلب الثالث : فضائل السورة ومحورها الرئيسي ،

المطلب الرابع : مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها .

المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: محمد رسول الله أكرم الخلق على الله.

المطلب الثاني: قصة أصحاب الجنة والعبرة منها.

المطلب الثالث: مناقشة المكذبين وتهديدهم.

المطلب الرابع: الدعوة الى الصبر ختام السورة.

الفصل الثالث

تعريف عام بسورة (الحاقة) وبيان المقاصد والأهداف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الحاقة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.

المطلب الثاني :زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه.

المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيسي.
المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.
المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: جزاء من كذب بالساعة.
المطلب الثاني: يوم الحساب وما فيه من مواقف للأبرار والفجار.
المطلب الثالث: القرآن وصدق النبي في تبليغه عن ربه.
الفصل الرابع
تعريف عام بسورة (المعارج) وبيان المقاصد والأهداف
وفيه مبحثان:
المبحث الأول: تعريف عام بسورة المعارج.
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.
المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه.
المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيسي.
المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.
المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول : تهديد المشركين بالعذاب الواقع عليهم.
المطلب الثاني: طبيعة الإنسان وعلاج القرآن لها.
المطلب الثالث : المكذبون و سوء خاتمتهم.
الفصل الخامس
تعريف عام بسورة (نوح) وبيان المقاصد والأهداف
وفيه مبحثان:
المبحث الأول: تعريف عام بسورة نوح.
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول :اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.
المطلب الثاني : زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه .

المطلب الثالث : فضائل السورة ومحورها الرئيسي ،

المطلب الرابع : مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها .

المبحث الثاني: بيان مقاصد السورة وأهدافها.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى التوحيد رسالة الأنبياء جميعاً (الآيات ١-٤).

المطلب الثاني: أساليب الدعوة إلى الله وكيف استقبل قوم نوح دعوة رسولهم إلى التوحيد (الآيات ٥-٩).

المطلب الثالث: وعد المطيعين بسعة الأرزاق وإكثار النسل ونعيم الجنة (الآيات١٠-١٤).

المطلب الرابع: الدليل العقلي على نعم الله وقدرته على البعث بعد الموت (الآيات١٥-٢٠).

المطلب الخامس : مكر قوم نوح برسولهم(الآيات ٢١-٢٤) .

المطلب السادس : دعوة نوح على قومه بالاستئصال والغرق (الآيات ٢٥-٢٧).

المطلب السابع: الدعوة بالمغفرة للوالدين والمؤمنين والدعاء على الظالمين بالهلاك (الآية٢٨).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج و التوصيات.

الفهارس

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

رابعاً: فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي

مدخل لمقاصد وأهداف السور القرآنية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الدراسة التحليلية ومتطلباتها.

المبحث الثاني: مفهوم المقاصد والأهداف وأهميتها.

المبحث الأول

مفهوم الدراسة التحليلية ومتطلباتها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية.

المطلب الأول: مفهوم الدراسة التحليلية:

إن مصطلح الدراسة التحليلية مكون من كلمتين هما: الدراسة، والتحليلية.

أولاً: الدراسة: مصدر الفعل "دَرَسَ" الدال والراء والسين أصل واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء، فالدرس: الطريق الخفي: ودرست الحنطَة وغيرها في سنبلها إذا درستها، فهذا محمول على أنها جُعلت تحت الأقدام، كالطريق الذي يُدرس ويُمشى فيه، ومن الباب درست القرآن وغيره، وذلك أن الدارس يتتبع ما كان قرأ، كالسالك للطريق يتتبعه [١].

ودرس القرآن ونحوه من باب نَصَرَ وكَتَبَ وقيل "ادريس" ﷺ لكثرة دراسته كتاب الله تعالى ويقال دارس الكتب وتدارسها [٢]، الدرس: درس الشيء معناه بقي أثره، ومنه درس الكتاب، ودرست العلم أي تناولت أثره بالحفظ [٣].

ثانياً: التحليلية: حلل: "حلَّ" وأصل الحل حل العقدة[٤]، وتحليل الجملة بيان أجزائها ووظيفة كل منها وتقسيم الكل إلى أجزائه، ويقال: حل المشكلة ونحوها، والجامد أذابه والكلام المنظوم نثره[٥].

(حلّ) الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل وأصلها كلها عندي فتح الشيء لا يشذ عنه شيء، يقال: حللت العقدة أحلها حلاً، وحل الشيء فكه وحل أوصاله، وحل المشكلة وعقدة الخلاف، والمسألة الحسابية، والأسير، واللغز، وحل الأمر بمعنى أوضحه وكشف عنه[٦] ، ويقول العرب: "يا عاقد اذكر حلاً" [٧].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس ، (٢٦٧/٢).

(٢) مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين الحنفي الرازي ، (١٠٣/١).

(٣) بصائر ذوي التميز، للفيروز أبادي، (٥٩٤/٢).

(٤) المصدر السابق، (٤٩٣/٢).

(٥) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيت وآخرون، (١٩٤/١).

(٦) معجم مقاييس اللغة المعاصرة، د. مختار أحمد عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، (٥٤٧/١).

(٧) معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس ، (٢٠/٢).

الدراسة التحليلية:

بالنظر إلى معنى الكلمتين في المعاجم نستطيع أن نخرج بتعريف لهذا المصطلح وهو: تحليل الآية بصورة موسعة ومفصلة وذِكر ما يتعلق بها من موضوعات ومباحث ومسائل سواء في الفقه أو العقيدة أو اللغة أو البلاغة وتقديم ثقافة موسوعية شاملة حول الآية [١].

أو الكشف عن معاني آيات القرآن الكريم عن طريق تقسيم الآيات، وإمعان النظر فيما تحتويه من أسباب النزول، وبلاغه، ومعاني، واستنباطات فقهية، وقراءات، وغير ذلك من الأدوات التي تساعد فهم الآية والوصول إلى مقصودها [٢].

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية:

الدراسة التحليلية للآيات هي من أشرف العلوم وأرفعها فهي تدرس الآيات القرآنية وتوضحها وتبين مقاصدها وأهدافها فهي الترجمة عن الله فلهذا لابد من توفر الشروط اللازمة لذلك فهناك متطلبات لابد أن تتوافر لمن أراد الخوض في هذا المجال.

يقول الإمام الزرقاني رحمه الله العلوم التي يحتاجها المفسر كثيرة [٣].

وأوصلها السيوطي في إتقانه إلى خمسة عشر علماً:

١- **اللغة:** ولا تكفي المعرفة السطحية بل عليه أن يكون عالماً بأسرار اللغة وشرح مفردات الألفاظ ومدلولها بحسب الوضع، يقول الإمام مالك رحمه الله: ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر [٤].

٢- **النحو:** فالمعنى قد يختلف باختلاف الإعراب.

٣- **التصريف:** لأنه به تعرف الأبنية والصيغ، ذكر الزمخشري في كشافه أن من بدع التفاسير قول من قال: أن الإمام في قوله تعالى: [**يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**] {الإسراء:٧١}، جمع

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، تأليف د. صلاح عبد الفتاح الخالدي،(ص٢٧)

(٢) انظر: رسالة ماجستير: دراسة تحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع والثلاثين، سورة الحج، ص١٤، للباحث: غسان تيسير قويدر، تحت إشراف أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي.

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني،(٢-٤٦).

(٤) انظر:المرجع السابق(٢-٤٦).

"أم" وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسماء أمهاتهم دون آبائهم، قال: وهذا غلط فإن أم لا يُجمع على إمام [١].

٤- **الاشتقاق:** إذا كان للاسم مادتين مختلفتين، اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح! [٢].

٥- **المعاني:** يُعرف بها خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى.

٦- **البيان:** يُعرف بها خواص وضوح الدلالة وخفائها.

٧- **البديع:** يعرف بها وجوه تحسين الكلام، وهذه الثلاثة الأخيرة يقول عنها الإمام السيوطي [٣] رحمه الله في إتقانه هي من أعظم أركان المفسر وهي علوم البلاغة التي يدرك بها الإعجاز القرآني.

٨- **علم القراءات:** لأنه بالقراءات يترجح بعض الوجوه على بعض.

٩- **أصول الدين.**

١٠- **أصول الفقه** حتى تتمكن من الوصول إلى الأحكام الفقهية وكيفية استنباطها.

١١- **الاهتمام بعلوم القرآن من أسباب نزول وناسخ ومنسوخ ومكي ومدني وغيرها من مباحث علوم القرآن.**

١٢- **الفقه.**

١٣- **الأحكام المبينة لتفسير المجمل والمبين.**

١٤- **علم الموهبة:** علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم [٤].

١٥- ولا بد أن تكون هذه العلوم مصاحبة لصحة الاعتقاد على طريق السلف الصالح، لأنه من كان عنده زيغٌ في العقيدة سيوظف هذه العلوم لصالح بدعته وهواه وصالح مذهبه مهما يكن مذهبه فاسداً فالشيعي سيُلوي أعناق النصوص لتوافق مذهبه وكذلك المعتزلي وغيرهم، وكلٌ سيوجه هذه العلوم حسب أهوائه ومذهبه.

---

(١) تفسير الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثالثة، (٦٨٢/٢).

(٢) الإتقان، (٤٦٥/٤).

(٣) الإتقان، (٤٦٥/٤).

(٤) الإشارة بحديث "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم" هذا الحديث أورده أبو نعيم في الحلية وضعفه، وذكره الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره والظاهر أنه ضعيف.

فالالتزام بعقيدة السلف وأداء الفرائض، والاجتهاد في السنن والتجرد عن الهوى، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والتمسك بالتقوى والتزود به يجب أن يكون موازياً لهذه العلوم، في كل صغيرة وكبيرة أثناء الدارسة وحتى نهايتها [١].

ولا ينسى الدارس للمقاصد والأهداف أن يتمسك بحسن الخلق والتواضع ولين الجانب والعمل بما يعمل وأن يقول الحق ولو على نفسه، كل هذه الصفات مجتمعة تجعل العمل متكاملاً ومؤثراً ومقبولاً لدى الآخرين.

فهذه العلوم الخمسة عشر هي كالآلة للمفسر ولا يسمى مفسراً إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع تحقيقها يكون مفسراً بالرأي الغير منهيٌ عنه[٢].

١٦- وأختم بشرط ذكره الفيروز أبادي[٣] في بصائره وهو الشرط التاسع من شروط التعلم والتعليم وهو: ألا يعتقد في علم أنه حصل منه على مقدار لا تمكن الزيادة عليه، فذلك جهل يوجب الحرمان نعوذ بالله منه.

---

(١) انظر: مناهل العرفان، (٤٧/٢)، مباحث في علوم القرآن للقطان، (٣٤٠/١).

(٢) انظر: الاتقان للسيوطي، الجزء الرابع، ص٤٦٦، وانظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، وانظر: مناهل العرفان، للزرقاني، الجزء الثاني، ص٤٦ وما بعدها.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ص٥٢، المؤلف: مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، المتوفى ٨١٧هـ، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي-القاهرة.

المبحث الثاني

مفهوم المقاصد والأهداف وأهميتها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مقاصد وأهداف السور والآيات.

المطلب الثاني: الفرق بين المقاصد والأهداف.

المطلب الثالث: أهمية معرفة المقاصد والأهداف.

المطلب الرابع: طرق معرفة المقاصد والأهداف.

المطلب الأول: مقاصد وأهداف السور والآيات:

المقصد لغةً: القاف والصاد والدال، أصول ثلاثة يدل أحدها على إتيان الشيء وأمِّه، والآخر على اكتناز في الشيء، فالأصل قصدته قصداً ومقصداً، ومن الباب أقصده السهم إذا أصابه فقتل مكانه، وكان قيل ذلك لأنه لم يحد عنه، قال الأعشى:

فأقصدها سهمي وقد كان قبلها لأمثالها من نسوه الحر قانصاً [1]

وكأن الذي يريد دراسة المقاصد لا يحيد عنها حتى يأتيها ويشتغل في دراستها حتى يحقق ما أراد، ويصل إلى هدفه المنشود الذي يريد تحقيقه من هذه الدراسة.

ويقول الفيروز أبادي: القصد إتيان الشيء، تقول: قصدته، وقصدت له، وقصدت إليه بمعنى واحد، وقصدت قصده نحوت نحوه، وقوله [**وَسَفَرًا قَاصِدًا**] {التوبة:٤٢} أي غير شاق ولا متناهي البعد، وقوله ﷻ [**وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**] {النحل:٩} أي تبيين الصراط المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبينات الواضحات [2].

الرأي الراجح:

ويرى الباحث بعد النظر في التعريفين السابقين لابن فارس والفيروزآبادي أن المقصد هو التوجه نحو الهدف لكشفه وتوضيحه بالبراهين حتى نصل إلى الهدف الذي رسمناه وأردناه.

فالمقصد من الدراسة للآيات والسور هو الوصول إلى الهدف المنشود وهو الفهم الصحيح السليم للنص القرآني، وأن نعمل بهذا الفهم لتغيير الواقع إلى الأفضل؛ لأن الفهم والعلم إن لم يتبعه تطبيق فما فائدته؟!

فالمقصد هو العلم والعمل متلازمين لا يكفي أحدهما، إذ كيف نعمل بدون علم!؟

فالقرآن كتاب هداية وإرشاد ودستور ونور.

يقول تعالى: [**مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**] {الأنعام:٣٨} .

ويقول تعالى: [**الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**] {البقرة:١-٢} .

إن الأمة الإسلامية تعيش في ظلام وحيرة وتفرق، فما أحوجنا إلى هدايات القرآن وإرشاداته لنكون من الذين قال الله ﷻ فيهم [**اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**] {البقرة:٢٥٧} .

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٩٥/٥).

(٢) بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، (٢٧١/٤).

الهدف: عند ابن منظور كل شيء عظيم مرتفع، أو الشرف من الأرض وإليه يلجأ، وكل بناء مرتفع مشرف هدف، وكل شيء مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل هدف وأهدف على التل أي أشرف[١].

وبالنظر إلى التعريف اللغوي يرى الباحث أن الهدف في معظم تعاريفه شيء يدل على العلو والارتفاع، وهذا يحتاج إلى جهد وهمة عالية للصعود والوصول إليه.

فالهدف: هو النقطة التي نريد أن نصل إليها ونبذل كل جهد حتى نحقق ونصل إلى هذا المكان المرتفع.

فالأهداف في الغايات والرغبات التي نسعى لتحقيقها، والوصول إليها، سواء كانت هذه الأهداف عاجلة أم آجلة [٢].

المطلب الثاني: الفرق بين المقاصد والأهداف:

من خلال تعريفات المقاصد والأهداف يتضح بعض الفروق منها:

أن الأهداف تتميز عن المقاصد على النحو التالي [٣]:

١- الأهداف قد تتحقق وقد لا تتحقق، وقد ينقسم الهدف الواحد لعدة أهداف.

٢- الأهداف العامة والخاصة لا بد من ربطها بالواقع قدر الإمكان.

٣- الأهداف الكبرى العامة تهتم في ترسيخ القيم والتراث والآمال.

٤- الأهداف هي نقطة البداية لأي عمل وتكون قبل وضع الخطط لهذا العمل.

أما المقاصد فهي تتميز بالتالي:

١- أن المقاصد توصلنا إلى الأهداف فمن المقاصد العامة: حفظ النظام وجلب المصالح، ودرء المفاسد، وإقامة المساواة بين الناس، وجعل الشريعة مهابة مطاعة نافذة، وجعل الأمة

---

(١) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، حرف الفاء، فصل الهاء.

(٢) انظر: الأهداف السلوكية، د. مهدي محمود سالم، ص١٤ وما بعدها.

(٣) انظر: رسالة ماجستير دراسة تحليلية لمقاصد وأهداف الحزب العاشر من القرآن الكريم سورة النساء (٨٨-١٤٧)، للباحث موسى أحمد عيسى شعيبات، المشرف: أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي.

قويـة مرهوبـة الجانـب، مطمئنـة البـال[1]، قال ﷺ: **(يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الاكلة على قصعتها)**، قال: قلنا يا رسول الله: أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: **(أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن)** قال: قلنا وما الوهـن؟ قال: **(حب الحياة وكراهيــة الموت)**[2].

٢- تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة في العاجل والآجل، ودرء المفاسد ودفع المضار، والمقصود الأساس من وراء أي عمل [3].

٣- المقاصد هي الحكمة المقصودة والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فالأعمال شُرعت للوصول إلى المقاصد [4].

٤- المقاصد هي الحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها.

٥- المقاصد العليا تمثل القيم التي من أجلها خُلق الإنسان واستخلف على الأرض [**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**] {الذاريات:٥٦} ، [**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**] {البقرة:٢١} ، فغذا عرف الإنسان مقصده وصل إلى هدفه، فالمقصد من خلقنا هو عبادة الله، والمقصد من العبادة أن نصل إلى التقوى، فالتقوى هدف يجب أن نصل إليه من خلال العبادة، والعبادة هدف ينبغي علينا أن نقوم بها على أحسن وجه من خلال وجودنا في هذه الدنيا.

المطلب الثالث: أهمية معرفة المقاصد والأهداف:

لكل شيء هدف من وجوده ولا يكون هذا الشيء ذات أهمية إلا إذا تحقق الهدف منه.

١- **التدبر لآيات القرآن:** فالقرآن قد يقرأه اثنان واحدٌ يتدبر الآيات ويفهم المقصد والهدف منها والآخر فقط يقرأ ليقلب الصفحات، ولا أحد ينكر أن الاثنين لهما الأجر والثواب من الله كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ: **(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر**

---

(١) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المؤلف أحمد الريسوني، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٢) مسند الإمام أحمد، من حديث ثوبان (٨٢/٣٧)، وإسناده حسن، مسند الروياني (٤٢٧/١)، وأخرجه أبو داود بألفاظ متقاربة، بدل حب الحياة، حب الدنيا.

(٣) انظر: رسالة ماجستير دراسة تحليلية لمقاصد وأهداف الجزء الثاني والعشرين من سورة يونس (٢٦-١٠٩)، ص٢٧، للباحثة ريهام بسام النعسان، المشرف: أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي.

(٤) انظر: المصدر السابق، (١٠٩/٢٦).

أمثالها، لا أقول الم حرفٌ، ولكن ألف حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرف) [1]، ولكن فرق كبير بين الذي يتدبر القرآن والذي لا يتدبره، يقول تعالى: [**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**] {محمد:٢٤} ، وقوله تعالى: [**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**] {ص:٢٩} ، وقوله تعالى: [**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**] {إبراهيم:١} ، فالأهداف من القرآن كثيرة ولا نستطيع حصرها لكن ينبغي علينا أن نحصل منها قدر استطاعتنا، حتى لا نكون من الذين على قلوبٍ أقفالها.

٢- كذلك معرفة المقاصد والأهداف تجعلنا نتذوق الآيات ونظمها المحكم ومعانيها المتعددة، لنرى القرآن كالبناء المتكامل والعقد المتناسق الحبات، فتصل بذلك إلى فهم بلاغة القرآن التي أعجزت أصحاب البلاغة والبيان أن يأتوا بسورة من مثله.

٣- ونزداد فهماً للآيات إذا فهمنا مقاصدها وأهدافها لأن الآيات لها دلالات وهدايات كثيرة لا نصل إليها إلا بالتبحر والغوص في المعاني.

٤- بمعرفة مقصد السورة نتعرف على المناسبات بين آياتها فتكون لحمة واحدة مترابطة المعاني، وتساعدنا على ربط المعاني بهذا الواقع، لأن الفهم والتدبر يقوي الهمة والعزيمة على التطبيق، ويدفع الإنسان الى التفاعل مع الآيات.

٥- ويظهر لنا خفايا وأسرار الآيات من خلال التعمق في البحث عن المقاصد والأهداف [2].

٦- يساعد معرفة المقاصد والأهداف في الدعوة إلى الله لأن الدعوة تحتاج أولاً إلى فهم صحيح يعقب هذا الفهم العمل والتطبيق ثم ننطلق إلى الدعوة الصحيحة، التي يكون لها تأثير على نفوس وقلوب السامعين.

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله، يرويه ابن مسعود ﷺ الترمذي (هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه)، (١٧٥/٥)، المستدرك على الصحيحين للحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، (٧٤١/١)، وحكم عليه الألباني بالصحة في صحيح الجمع الصغير (٢٥٧/١).

(٢) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ويسمى: المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر، مكتبة المعارف الرياض (١٠٤/١) وما بعدها.

المطلب الرابع: طرق معرفة المقاصد والأهداف:

أولاً: الإخلاص لله:

من أهم الطرق لمعرفة المقاصد والأهداف هي الإخلاص والتوجه إلى الله بصدق والتزود بالتقوى لأنه طريق العلم، وهذا أمر يختلف من إنسان إلى آخر حسب ما يفتح الله على هذا وذاك، والأمر كذلك اجتهادي يعتمد على الفهم الدقيق والغوص في المعاني والتبحر في المطالعة على كتب التفسير المتعددة، والمختلفة في الاتجاهات فهذا مفسر يهتم بالبلاغة وذاك بالنحو وآخر بالأحكام، وهناك من يهتم بالمناسبات والربط بين الآيات بعضها ببعض، والسور بعضها ببعض.

ثانياً: فهم الجو العام للسورة:

ولا ننسى أن الفهم للجو الذي نزلت فيه السورة ومناسبة نزولها إن كان لها سبب، والفترة التي نزلت فيها يعين كثيراً على معرفة المقصد منها وكذلك هدفها، فعلم المناسبات علم شريف يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء [١].

ثالثاً: معرفة المكي والمدني:

وكذلك معرفة المكي والمدني يعين في فهم المقاصد والأهداف فمعرفته هو في آن واحد ترتيب زماني وتحديد مكاني وتعيين شخصي وتبويب موضوعي [٢].

رابعاً: تتبع النصوص الشرعية:

ونستطيع أن نعرف المقاصد من خلال تتبع نصوص الشريعة وأحكامها ومعرفة عللها، فإذا استقرينا عللاً كثيرة متماثلة لحكمة معينه، أمكن أن نستخلص منها حكمة واحدة فنجزم بأنها مقصد الشارع [٣].

خامساً: الرجوع لبعض كتب التفسير:

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٧٥ وما بعدها.

(٢) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص١٦٧.

(٣) انظر: رسالة ماجستير لدراسة مقاصد وأهداف الجزء الثاني والعشرين، ص٣٠ وما بعدها، للباحثة ريهان بسام النعسان، المشرف: أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي.

ومن الطرق للوصول إلى المقاصد والأهداف الرجوع إلى كتب التفاسير التي عُنيت بمقاصد السور والتي من أهمها:

١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وكتاب مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور كلاهما للبقاعي الذي يعد عمدة في علم المقاصد، فهو الذي أرسى قواعده، وألف فيه بصورة مستقلة.

٢- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز-للفيروز أبادي.

٣- في ظلال القران لسيد قطب.

٤- التحرير والتنوير- للطاهر بن عاشور.

٥- التفسير الوسيط – سيد طنطاوي.

٦- التفسير المنير- د. وهبة الزحيلي.

٧- في رحاب التفسير – عبد الحميد كشك.

ويلي هذه الكتب في هذا العلم أعني علم المقاصد:

١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-للزمخشري.

٢- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي.

٣- الموافقات للإمام- الشاطبي.

٤- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب.

ومن المفسرين الذين أشاروا لعلم المقاصد لكن دون تصريح هم المتقدمون من المفسرين مثل:

١- جامع البيان في تأويل القرآن- للطبري.

٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- لابن عطية.

٣- تفسير القرآن العظيم- ابن كثير.

٤- الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي.

الفصل الأول

تعريف عام بسورة (الملك)

وبيان المقاصد والأهداف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الملك.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف السورة.

المبحث الأول

تعريف عام بسورة الملك

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.

المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو التي نزلت فيه.

المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المبحث الأول

تعريف عام بسورة الملك

مقدمة:

جزء تبارك كله من السور المكية، والجزء الذي سبقه كله من السور المدنية ومعروف أن لكل من المكي والمدني طابعاً مميزاً وضوابط يعرف من خلالها المكي من المدني.

والقرآن المكي يعالج – في الغالب – إنشاء العقيدة في الله وفي الوحي واليوم الآخر، وإنشاء التصور المنبثق من هذه العقيدة لهذا الوجود وعلاقته بخالقه، والتعريف بالخالق وقدرته تعريفاً يجعل الشعور به حياً في القلب، فالقرآن المكي يبني أسس ينبغي أن يسير عليها الإنسان في علاقته مع الله [١].

أما القرآن المدني فهو يعالج –في الغالب– أمور الدولة والأحكام وتطبيق العقيدة التي بُنيت قواعدها في القرآن المكي كما يعالج الأمور الحياتية اليومية وما فيها من معاملات وبيع وشراء وخصومات وأمور كثيرة أخرى [٢].

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها:

وتسمى الواقية والمنجية [٣]، لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر، نزلت بعد الطور وهي ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاث عشرة كلمة، وألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفاً [٤]، وهي مكية بإجماع كما يذكر ابن عطية [٥].

ويذكر صاحب محاسن التأويل أنها سميت الملك لاشتمالها على كثير مما ينبغي أن يكون عليه الملك من كثرة الخيرات، وعموم القدرة، والإحياء والإماتة، واختيار أعمال الناس، والغلبة والغفراء، ورفع الأبنية لخدامه وعدم التفاوت في رعاياه، وتزيين بلاده، والقهر على الأعداء، والترحم

على الأولياء، وأن لا يقدر أحد على نصر من عاداه، ولا على رزق من منعه [١].

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٦/ص٣٦٢٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق.(٦/٣٦٢٩)

(٣) ينظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (٣/٤٧٣).

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،(٤/ ٥٧٤)

(٥) ينظر: تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٥/٣٣٧)، وتفسير القرطبي، (١٨/٢٠٥).

وذكر الطاهر ابن عاشور في تفسيره أن النبي ﷺ سماها "سورة تبارك الذي بيده الملك" في حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي "سورة تبارك الذي بيده الملك" [٢].

ويذكر الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره أنها سميت سورة الملك لافتتاحها بتقديس وتعظيم الله نفسه الذي بيده الملك، وله وحده مطلق السلطان والتصرف في الأكوان كيفما يشاء فيعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت، ويغني ويفقر، ويعطي ويمنع [٣].

ويذكر محمد الطاهر ابن عاشور أنها تسمى "تبارك الملك" بمجموع الكلمتين في عهد النبيﷺ، ففي الحديث الذي يرويه ابن عباس: "إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قال له: ضربت خبائي[٤] على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان (أي دفين فيه) يقرأ سورة "تبارك الملك" حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ: **(هي المنجية تنجيه من عذاب القبر)** [٥].

والشائع في كتب السنن وكتب التفسير وأكثر المصاحف تسميتها بسورة "الملك" وكذلك ترجمها الترمذي، باب ما جاء في فضل سورة "الملك"، وكذلك عنونها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه [٦].

فسورة الملك ترتيبها في المصحف سبع وستون ونزلت بعد سورة الطور ولها أسماء غير اسمها التوقيفي، من هذه الأسماء تبارك، والواقية، المنجية، والمجادلة "وتبارك الملك" والمانعة وآيها في عد أهل الحجاز إحدى وثلاثون وفي غيرهم ثلاثون [٧].

وذكر الإمام عبد الحميد كشك رحمه الله في تفسيره أن من أسمائها الشافعة لأنها تشفع لقارئها يوم القيامة، والدافعة لأنها تدفع بلاء الدنيا وعذاب الآخرة عن قارئها، والمخلصة لأنها تخاصم زبانية جهنم [٨].

---

(١) ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، (٢٨٤/٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٨/٢٩)، وقال الترمذي هذا حديث حسن سنن الترمذي (١٤/٥).

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (٥/٢٩).

(٤) الخباء: واحد والجمع أخبية، من وبر أو صوف، وهو على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك من الأعمدة فهو بيت. مختار الصحاح (٨٨/١).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٩/٢٩)، والحديث عن الترمذي حديث حسن غريب(١٤/٥) .

(٦) صحيح البخاري (١٥٨/٦).

(٧)ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (٥٧٧/٣٠)، روح المعاني، للألوسي، (٤/١٥) التحرير والتنوير، (١٠/٢٩).

(٨) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، (٧٢٩٧/٢٩).

المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه:

أولاً: زمان نزول السورة:

سورة الملك نزلت في أواخر العهد المكي فقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله في إتقانه أنه نزل بعدها تسع سور في مكة وهي الحاقة، والمعارج، وعمّ يتساءلون، النازعات، الانفطار، الانشقاق، الروم، العنكبوت، والمطففين.

ونزل قبلها في مكة أكثر من خمس سبعين سورة مكية، كما ذكر السيوطي أنها نزلت بعد المؤمنين [١]، وقبل سورة الحاقة، وليس كما ذكر الزمخشري أنها نزلت بعد الطور، لكننا نرجح قول الإمام الزمخشري لأن السيوطي في إتقانه أيضاً ينقل أنها نزلت بعد الطور [٢]، كما أخرج البيهقي في الدلائل بسنده أنها نزلت بعد الطور، وقبل الحاقة [٣].

ثانياً: مكان نزول السورة:

أما مكان نزولها فقد ذكر القرطبي أنها مكية من قول الجميع وأخرج ابن الضُّرَيس[٤] والبخاري والنحاس [٥] وابن مردويه [٦] والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت بمكة سورة تبارك الملك[٧].

ثالثاً: الجو الذي نزلت فيه السورة:

الجو الذي نزلت فيه السورة هو عناد المشركين وإظهار عداوتهم والكيد للنبي ﷺ ومن آمن، وتدبير المؤامرات ضدهم، والتضييق عليهم بكل ما أوتوا من قوة، وكأن لسان حال المشركين يقول

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، الجزء الأول، ص١٠٠.

(٢) المرجع السابق، الجزء الأول، ص٥١.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي، المجلد السابع، باب ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة، (١٤٣/٧).

(٤) ابن الضُّريس أبو عبد الله محمد بن أيوب الرازي، الحافظ، المحدث، الثقة، المصنف، صاحب كتاب فضائل القرآن، ولد عام ٢٠٠هـ تقريباً، ما يوم عاشوراء بالري (٢٩٤هـ)، سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٤٥٠/١٣).

(٥) عيسى بن محمد بن إسحاق أبو عمير ابن النحاس الرملي، من كبار الآخذين عن تبع الأتباع، توفي ٢٥٦هـ، وقيل بعدها روى له النسائي وأبو داود وابن ماجه، رتبته عن ابن حجر ثقة وعن الذهبي حائط.

(٦) ابن مردويه (٣٢٣-٤١٠هـ) (٩٣٥-١٠١٩م)، أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر ويقال له ابن ابن مردويه الكبير حافظ مؤرخ مفسر من أهل أصبهان له كتاب في (تفسير القرآن) و(مسند) و(مستخرج) في الحديث.

(٧) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية، (٣٣٧/٥)،الدر المنثور، للسيوطي(٢٣٠/٩) فتح القدير للشوكاني، (٣٠٧/٥) .

نحن أصحاب القوة والسيطرة، فنزلت هذه السورة الكريمة بما فيها من دلالات القدرة والعظمة لله تعالى، ومن هذه المظاهر خلقه للموت، والحياة، وخلق السموات والأرض، وما فيهما من كواكب ونجوم وأنه سبحانه المتفرد بالملك ومحذراً الكفار والمشركين عاقبة عنادهم وأن اتباع الرسولﷺ فيه النجاة من عذاب الدنيا والآخرة [1].

وليس الأمر كما يزعم مشركو مكة وأنهم بغرورهم وانتفاشهم يشعرون أنهم الأقوى، أين قوتهم إن أرسل الله عليهم حاصباً من السماء؟!! أين قوتهم إن أمسك رزقه؟! بل أين قوتهم إن أصبح ماؤهم غوراً؟! إنه فقط غرور وعناد صدّهم عن الحق وأبعدهم عن الطريق المستقيم، فتبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، لقد وضحت لهم السورة الكريمة مظاهر القدرة الحقيقية، وحذرتهم من العاقبة التي تنتظرهم، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، فهذا حال الباطل وعناده وغروره[2].

المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس:

أولاً: فضائل السورة:

عن جابر ﷺ قال: "أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك" [3].

ويذكر السيوطي رحمه الله في دره المنثور جملة من الأحاديث في فضلها عن ابن مسعود ﷺ قال: يؤتى الرجل في قبره فئوتي من قبل رجليه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل قد كان يقوم علينا بسورة الملك، ثم يؤتى قبل صدره (جوفه) فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل قد كان وعى فِيَّ سورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، قد كان

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن بتصرف، (٣٦٢٧/٦).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٦/١٥).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية، (٣٣٨/٥)، والحديث رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين وقال: هذا حديث حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، (٤٤٦/٢)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان، (٩١/٤)، وحكم عليه الألباني في السلسلة الصحيحة بقوله صحيح، (١٣٠/٢).

يقرأ بي سورة الملك، فهي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، من قرأها في ليله فقد أكثر وأطيب [١].

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان فصل في فضائل السور، عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له)** زاد غيره تبارك الذي بيده الملك [٢].

وأخرج الترمذي وغيره عن ابن عباس ﷺ قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءَه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سوره، الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ: **(هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر)** [٣].

ثانياً: محور السورة الرئيس: حقيقة الملك و القدرة على تدبيرة

يقول سيد قطب رحمه الله: ومفتاح السورة كلها ومحورها هو مطلعها الجامع الموصى "تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير"، فمن حقيقة الملك والقدرة تتفرع سائر الصور التي عرضتها السورة [٤].

فتبارك الذي خلق الموت والحياة، وتبارك الذي خلق سبع سماوات بأحكام وإتقان وزينها بمصابيح، وجعلها رجوماً للشياطين وتبارك من أعد لكل فريق ما يستحق أما جنة وأما نار، وتبارك من يعلم السر وما تضمر الصدور، وتبارك من سخر الأرض ذلولاً وتبارك الذي وهب الطير قدره على التحليق وعدم السقوط، وتبارك الذي لا غالب لمن ينصره، ولا ناصر لمن يغلبه، وتبارك من أمد مخلوقاته بالسمع والبصر والأفئدة، وتبارك الذي أنعم على مخلوقاته بكل هذه النعم.

---

(١) الدر المنثور للسيوطي، (٢٣١/٨)، الإحسان في تقريب صحيح بن حبان، وقال: وهذا سنده حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، (٦٨/٣)، وعنده لفظة جوفه بدل صدره، ورواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، (٥٤٠/٢).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (١٢٣/٤)، والنسائي في السنن الكبرى (٣٠٩/١٠)، مسند إسحاق بن راهويه (١٧٤/١)، مشكاة المصابيح للتبريزي، وقال عنه حديث حسن (٦٦١/١)سنن الترمذي وقال عنه حديث حسن(١٤/٥).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، وقال حديث حسن غريب (١٤/٥)، الطبراني في الكبير (١٧٤/١٢)، وأبو نعيم في الحلية (٨١/٣)، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٢/٣)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري، (٢٣/٧).

(٤) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٣٠/٦).

فهذه الموضوعات كلها مرتبطة بصاحب الملك والقدرة الحقيقية هل يستطيع مشركو مكة حسب زعمهم بأنهم أقوياء هل يستطيعون أو يملكون من ذلك من شيء؟! أنهم حتى لا يملكون الحصول على المياه العذبة إن أراد الله ذهابها، وكما يقول سيد قطب: "فكل حقائق السورة وموضوعاتها وكل صوره وإيحاءاتها مستمدة من إيحاء ذلك المطلع ومدلوله الشامل الكبير، وحقائق السورة وموضوعاتها تتوالي مفسرة مدلول المطلع المجمل الشامل" (١).

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة الكريمة:

١- القدرة المطلقة لله ﷻ وأنه خلق الموت والحياة للاختبار والابتلاء.

٢- وصف السماوات السبع ولفت الأنظار والقلوب إلى الاعتبار من هذا المخلوق المحكم في بنائه فلا نستطيع ولن نستطيع أن نرى فيه أي خلل.

٣- وصف الأرض بأن جعلها مذللة سهلة للحياة عليها والاستقرار فيها.

٤- بيان كمال قدرته ﷻ في نظام هذا الكون فلا اعوجاج فيه ولا اختلاف.

٥- وصف حسي لجهنم وغضبها على الكفار كأنها من شدة الغضب يكاد ينفصل بعضها عن بعض.

٦- وصف بعض ألوان العذاب المعدة للكافرين في الدنيا والآخرة وفي مقابل ذلك ما أعده الله للذين يخشون ربهم بالغيب وما ينتظرهم من مغفرة وأجر كريم.

٧- التذكير بخلق الإنسان وما أحاطه الله به من نعم التي منها السمع والبصر.

٨- السورة الكريمة زاخرة بالأدلة على وحدانية الله وكمال قدرته وعظمته وفضله ورحمته بعباده.

٩- الحديث عن الحجج الباهرة التي أوحى بها الله لنبيه ﷺ ليقذفها في وجوه معانديه.

١٠- الدعوة إلى التأمل والتدبر في ملكوت السموات والأرض [**فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ**] {الملك: ٣-٤} .

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها:

يذكر الدكتور وهبة الزحيلي أن وجه تعلق هذه السورة بما قبلها من وجهين:

---

(١) في ظلال القرآن، (٦/٣٦٣١).

١- **وجه عام:** وهو أن مضمون السورة يؤكد مضمون السورة السابقة وهي (سورة التحريم) فسورة التحريم تبين مدى قدرة الله وهيمنته وتأييده لرسوله محمد ﷺ في مواجهة ظهور تآمر امرأتين من نسائه عليه وسورة (تبارك الملك) توضح بصيغة عامة أن بيد الله ملك السماوات والأرض وأنه على كل شيء قدير[١].

٢- **وجه خاص:** ذكر الله سبحانه في أواخر سورة التحريم مثلين وهو قصة امرأتي نوح ولوط وقصة مريم العذراء البتول وامرأة فرعون وسورة (تبارك الملك) تدل على إحاطة علم الله وتدبيره وإظهاره ما يشاء من العجائب، فإن كفر امرأتي نوح ولوط لم يمنع بزواجهما من نبيين كريمين، وأن إيمان امرأة فرعون لم يضر به اتصالها بالطاغية فرعون، كما لم يزعزع إيمان مريم حملها من غير زوج على غير المعهود، وإنجابها عيسى عليه السلام [٢].

ولعل في قوله في سورة تبارك [**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**] {الملك:١٣} وبين الآية في سورة التحريم [**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**] {التَّحريم:٣} ، فالآية في سورة التحريم مثال تطبيقي عملي على أرض الواقع حدث مع النبي ﷺ ونبأه العليم الخبير الذي يعلم السر والجهر، فإن سورة التحريم من أحد الأمثلة لتوضيح أن الله يعلم السر والجهر.

ويذكر البقاعي رحمه الله في نظم درره: أنه لما ذكر في آخر التحريم ما فيه أعظم عبرة لمن تذكر وأضح آية لمن استبصر وهو ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين صالحين قد بعثهما الله رحمة لعباده فلم ينتفع أقرب الناس منهما في الظاهر، وقصة مناقضة لها تماماً وهي قصة امرأة فرعون ثم أعقب بقصة مختلفة تماماً عن القصتين المتناقضتين [٣].

وهي قصة مريم مع ابنها عيسى عليه السلام حتى يعلم العاقل حيث يضع الأسباب، لأن من بيده الملك وهو على كل شيء قدير ومن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، يفعل بأسباب وبدون أسباب لأنه بيده الملك وحده.

فالصور والمشاهد المتضادة في آخر سورة التحريم، امرأة نوح وامرأة لوط وكذلك امرأة فرعون ثم قصة مريم التي لم يتكرر حدوثها.

---

(١) ينظر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (٥/٢٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (٦/٢٩).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٢١٦/٢٠).

جاء بعد هذه الصور مطلع سورة تبارك قوله تعالى [**الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ.....**] {الملك:٢} فالموت والحياة صورة توضح المشهد فبالضد يتضحُ الضدُ [١].

ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها:

ذكر الله في آخر سورة الملك تهديد المشركين بتغوير الماء، وذكر في سورة القلم قصة البستان وإهلاك ثمره في ليلة بطائف طاف عليها، وكان قصة إهلاك ثمر البستان دليل القدرة المطلقة، ومن هذه القدرة تغوير الماء، وإهلاك ثمر البستان.

ومن جهةٍ أخرى أنه ذكر سبحانه في سورة الملك أدلة قدرته الباهرة وعلمه، وذكر البعث، وهدد المشركين وحثهم على الإيمان بالله وحده وبرسوله محمد ﷺ ثم برأ نبيه ﷺ في مطلع سورة القلم من أباطيل المشركين واتهامهم النبي ﷺ بالسحر تارة وبالجنون أخرى وبالشعر ثالثة، فجاء مطلع سورة القلم يثني عليه بالخلق العظيم [٢].

وربما نلحظ مناسبة أن سورة تبارك انتهت بكلمة (معين) لتبدأ سورة القلم بالحرف الذي انتهت به سابقتها.

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، (٢١٧/٢٠) التفسير المنير للزحيلي (٥/٢٩).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، (٢١٧/٢٠).

المبحث الثاني

قدرة الله في الخلق وتعذيب الكفار والمغفرة والأجر الكبير لمن خشي ربه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مظاهر القدرة والعلم .

المطلب الثاني: بعض مظاهر نعمة الله وقدرته وعلمه مع تهديد الكفار .

المطلب الثالث: إثبات البعث وتهديد الكافرين بالعذاب وبيان لبعض النعم .

المطلب الأول: مظاهر القدرة والعلم الآيات (١-١٢):

مقدمة:

هذا المقطع من السور الكريمة يشتمل على بعض مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى كما يشمتل على تعذيب الكفار وأن مصيرهم بئيس عندما يُلقوا في جهنم ويسمعوا شهيقاً وهي تفور، فيقولوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير، والمعنى أنهم كأنه كمن لا يسمع ولا يعقل لأنهم لم يروا الشمس في ضحاها فلم يُسلموا لهذا الدين القيم الواضح ومن مظاهر قدرته سبحانه التي ذكرها في هذا المقطع القرآني الكريم.

أنه سبحانه بيده الملك، وأنه خلق الموت والحياة، وخلق السموات وتزينها وجعل هذه المصابيح رجوماً للشياطين، وأيضاً نستطيع القول أن من مظاهر قدرته وعلمه تعذيب الكفار وأثابته للمؤمنين بالمغفرة والأجر الكبير.

المقطع الأول:

قال تعالى: [**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ**] {الملك: ١-٤}.

أولاً: التحليل اللغوي:

تبارك: ب ر ك: والبركة معناها النماء والزيادة، وتبارك الله: تقدس وتنزه وتعالى وتعاظم، ولا تكون هذه الصفة لغيره، تبارك: تفاعل من البركة، ويتبرك باسمه في كل أمر [١].

خلق الموت والحياة: خلق: الخلق التقدير، والخليقة الطبيعة، والجمع الخلائق، يقال: هم خليقة الله وهم خلق الله، والخلق في كلام العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يُسبق إليه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدؤه على غير مثال سُبق إليه، وقال أبو بكر بن الأنباري[٢]: الخلق في كلام العرب على

---

(١) مختار الصحاح (٣٣/١)، لسان العرب (٣٩٦/١٠).

(٢) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر بن الأنباري النحوي اللغوي العلامة، ولد سنة ٢٧١هـ، وتوفي ٣٢٨هـ، صنف في القراءات والغريب والمشكل والوقف والابتداء، كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شعر شاهد في القرآن، (وفيات الأعيان، (٣٤١/٤)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٥٦٤/٧).

وجهين: أحدهما الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر التقدير، خلق الله الشيء يخلقه خلقاً أحدثه بعد أن لم يكن [١].

الموت: خلق من خلق الله تعالى، وهو ضد الحياة. مات يموت موتاً، وقبيلة طيء تقول: يمات موتاً، وقيل: الميت مخففاً: الذي مات، والميت بالتشديد والمائت الذي لم يمت بعد، قال الفراء [٢]: يقال لمن لم يمت أنه مائت عن قليل [٣]. والموت صفة وجودية خلقت ضد الحياة [٤]، والموت ليس بعدم محض، وإنما انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وتبدل حاله، وانتقال من دار إلى دار [٥].

ليبلوكم: ليختبركم.

أحسن عملاً: أخلصه لله وأطوعه.

العزيز: الغالب: لا يغلبه شيء، الغفور: كثير المغفرة، والستر لذنوب عباده.

طباقاً: طبقة بعد طبقة، تفاوت: تباين وتناقض وعدم تناسب.

كرتين: مرة بعد مرة، أو كرة بعدد كرة، ينقلب: يرجع.

خاسئاً: صاغراً ذليلاً، والخاسئ: المبعد ويكون بمعنى الصاغر، وخسأ بصره يخسأ خسأً وخسوءاً إذا سدر وكلّ وأعيى، والخاسئ من الكلاب البعيد الذي لا يُترك أن يدنو من الناس، الصاغر الذليل[٦].

حسير: قليل منقطع لم يدرك المطلوب.

السماء الدنيا: أقرب السماوات إلى الأرض، بمصابيح: بنجوم وكواكب مضيئة.

رجوماً: راجمات أو مراجم يرجم بها الشهب.

الشهيق: تنفس كتنفس المتغيظ، والشهيق أول صوت نهيق الحمار وهو أقبح الأصوات [١].

---

(١) المختار الصحاح، (٣٣/١).

(٢) الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأزدي، مولاهم الكوفي النحوي، كان ثقة، قال عنه ثعلب: لولا الفراء لما كانت عربية ولا سقطت، لأنهم خلصها، ولأنها كانت تتنازع ويدعيها كل أحد، وكان يلقب بأمير المؤمنين في النحو، (ت: ٢١٠هـ). تاريخ الإسلام، للذهبي، (١٤١/٥).

(٣) لسان العرب، (٩١/٢)، مختار الصحاح، (٣٠١/١).

(٤) التوقيف على مهمات التعريف، للمناوي، (٣١٣/١).

(٥) تفسير القرطبي، (٢٠٦/١٨)، تفسير الوسيط، لطنطاوي، (٩/١٥).

(٦) لسان العرب، (٦٥/١)، المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، (٢٣٣/١).

سحقاً: بعداً لهم من رحمة ربهم [٢].

ثانياً: التفسير الإجمالي:

تبارك تعاظم وتعالى بالذات عن كل ما سواه [٣]، وكثر خيره، وعم إحسانه، ومن عظمته أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي [٤] وتبارك تفاعل من البركة، والبركة النماء والزيادة الحسن أو المعنوية، وتعاظم عن صفات المخلوقين وتبارك تقدس [٥]، ولفظ تبارك فعل ماض لا ينصرف بمعنى كثر خيره وإحسانه وتزايدت بركاته.

وذكر صاحب زاد المسير أن تبارك فيها أربعة أقوال:

الأول: تفاعل من البركة وبمعنى تجيء البركة من قِبَله، وقال الفراء: من البركة وهو في اللغة كقولك تقدس ربنا.

الثاني: تبارك بمعنى تعالى وارتفع، والمتبارك: المرتفع.

الثالث: معناها أن اسمه يُتبرك في كل شيء.

الرابع: تبارك: تقدس [٦].

وفعل تبارك يدل على المبالغة في وفرة الخير، وفي هذا الافتتاح براعة الاستهلال ومثلها سورة الفرقان.

(بيده الملك) والباء يجوز أن تكون بمعنى في مثل الباء التي تدخل على أسماء الأمكنة نحو [**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ**] {آل عمران:١٢٣} ، بمعنى في بدر [٧].

---

(١)ينظر: تفسير غريب القرآن، للكواري، (٧/٦٧)،

(٢)ينظر: تفسير غريب القرآن، للكواري، (١١/٦٧)،

(٣)ينظر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (٩/٢٩).

(٤)ينظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٨٧٥.

(٥) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (٣٠٧/٥)، وينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (٧/١٥).

(٦)ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ص١٤٥٧.

(٧)ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٨/٢٩).

وبيده الملك المطلق وصاحب السلطان المتفرد، ونؤمن باليد كما جاء على مراد الله [1]، فثبتت بمعنى اليد [2] ولا يعلم كيفيتها إلا الله [**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**] {الشُّورى:١١} .

[**الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ**] بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما، وهي التصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله، نافذ أمره وقضاؤه وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة لاغية مانع، ولا يحول بينه وما يريد فعله عجز [3].

[**الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**] فأمات من شاء وما شاء وأحيا من أراد وما أراد [4]، ليبلوكم أي: أيكم أكثر للموت ذكراً، وأحسن استعداداً، وأشد خوفاً وحذراً [5]، وقيل إنما إنما قدم الموت لأنه إلى القهر أقرب، وقيل قدمه لأنه أقدم لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما، ثم طرأت عليها الحياة ولأن الموت إلى القهر أقرب [6].

قال ابن كثير: "واستدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق ومعنى الآية: أنه أوجد الخلائق من العدم، كما قال: [**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**] {البقرة:٢٨}، فسمى الحال الأول –وهو العدم– موتاً وسمى هذه النشأة حياة".

والموت: انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقتها له.

والحياة: تعلق الروح بالبدن واتصالها به.

وإيجاد الحياة معناها: خلق الروح في الكائنات الحية [7].

---

(١) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (١٠/٢٩).

(٢) المعتزلة وعلى رأسهم الزمخشري صاحب الكشاف، يقولون اليد: مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء عليه، لأنهم ينفون الصفات الخبرية والفعلية.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (ت: ٣١٠هـ)، (٥٠٥/٢٣)، وفي رحاب التفسير، الشيخ عبد الحميد كشك، (٧٢٩٩/٢٩).

(٤) ينظر: في رحاب التفسير، كشك، (٢٩/ ٧٢٩٩) وما بعدها.

(٥) في رحاب التفسير، الشيخ عبد الحميد كشك، (٧٣٠١/٢٩).

(٦) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، محي السنن أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن بن العزاء البغوي الشافعي، (١٧٣/٨)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (٨/١٥).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (١٧٦/٨)، وينظر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (١٠/٢٩).

قال الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله [**أَحْسَنُ عَمَلًا**] أي أخلصه وأصوبه فإن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً: لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً: لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة، والعمل الأحسن أنما يدرك بالشرع، فما حسنه الشرع فهو الحسن وما قبحه فهو القبيح [1]، ويقول السمرقندي، ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع ثم ذكر سبحانه [**وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ**] العزيز بالنقمة للكافر، والغفور لمن تاب منهم [2].

[**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا...**] مطبقاً بعضها فوق بعض ما ترى في حلهن اختلافاً أو اضطراباً أو عيباً أو اعوجاجاً أو خللاً، (وطباقاً) تعني طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بعضهم على بعض أو متفاصلات بينهن خلاء، فيه قولان: أصحهما الثاني أي أنهن متفاصلات بينهن خلاء كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره [3].

[**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**] أي ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة وليس في خلقه سبحانه عيب ولا خلل، ولهذا قال فارجع النظر والتأمل مرة بعد مرة هل ترى عيباً أو خللاً، أو نقصاً، أو فطوراً؟ يا ابن آدم لن ترى تفاوت أي لن ترى اختلاف وعدم تناسب [4]، والتعبير القرآني في قوله تعالى: [**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**] لم يقل: ما ترى فيه، وإنما قال: ما ترى في خلق، فيه إشعار بأن جميع المخلوقات جارية على هذا النسق ليس في أحد فيها تفاوت، فكل مخلوق يناسب شكله ومهمته، لا تفاوت ولا اضطراب، فأعطى الظاهر وهو ذكر الرحمن بعد كلمة (خلق) من التعميم ما لم يكن يعطيه الإضمار [5].

[**فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ**] أي إن كررت النظر مرة بعد أخرى لن ترى أيها الرائي تفاوتاً أي عدم تناسب أو نقص أو خلل، ومهما كررت النظر لن يرجع إليك البصر بما طلبته من وجود خلل أو عيب، بل يرجع إليك

---

(١) ينظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ينقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية، والفضيل بن عياض، نظم الدرر، للبقاعي، (٢٢٢/٢٠).

(٢) ينظر: بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، (٤٧٤/٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، (١٧٧/٨)، الوجيز للواحدي، (١١١٦/١)، ومعالم التنزيل للبغوي، (١٧٣/٨)، والتفسير المنير، د. الزحيلي، (١١/٢٩).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير، (١٤٣/٨)، وفي رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، (٧٢٩٩/٢٩).

(٥) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي جعفر الغرناطي، (٣٤٣/١).

مطروداً، صاغراً ذليلاً لم يرى ما يهوى منهما حتى كأنه رجع وهو كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة فلم يجد ما يبحث عنه وما يريده ولم يدرك ما طلب فيرجع البصر وهو حسير قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر [1].

ويقول الزمخشري رحمه الله التثنية للتكثير (كرتين) أي ليس المقصود مرتين فقط بل كثرة النظر إلى السماء أي كرة بعد كرة مثل لبيك وسعديك يريد إجابات كثيرة بعضها في أثر بعض، فلو كُرر البصر مهما كُرر لانقلب ورجع البصر ذليلاً عن أن يرى عيباً أو خللاً [2].

ثالثاً: وجوه البلاغة [3]:

١- قوله تعالى: ﴿**بيده الملك**﴾: استعارة تمثيلية، وفي لفظ اليد[4] مجاز ويكون قوله "الملك" على الحقيقة.

٢- قوله تعالى: ﴿**الذي بيده الملك**﴾ وضع الموصول للتفخيم والتعظيم، أي له السلطان والتصرف المطلق.

٣- قوله تعالى: ﴿**ليبلوكم**﴾: استعارة تمثيلية، شبه معاملة الله لعباده بالابتلاء والاختبار (الموت والحياة) طباق.

٤- قوله تعالى: ﴿ **الموت والحياة** ﴾ بينهما طباق، فالموت ضد الحياة.

٥- قوله تعالى: ﴿ **فارجع البصر** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **ثم ارجع البصر كرتين** ﴾ إطناب بتكرير الجملة مرتين؛ لزيادة التنبيه والتذكير [5].

٦- قوله تعالى: ﴿ **الذي بيده الملك** ﴾ التعريف في لفظ الملك للجنس، وقدم كلمة (**بيده**) على كلمة (**الملك**) لإفادة الاختصاص، أي بيده وحده لا بيد أحد سواه [1].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، (١٧٨/٨)، ومعالم التنزيل للبغوي، (١٧٤/٨)، وفي رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، (٧٣٠٢/٢٩)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٢١٧/٢٠).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري، ج٥٧٦/٤، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ج٢٠-٢١٧، وينظر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ج١٢/٢٩، والتحرير والتنوير، محمد الظاهر بن عاشور، ٢٩-١٦.

(٣) ينظر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ج٢٩، ص٨، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٢٠-٢١٨.

(٤) السلف يثبتون ما أثبت الله لنفسه من الصفات وينفون ما نفاه الله عن نفسه فتثبت اليد حقيقةً ولا يعلم الكيفية إلا الله، أما المعتزلة فيؤلونها بالقدرة (شرح العقيدة الوسطية للهراس(١١٦/١).

(٥) انظر: التفسير المنير، (٩/٢٩)، ونظم الدرر، (٢١٨/٢٠).

رابعاً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من الآيات:

١- تظهر الآيات وتدلل على القدرة المطلقة للقادر ﷻ ليتدبر العقل وينطق اللسان بمطلع السورة ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾.

٢- تبرز الآيات أهمية التوجه إلى الله لقضاء الحاجات لأن من بيده الملك وحده وليس بيد أحد سواه هو الأحق أن يُسأل لأنه هو المالك الحقيقي، عن ابن عباس ﷺ قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: **(يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)** [٢]، فما أحوج الأمة الإسلامية إلى التوجه لمن بيده الملك الحقيقي وليس لمن يملك ملكاً زائلاً.

٣- تبين الآيات أهمية النظر في مخلوقات الله بعين البصيرة والبصر، وتكرار النظر والتأمل ليزداد الإيمان بالنظر إلى السموات وما فيها من دقة عجيبة وإتقان محكم، فهذه الأنوار المشعة في الليل والمتناثرة بإحكام في السماء، إنها دعوة لأولي الألباب للوقوف على هذه الآيات الباهرة الواضحة على قدرته وعظمته وحكمته، قال تعالى: [**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ**] {آل عمران:١٩٠} .

٤- تبين الآيات حقيقة الحياة الدنيا وأنها دار اختبار [**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**] {الملك:٢} ، وبعد هذا الاختبار تكون النتائج التي يظهرها العزيز الغفار [**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**] {الشعراء: ٨٨-٨٩}، وفي ختام الآية جاء بلفظ **(العزيز الغفور)** بشرى للمؤمنين بالمغفرة، وفيه تهديد للكافرين بالعزة والقوة، مثاله قوله تعالى: [**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ**] {الرعد:٦} .

المقطع الثاني: مصير الكافرين

قال تعالى: [**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ * وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا**

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٨/١٥).

(٢) سنن الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح، (٢٤٨/٤).

نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ * إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ] {الملك: ٥-١٢}.

أولاً: التحليل اللغوي:

﴿**السماء**﴾: يُذكر ويؤنث وجمعه أسمية، وسماوات، والسماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت سماء [١].

﴿**الدنيا**﴾: دنا من الدنو، والدنيا لدنوها، والجمع الدُّنا، والنسبة إليها دنياوي [٢]، والدنيا من الدنو، وهو الأنزل رتبة، في مقابلة عليا، ولكونها لزمتها العاجلة، صارت في مقابلة الأخرى اللازمة للعلو، ففي الدنيا نزول وتعجيل، وفي الآخرة علو قدر وتأخر [٣].

﴿**رجوماً**﴾: الرجم القتل، وأصله الرمي بالحجارة، رجمه يرجمه رجماً فهو مرجوم ورجيم، والرجم يأتي بمعنى الهجران، الطرد، الظن، السب والشتم، ورجوماً للشياطين: أي جعلناها مرامي لهم لأنهم يرجمون بالكواكب أنفسها لأنها ثابتة لا تزول كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة في مكانها [٤].

﴿**شهيقاً**﴾: شهق شهيقاً: تردد النفس في حلقه، وسمع وردد البكاء في صدره، وجذب الهواء إلى صدره، والشهيق: الصوت الشديد، وإدخال النفس إلى الرئتين [٥].

﴿**نذير**﴾: نذر بالشيء نذراً ونذارة، بمعنى علمه وحذره، وأنذره الشيء: أعلمه به وخوّفه منه، وتناذر القوم: خوّف بعضهم بعضاً، ونذيرة الجيش: طليعتهم ينذرهم أمر عدوهم، أي يعلمهم، والإنذار: الإبلاغ ولا يكون إلا في تخويف، والنذير: المحذر، والجمع نُذُر، ومن أمثال العرب: قد أعذر من أنذر، أي من أعلمك أنه يعاقبك على المكروه منك فيما يستقبله، ثم أتيت المكروه فعاقبك، فقد جعل لنفسه عذراً يكف به لائمة الناس عنه [٦].

﴿**ضلَّ**﴾: الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه، وكل جائر عن القصد ضال، والضلال والضلالة بمعنى واحد [٧].

---

(١) مختار الصحاح، (١/١٥٥).
(٢) ينظر: مختار الصحاح، (١/١٨٠).
(٣) التوقيف على مهمات التعريف، للمناوي، (١/١٦٧).
(٤) لسان العرب، (١٢/٢٢٨)،
(٥) المعجم الوسيط، (١/٤٩٨).
(٦) لسان العرب، (٥/٢٠٢)، المعجم الوسيط، (٢/٩١٢).
(٧) معجم مقاييس اللغة، (٣/٢٥٦).

﴿**سحقاً**﴾: س ح ق: أصلان أحدهما البعد، والآخر إنهاك الشيء حتى يبلغ به إلى حال البلى، فالأصل الأول: هو البعد كقوله تعالى: [**فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ**] {الملك:١١} ، والأصل الثاني: سحقت الشيء أسحقته سحقاً، ويقال: سحقه البِلى فانسحق [١].

﴿**السعير**﴾: سعّر الناس والحرب، وسعّرها بمعنى أوقدهما وهيجهما. ونار سعير: أي مسعورة، ويقال للرجل إذا ضربته السموم فاستعر جوفه به سُعار، والسعير والساعورة بمعنى النار، وقيل: لهبها [٢].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

ذكرت الآيات السابقة القدرة المطلقة لله ﷻ الذي بيده الملك، ومن هذه القدرة خلق سبع سموات طباقاً لن ترى فيها أي خلل على الإطلاق مهما كررت النظر، ثم جاءت هذه الآيات لتوجه هذا النظر أين ينظر، وكأن هذه الآيات تساعد النظر في البحث عن المخلوقات التي ينبغي أن يُتأمل ويُتفكر فيها، فجاءت الآيات [**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**] {الملك:٥} ، إنها تتراءى لمن كان عنده بصر أو بصيرة، إنها تتلألأ أمام الأعين لترشد الناظر إليها.

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

[**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ...**] أراد السماء الأقرب إلى الأرض، وهي التي نراها، والمصابيح أي الكواكب جعلها مرامي للشياطين، إذا استرقوا السمع، فالكواكب زينة لسماء الدنيا وهي أيضاً رجوماً للشياطين، فإن قيل إذا كانت للزينة يقتضى بقاؤها واستمرارها، وإن كانت رجوماً للشياطين يقتضي زوالها، وللجمع بين القولين يرجح الباحث ان معنى رجم الشياطين بها أنهم يُرمون بأجرام الكواكب، لكن ينفصل من هذه الكواكب شُعل تُرمى الشياطين بها، وتلك الشعل هي الشهب، مثل القبس يؤخذ من نار والنار باقية [٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (١٤٠/٣).

(٢) لسان العرب، (٣٦٥/٤).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن بن الحسين التميمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (٥٨٣/٣٠).

وهذا يوضحه قول القرطبي رحمه الله [**وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا**] أي جعلنا شهبها، فحذف المضاف مصداقاً لقوله تعالى: [**إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**] {الصَّفات:١٠} ، ولا يسقط الكوكب نفسه إنما ينفصل من شيء يرجم به من أراد أن يسترق السمع [١].

[**وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**] الضمير يعود على الشياطين أي اعتدنا لهم أشد الحريق يقال سعرت النار فهي مسعورة وسعير، مثل مقتولة وقتيل [٢].

ويذكر الإمام الطبري رحمه الله بسنده عند قتادة: "إن الله جل ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن يتأول منها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف مالا علم له به" [٣].

[**وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**] لكل كافر كفر بالله من الشياطين وغيرهم، وليس الشياطين المرجومين بالشهب فقط، وبئس المصير المرجع جهنم بئس المآل والمنقلب [٤].

[**إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ**] إذا ألقى الكفار في هذه النار سمعوا لها صوتاً منكراً ويحتمل أن يكون على حذف مضاف أي سمعوا لأهلها، كما في قوله تعالى: [**لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**] {هود:١٠٦} ، فالشهيق إما لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها، وإما للنار تشبيهاً لحسيسها[٥].

[**وَهِيَ تَفُورُ**] تغلي بهم غلي المرجل [٦]، كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير، [**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ**] أي ينفصل بعضها من بعض لشدة اضطرابها وشدة غيظها عليهم وحنقها بهم [١]، والتميز

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن وتفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (٢١٠/١٨)، وتنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبد الجبار الهمداني، ص٤٢٩.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي"، (٢١٠/١٨).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، (٥٠٧/٢٣)، ويذكر البقاعي ذلك الحديث في نظم الدرر، (٢٣١/٢٠)، ويقول موجود عند البخاري.

(٤) ينظر: تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (٥١٢/٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٧٨/٨)، ولباب التأويل في معاني التفسير للخازن، (٣١٩/٤).

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (٢٢٤/١٠)، ونظم الدرر للبقاعي، (٢١٩/٢٠)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٧٩/٨)، وفي رحاب التفسير الشيخ عبد الحميد كشك، (٧٣٠٣/٢٩).

(٦) المرجل: هو بالكسر (كسر الميم) الإناء الذي يغلي فيه الماء سواء كان هذا الإناء من حديد، أو حجارة، أو خزف. لسان العرب، (٦٢٣/١١).

يعني التفرق من الغيظ تكاد يفارق بعضها بعضاً[٢]، ويجوز أن يراد غيظ الزبانية ألم يأتكم نذير؟ توبيخ يزدادون به عذاباً إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم [٣].

كما يقال: فلا ينشق من غيظه، وفلان غضب فطارت شقه منه في الأرض وشقة في السماء، كناية عن شدة الغضب [٤].

[**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ**] كلما ألقي جماعة من الكفار في جهنم سألهم خزنتها من الملائكة سؤال توبيخ وتقريع يزداد به عذابهم، ألم يأتكم في الدنيا رسل ينذرونكم ويحذرونكم من هذا اليوم؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير خوفنا وأنذرنا وحذرنا فكذبنا ذلك النذير وقلنا ما نزل الله من شيء [٥].

ويذكر الله سبحانه عدله في خلقه وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة وإرسال الرسل، كما قال: [**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**] {الإسراء:١٥} ، وألقي فيها فوج بمعنى طرحوا بدفع من الزبانية الذين هم أغيظ عليهم من النار وسؤال الخونة للتوبيخ والتقريع والإرجاف ليزدادوا عذاباً فوق عذاب وحسرةٍ على حسرة [٦].

[**قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ**] وكلمة بلى تكفي للجواب، لكنهم أجابوا بحرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسراً على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم الرسل واتباعهم، ولو اقتصروا على "بلى" لفهم المعنى لكنهم صرحوا بالجملة تحسراً وزيادة ندم في تفريطهم.

وقالوا اعترافاً منهم بعد الله واقراراً بأن الله أزاح عللهم ببعثه الرسل [٧]، فشهدوا على أنفسهم بالعناد والإلحاد حيث لم يصدقوا المنذرين ولم يطيعوهم وقال ما نزل الله من شيء [١].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري، (٥١٠/٢٣).

(٢) ينظر: تفسير الكشاف للزمخشري، (٥٧٨/٤)، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (ت: ٧٤١هـ).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري، (٥٧٩/٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، (٣٢٧٦/٦).

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، (٣٢٧/٦)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٢١٢/٢٠).

(٥) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (٣١٠/٥)، والظلال، لسيد قطب، (٦ ص٣٦٣٥).

(٦) ينظر: نظم الدرر للبقاعي، (٢٣٤/٢٠)، تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٥/٩).

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود، (٦/٩)، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني اقليماً التتاري بلدا، (٥٤٦/٢).

وجملة إن أنتم إلا في ضلال كبير، قال الزمخشري: هي من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين وأن الكفار قالوا ذلك للرسل واتهموهم بالضلال، ويجوز أن يكون من خلام الخزنة –خزنة النار– للكفار على إرادة القول حكاية ما كانوا عليه في ضلالهم في الدنيا، أو أرادوا بالضلال الهلاك الواقعون فيه، أو سموا عقاب الضلال – وهو دخول جهنم– باسمه [٢].

[**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**] قالوا: لو كنا نسمع من يعقل عن الله حججه ما كنا من أصحاب النار فهم يسمعون؛ ولكن لا يسمعون ما ينفعهم في الآخرة، وكذلك يعقلون لكن لا يعقلون ما ينفعهم في الآخرة، كما قال تعالى: [**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ**] {البقرة:٧} [٣]، وهذا اعتراف منهم بأنهم لو كانوا يسمعون سمع من يعي ويتفكر أو يعقلون عقل من يميز وينظر ما كانوا في أهل النار [٤].

وجمع في الآية بين السمع والعقل لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل فالذي يسمع أو يعقل لا يورد نفسه هذا المورد الوبئ ولا يسارع باتهام المرسل بالضلال بصورة متبجحة وإنكارهم وتكذيبهم لا يعتمد على دليل [٥].

[**فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ**] أقروا معترفين بما صدر عنهم من كفر وتكذيب الرسل وهذا يستحقون عليه النار فبعداً لهم من الله ورحمته والسحق: البعد وهو دعاء عليهم من الله بعد اعترافهم في هذا اليوم الذي كانوا يكذبون به وينكرون وقوعه، أسحقهم الله سحقاً أي باعدهم من رحمته مباعدة، وربما يكون من دعاء الملائكة على الضالين، الذين استحقوا الجحيم بكفرهم وتكذيبهم واتهامهم الرسل بالضلال [٦].

---

(١) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن، عبد المنعم أحمد تُعَيلب، (٣٧١٩/٧).

(٢) ينظر: الكشاف، (١٣٦/٤)، وتفسير الخازن، (٣١٩/٤)، والظلال، لسيد قطب، المجلد السادس، ص٣٦٣٤.

(٣) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، (٤٢٠/٥)، والتفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (١٧/٢٩).

(٤) ينظر: تفسير البغوي، معالم التنزيل، (٣٤٢/٤)، وينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ص١٤٥٧.

(٥) ينظر: تفسير الكشاف، للزمخشري، (١٣٦/٤)، والظلال، لسيد قطب، (٣٦٣٥/٦).

(٦) ينظر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (١٧/٢٩)، والظلال، لسيد قطب، (٣٦٣٥/٦)، وزبدة التفاسير، أمام الدعاة فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، ص٦٥٢، وزاد المسير، لابن الجوزي، ص١٤٥٧، وينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن، عبد المنعم أحمد تُعَيلب، (٣٧٢٠/٧).

[**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**] ثم تأتي الصفحة المقابلة للصفحة السابقة وهذا مألوفٌ في القرآن فهو يعرض صفحة المؤمنين مقابل صفحة الكافرين ليربط هاتين الصفحتين بصدر السورة قوله تعالى: [**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**].

ويخشون ربهم بالغيب يشمل خشية الله الذي لم يروه، أو خشيته في خفية عن الأعين حيث لا يراهم الناس فيكفون عن المعاصي، ويقومون بالطاعات حيث لا يراهم أحد إلا الله وهؤلاء جزاؤهم مغفرة وأجر عظيم وجنة عرضها السموات والأرض [١].

والخشية شدة الخوف ومعرفة حق الله ومراقبته في السر والعلن، وهذه الخشية من الله والإيمان بالغيب أساس عمل المسلم كله، ومعاملاته لأن بالخشية والإيمان سيعمل كل عمل طمعاً في ثواب الله وسيتجنب كل سوء فيسلم ويتحصل على المغفرة والأجر الكبير [٢].

وسر عظمة المؤمنين أن يخافون ويؤمنون بالغيب، وإلا لما كان للإيمان فضل إذا كان حسياً يقع تحت حاسة البصر أو اللمس أو الذوق، وغير ذلك من الحواس [٣].

فكان جزاء المؤمنين بالله المغفرة والأجر الكبير، وأنهم خالدون في الجنة برحمته وفضله، قال لبيد بن ربيعه [٤]:

ألا كل ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وكل ابن أنثى لو تطاول عمره إلى الغاية القصوى فللقبر آيل

وكل امرئ يوماً سيعرف سعيه إلا حصلت عند الإله الحصائل [٥].

رابعاً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من هذا المقطع:

---

(١) ينظر: التفسير المنير، (٢٠/٢٩)و الظلال، لسيد قطب، (٣٦٣٦/٦)، وفتح الرحمن في تفسير القرآن، لعبد المنعم تعيلب، (٣٧٢١،٣٧٢١/٧)، التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، (٣٧٨/٥).

(٢) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، (٤٢٢/٥).

(٣) لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل الهوازني العامري (ت: ٥٠هـ) من شعراء المعلقات مشهور وفد على النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه وقيل ثبت له صحبه، قال النبي ﷺ أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: إلا كل شيء ما خلال الله باطل، قيل إن لم يقل شعراً بعد إسلامه، وقال: أبدلني الله به القرآن، قيل عاش مائة وخمسين سنة، قال بعد إسلامه بيتاً واحداً ** الحمد لله إذا لم يأتني أجلي... حتى لبست من الإسلام سربالاً، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، (٥٠١/٥).

(٤) ينظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، (٧٣١٤/٢٩).

(٥) من كتاب المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين الأبشيهي أبو الفتح (ت: ٨٥٢هـ)، (١٢/١).

١- الآيات الظاهرة أمام الأعين كثيرة وهي تدعونا إلى التفكر في قدرة الله وعظمته، ومع ظهور هذه الدلائل والآيات إلا أن القرآن يعطينا إشارات في سور كثيرة إلى التفكر والتدبر فتبارك الله بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

٢- وما دام الله هو المالك والقادر لماذا نلجأ إلى غيره، أليس من الحكمة والإبصار أن نعتمد ونتوكل ونلجأ إلى من بيده الملك والقدرة المطلقة.

٣- إن الذي خلق الموت والحياة هو الأجدر والأولى أن نخاف منه ما دام أنه هو الذي يحيي ويميت.

٤- إن كل شيء في الوجود يدعونا إلى التفكر والتدبر في قدرة الله وعظمته فهذه السموات السبع سماءٌ فوق سماء والتناسب العجيب الموجود وعدم وجود خلل ولو بسيط مهما نظرنا ومهما وقعنا النظر، وهذه الكواكب والنجوم التي نراها تزين السماء الدنيا، وفي الوقت نفسه ينفصل منها شهب لرجم الشياطين.

٥- تذكر الآيات كل من له قلب يتدبر، وعقل يتفكر بمآل الكفار ومآل المؤمنين، ألا يذكرنا ذلك بهذا اليوم العظيم ويدعونا إلى التعقل والسمع الذي ينفعنا في ذلك اليوم المشهود، حتى نسلم ونفوز بالجنة وننجو من النار.

٦- فتبارك الذي بيده الملك والقدرة المطلقة والتي نراها ليلاً ونهاراً في حياتنا، ومع ذلك يرشدنا القرآن حتى لا ننسى فإن من طبيعة الإنسان النسيان.

٧- وبعد عرض هذه الدلائل الباهرة، لماذا لا نكون لله أطوع وللقرب منه أسرع، ونكون من الذين هم أحسن عملاً وأصدقه وأخلصه.

٨- فالآيات تدعونا إلى تعظيم الله وحده، واللجوء إليه والتوكل عليه حق التوكل، والإخلاص في السر والعلن.

٩- علينا كما نخشاه ولم نره أن نخشاه في السر حيث لا يرانا أحد إلا هو، حتى نكون من الذين يخشون ربهم بالغيب لنتحصل على المغفرة والأجر العظيم.

١٠- وإن الدعوة إلى تكرار النظر وهي النظرة الحادة الفاحصة المتأملة المتدبرة، هي التي يريد القرآن أن يثيرها وأن يبعثها في عقولنا فبلاده الألفة تذهب بروعة النظر إلى هذا الكون الرائع العجيب الجميل الدقيق المتناسق المتناسب [١].

---

(١) ينظر: الظلال، سيد قطب، (٣٦٣٣/٦).

١١- والخطاب في التأمل والنظر العميق في الكون وعجائبه هو خطاب لكل الناس وفي كل عصر، فهو خطاب لساكن الغابة وساكن الصحراء، وساكن المدينة وخطاب للأمي الذي لم يقرأ ولم يخط، وللعالم الفلكي والعالم الطبيعي والعالم النظري، فكل واحد من هؤلاء سيجد في القرآن ما يصله بهذه الكون وسيحرك القرآن ويثير في قلبه التأمل والاستجابة والمتاع والجمال في تصميم الكون [١].

١٢- تلفت الآيات النظر إلى تعظيم الله العمل [**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**] والقرآن دائماً يركز على العمل وكذلك حبيبنا محمد ﷺ حثنا على العمل وبيّن لنا كيف يكون العمل لنكون من الذين هم أحسن عملاً، وكثيرة هي الأسئلة التي وجهت للرسول ﷺ وكان ﷺ يوجه السائل إلى ما فيه عمل فعندما سئل عن الأهلة [**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ**] {البقرة:١٨٩} نزل القرآن موجهاً السائل لما ينبني عليه عمل [**قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ**]، وهذا الأعرابي الذي سأل النبي ﷺ متى الساعة فأجابه ﷺ بما ينبني عليه عمل: (وما أعددت لها) [٢]، وكان في مقدور النبي ﷺ أن يقول: علمها عند الله، لكنه وضح له معالم الطريق الذي ينبغي أن يسير فيه، وهو العمل، فتبارك الذي خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملاً.

١٣- الموت والحياة – سبع سموات طباقاً – أحسن عملاً، دعوة للقلب أن يتدبر، وللعقل أن يتفكر، وللجوارح أن تعمل، من يرخي العنان للتفكير في الآيات سيجد نفسه بعد التأمل العميق قائلاً ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار.

١٤- [**فَارْجِعِ البَصَرَ**] دعوة إلى التفكر والتأمل في مخلوقات الله والاستمرار في هذا التأمل، لأن كل شيء من مخلوقات الله سنجد فيه قدرة الله وعظمته التي تزيدنا إيماناً وقرباً من الله، لقول حبيبنا المصطفى ﷺ: **(تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذاته)** [٣].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (٣٦٣٤/٦).

(٢) الحديث عند البخاري ومسلم يرويه أنس ﷺ ونصه: "أن رجل من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال: (ويلك، وما أعددت لها) قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال: (إنك مع من أحببت) فقلنا: ونحن كذلك، قال: (نعم)، صحيح البخاري، (٣٩/٨)، واللفظ له، صحيح مسلم (٢٠٣٢/٤)، باب المرء مع من أحب.

(٣) هو من كلام ابن عباس، رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش عن سعيد بن جبير، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس مرفوعاً. (التذكرة في الأحاديث المشتهرة، (١٣٢/١)، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للسيوطي، (٩٦/١)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، للألباني، وقال عنه: حسن، (٥٧٢/١).

المطلب الثاني: سعة علم الله وبعض مظاهر قدرته ونعمه وتهديد الجاحدين لها:

المقطع الأول:

قال تعالى: [**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ * أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ**] {الملك:١٣-١٧}.

أولاً: التحليل اللغوي:

﴿ **ذلولاً** ﴾: الذُّل بالكسر اللين ضد الصعوبة، يقال: دابة ذلول، والذُّل والذِّل بمعنى واحد. ذَلَّ يذلُّ ذُلاً وذِلّة فهو ذلول، وفي الدعاء: اللهم اسقنا ذُلل السحاب، بمعنى: الذي لا رعد فيه ولا برق، وطريق مذلل: إذا كان موطوئاً سهلاً، وطريق ذليل من طرق ذُلُل [١].

﴿ **النشور** ﴾: النشر: الريح الطيبة، ونشَر الله الميت ينشره نشراً ونشوراً، وأنشره فنشر الميت، أي أحياه. قال الزجاج: يقال نشرهم الله، أي بعثهم، ويقال نشر الميت ينشر نشوراً، إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله، أي أحياه ومنه يوم النشور [٢].

﴿ **الخسف** ﴾: سؤوخ الأرض بما عليها. خُسفت تخسف خسفاً وخسوفاً وانخسفت وخسفها الله. وخسف الله به الأرض خسفاً، أي غاب به فيها. وخسف المكان يخسف خسوفاً معناه ذهب في الأرض، وخُسف بالرجل وبالقوم إذا أخذته الأرض ودخل فيها. وعين خاسفة هي التي فقئت حتى غابت حدقتها في الرأس [٣].

﴿ **تمور**﴾: المور هو الموج والاضطراب، والجريان على وجه الأرض، يقال: مار الشيء موراً، أي تحرك وجاء وذهب. ومارت الناقة في سيرها، ماجت وترددت، ومار يمور موراً إذا جعل يذهب ويجيء ويتردد، ومنه قوله تعالى: [**يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا**] {الطُّور:٩} ، أي تموج موجاً [٤].

﴿**حاصباً**﴾: ح ص ب: والحصباء بالمد الحصى، والحاصب الريح الشديدة تثير الحصباء، والحصب والحصبة الحجارة والحصى، وقيل: حاصباً، أي عذاباً يحصبهم، أي يرميهم بحجارة،

---

(١)ينظر: مختار الصحاح، (١١٣/١)، لسان العرب، (٢٥٨/١١)، القاموس المحيط، (١٠٠٢/١).

(٢)ينظر: لسان العرب، (٢٠٦/٥)، القاموس المحيط، (٤٨٢/١).

(٣)ينظر: لسان العرب، (٦٧/٩).

(٤)ينظر: تاج العروس، (١٥٣/١٤).

وقيل: حاصباً أي ريح تقلع الحصباء لقوتها، ويقال للريح التي تحمل التراب والحصى حاصباً، ويقال للسحاب يرمي بالبَرَد والثلج حاصباً، وقال الفراء [1]: الحصب في لغة نجد ما رميت به في النار [2].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد ذكر ما أعده الله للكافرين جهنم وما فيها وذكر خزنتها وغضبهم على الكافرين وذكر الصورة المقابلة لذلك وهي ما أعده الله للمؤمنين من المغفرة والأجر الكبير جاء تهديد جديد للكفار وللناس أجمعين، ودعوة لهم إلى مراقبته لئلا يغتروا بحلمه وكرمه فذكرهم بأنه يعلم ما تخفي الصدور كعلمه بما يظهر من أفعالهم، فقال تعالى: [**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**] {الملك:١٣}.

ثالثاً: سبب نزول الآية [وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] يذكر الإمام الواحدي[3] في أسباب النزول أن المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فخبره جبريل عليه السلام بذلك، كانوا يقولون أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد ﷺ [4].

رابعاً: التفسير الإجمالي التحليلي:

[**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**] السر والجهر عند الله وفي علم الله سواء لأنه عليم بذات الصدور ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم ما يخطر في القلوب وما تخفيه الضمائر وفيه تحذير من الوقوع في المعاصي لمن يظن أنه لا يعلم بها أحد وقدم السر على الجهر لأنه ما من أمر إلا ويبدأ في النفس ثم يُجهر به، ثم يوضح سبحانه الصورة ويجليها للسامع والناظر والمتدبر بهذه الفاصلة [**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**] فهو سبحانه يعلم السر في

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي، مولاهم الكوفي، النحوي، صاحب الكسائي، قال ثعلب: (نحوي مشهور) لولا الفراء لما كانت عربية وسقطت لأنه خلصها، ولأنها كانت تتنازع ويدعيها كل أحد. وقال ابن الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من النحاة إلا الكسائي والفراء لكفى. ولقب بالفراء لأنه كان يفري الكلام، توفي سنة ٢٠٧هـ، وهو في طريقه إلى الحج. (سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٠/١٢١).

(٢) لسان العرب، (١/٣٢٠)، مختار الصحاح، (١/٧٤).

(٣) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متُّويه أبو الحسن الواحدي، مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل، كان من أولاد التجار، أصله من ساوه (بين الري وهمدان)، مولده ووفاته بنيسابور، الأعلام، للزركلي، (٤/٢٥٥).

(٤) أسباب النزول، للواحدي، ص٣٧٧.

أقوالكم لأنه عليم بذات الصدور فهو يعلم القول قبل أن يخرج من الأفواه ليكون جهراً ولم يتكلم بها [١].

يقول القشيري [٢]: "خوفهم بعلمه، وندبهم إلى مراقبته لأنه يعلم السر وأخفى، ويسمع الجهر والنجوى" [٣]،[**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**] هذه الفاصلة تعليل لاستواء السر والجهر، وبذات الصدور يراد بها القلوب التي هي في الصدور أي عليم بالقلوب وأحوالها وأسرارها وعليم بضمائرها، فكيف بما نطق به وجهر؟! وهو دعوة إلى التقوى والخشية منه سبحانه [٤].

وبعد هذه الآية يذكر ﷻ بعض الأدلة على سعة علمه حتى ينتبه الغافلون ويتوب المذنبون، ويزداد الذين آمنوا إيماناً مع إيمانهم، فيأتي قوله تعالى: [**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**] {الملك:١٤} ألا يعلم من في الصدور من خلقها ولطيفٌ علمه في القلوب والخبير بما فيها من سر ووسوسة، ألا يعلم السر من خلق السر [٥].

ويذكر ابن عطية [٦] اختلاف العلماء في إعراب "من" أما بالرفع اسماً للخالق بمعنى ألا يعلم الخالق خلقه! وأما بالنصب اسماً للمخلوق بمعنى ألا يعلم الله من خلق [٧]،[**وَهُوَ اللَّطِيفُ**

---

(١) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، (٤٢٣/٥)، والتفسير المنير، د. للزحيلي، (٢١/٢٩)، وجامع البيان، للطبري، (٥١١/٢٣)، المحرر الوجيز، لابن عطية، (٣٤٠/٥).

(٢) القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري، الزاهد الصوفي، شيخ خراسان وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة، له مؤلفات عديدة منها: المناجاة – الجواهر – وآداب الصوفية، أجمع أهل عصره على أنه سيد زمانه وقدوة وقته، وبركة المسلمين في ذلك العصر. طبقات الشافعية الكبري، للسبكي، (١٥٦/٥).

(٣) لطائف الإشارات، تفسير القشيري، (٦١٣/٣).

(٤) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، (٢٣٨/٤)، محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، (٢٩١/٩)، تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم، (٦/٩).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، (٣٤٠/٥)، ومعالم التنزيل، للبغوي، (١٢٦/٥)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢١٤/١٨).

(٦) عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية، الإمام الكبير قدوة المفسرين، أبو محمد ابن الحافظ الناقد الحجة أبي بكر المحاربي الغرناطي القاضي، كان فقيهاً عارفاً بالأحكام، ولو لم يكن له إلا التفسير لكفى، كان معاصر للزمخشري قيل وكتاب ابن عطية انقل واجمع واخلص وكتاب الزمخشري الخص واغوص، فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر، الملقب بصلاح الدين، (٢٥٦/٢)، والتقييد الكبير في تفسير كتاب الحق المجيد لأبي العباس التونسي.

(٧) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (٣٤١/٥)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢١٤/١٨)، وفتح القدير للشوكاني، (٣١٢/٥).

الْخَبِيرُ] اللطيف يعلم خفايا الأمور فاعل الأشياء اللطيفة التي تخفى كيفية علمها على أكثر الفاعلين، يقال لطف الله بعباده عجيب ويراد دقائق تدبيره لهم وفيهم، والخبير بالسر وما تضمره القلوب، لا تخفى عليه خافية [1].

وبعد هذا التذكير لنا بعلمه تعالى حتى نكون مراقبين الله سبحانه وتعالى في سرنا وعلانيتنا، وإن السر والعلن في علمه سبحانه سواء، جاء النص القرآني يذكرنا ببعض النعم ويركز على ما بدأت به السورة الكريمة وهو العمل (فامشوا في مناكبها) أنها دعوة أخرى للعمل والسعي ومثل هذه الدعوات في القرآن كثير، فالعمل هو ترجمة فعليه لما علمت وإلا ما فائدة العلم إن لم تظهر آثاره واضحة جلية فالعمل والعلم مرتبطان لا يفترقان، كيف نعمل بدون عمل؟ سوف نخطئ وتتخطفنا الأهواء عن الطريق المستقيم إن لم نكن عالمين.

فلو شاء أحد أن يقول إن سورة "تبارك الملك" هي سورة "الحث على العمل" لكان مصيباً ألم يذكر فيها [**الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**] وقوله تعالى: [**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**] فنعم الله علينا كثيرة [**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**] {النحل:١٨}. [**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**] تذليل الأرض وجعلها مستقرة لا تضطرب ولا تميل هي إحدى نعم الله التي لا تعد ولا تحصى –لا نعرف عدد نعم الله ولا ندرك كذلك فوائدها– وجعل في الأرض الجبال والعيون وكل ما هي لازم للحياة على وجه هذه الأرض فامشوا حيث شئتم في نواحيها وجوانبها وجبالها لتحصيل المكاسب والتجارات، وهذا السعي والمشي والبحث عن الأرزاق لا ينافي التوكل على الله، عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً)** [2]، فهل بقيت الطير في أعشاشها تنتظر الرزق، أم أنها غدت وراحت؟ فالتوكل الحق على الله طريقة الأخذ بالأسباب التي يضبطها الشرع.

وقال الزجاج [3] ذلّل جبالها وسهل لكم السلوك فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهذا أبلغ من التذليل، فالأرض مذللة بمعنى تسهيل السير فيها والاستقرار على ظهرها، [**جَعَلَ لَكُمُ**

---

(١) ينظر: تفسير المراغي، (١٥/٢٩).

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد مسند عمر بن الخطاب ﷺ، (٤٣٨/١)، وابن ماجه باب التوكل واليقين، (١٣٩٤/٢)، وحكم عليه الألباني صحيح.

(٣) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، كان في فتوته يخرط الزجاج، لزم المبرّد، نحوي مشهور، وكان وكان يعطيه كل يوم درهماً مما يكسبه من الزجاج، له تصانيف كثيرة منها معاني القرآن وإعرابه، الاشتقاق، الأنواء، العروض والقافية، وكتاب فعلت وافعلت، أخذ عنه العربية الفارس وجماعة، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، (٦١٣/٦)، سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٣٦٠/١٤)، الأعلام، للزركلي، (٤٠/١).

الأَرْضَ ذَلُولًا] قدم لكم على مفعولي جعل مع أن حقه التأخير للاهتمام والاختصاص بما قدم والتشويق إلى ما أخذ، فهي لينة سهلة يسهل السلوك فيها والقرار عليها [1] وهيأ فيها المنافع وأماكن الزرع والثمار، فسافروا حيث شئتم في نواحيها وأقطارها وأرجائها للكسب والتجارات وذللها لتدركوا وتحصلوا على ما تعلقت به حاجاتكم، من بناء وغرس وطرق للمشي والسفر [2]، وكلوا من رزقه الذي أخرجه لكم من الأرض ثم إليه نشوركم من قبوركم وإليه تبعثون للجزاء والحساب، إن كلمة النشور تذكرنا بما بدأت به السورة الكريمة [**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**] فبعد ذكر النِعم من تذليل الأرض والأكل من رزقه ينبه إلى حقيقة الدنيا وأن نهايتها بالنسبة للإنسان موته، ثم تكون الحياة البرزخية في القبر، وبعد ذلك تبعث من القبور للحساب، فهي دعوة إلى شكر النعم والتقوى بها على أوامر الله ونواهيه فاجتهدوا في الشكر فإنه يسألكم عن هذه النعم [3]، وبعد أن ذكرنا بنعمه ﷻ لكي نشكر وتزداد بهذه النعم إيماناً جاء التحذير والتهديد لمن يكفر بهذه النعم وجحد [**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**] إن الذي ذلل الأرض وجعلها سهلة لسلوكهم وجعلها قرار لكم قادر على أن يجعلها تضطرب وتمور فلا يكون لكم على ظهرها قرارٌ ولا استقرار فتمور بكم كما يمور التراب الموار وهذا يدلل على لطفه بعباده فهو قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادة غيره، فهو يصفح ويمهل ولا يعجل لهم العقوبة مع قدرته على إيقاعها [4].

هذا بالنسبة للعذاب إذا أراده الله من الأرض، وقد ينزل العذاب من السماء فهذا يربطنا بمطلع السورة الجامع لكل ما في السورة من معاني [**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**] إن الذي خلق سبع سموات قادر على أن يرسل من السماء ريحاً من حجارة حصباء يحصبكم بها نكون سبباً في هلاككم [5].

[**أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ**] كل هذه الآيات دلائل على قدرته المطلقة، فالعذاب إما باضطراب الأرض وخسفها بكم، أو من السماء بإرسال الحجارة والحصباء فيهلككم فستعلمون حينئذ أيها المفرطون في كفران النعم التي تخرج لكم من الأرض وتنزل عليكم من السماء وقدم خسف الأرض على أرسل الحاصب لأنه ذكر تذليل الأرض أولاً، ثم

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (١٩٩/٥).

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم، (٧/٩)، محاسن التأويل للقاسمي، (٢٩٢/٩)، تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (١٣/٢٩)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (٨٧٧/١).

(٣) ينظر: تفسير غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، أحمد بن إسماعيل الحنفي، (١٩٩/١).

(٤) ينظر: تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز، (٣٤١/٥)، تفسير ابن كثير، (١٨٠/٨)، فتح القدير، للشوكاني، (٣١٣/٥).

(٥) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي، (٢٤٩/٢٠).

ذكر وكلوا من رزقه فالرزق من السماء كما في قوله [**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**] {الذاريات:٢٢}، فستعلمون بعد هذه الحقائق الماثلة أمامكم ما حال إنذاري وقدرتي على إيقاع هذا العذاب المنذر به إذا عانيتم هذا العذاب وحينئذ لا ينفعكم العلم [١]، إن كل آية في هذه السورة العظيمة تربطنا بمحور السورة ومطلعها الجامع فتبارك الذي بيده الملك وله القدرة على فعل ما يشاء وقت ما يشاء وكيفما يشاء، [**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**] {الأنعام:٦٥} ، فلنشكر الله على نعمه، ولنخشى نقمته وعذابه، حتى نكون من الآمنين في الدنيا والآخرة.

خامساً: وجوه البلاغة [٢]:

(أسروا) (واجهروا) طباق وكذلك "صافات" و"يقبضن"، فالإسرار يقابله الجهر، وكذلك "الصافات" والمعنى صافات وقابضات [٣].

(كبير) (الخبير) سجع ومثلها النشور، الصدور، ومثلها نذير ونكير وبصير وكذلك غرور وكفور [٤].

(ألا يعلم من خلق) استفهام معناه الإنكار، أي كيف لا يعلم ما تكلم به من خلق الأشياء وأوجدها من العدم، ألا يعلم السر ومضمرات القلوب خالقها وموجدها [٥].

سادساً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من الآيات الكريمة:

١- ترشد الآيات إلى تطهير القلوب من الأحقاد والضغائن لأن اللطيف الخبير مطلع عليها فالسر والعلانية عنده سواء، فعلينا أن نملأ قلوبنا بما يحبه ﷻ من إضمار الخير للمسلمين والمحبة والنصح لهم، والإحسان إليهم، قال تعالى: [**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**] {ق:١٦} . وهذه الآيات توجه دعوة للمسلمين كافة للبعد عن النفاق والرياء؛ لأن الذي يقبل العمل هو الذي يعلم السر والعلن.

---

(١) ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية لنعمة الله بن محمود النحجواني، (٤٣٢/٢)، روح المعاني، للألوسي، (١٩/١٥)، فتح القدير، للشوكاني، (٣١٣/٥).

(٢) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، (٢٢٥/١٠). التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (٣٠/٢٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، (٢٢٥/١٠). التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (٣٠/٢٩).

(٤) مفاتيح الغيب، (٥٩/٣٠)، البحر المحيط، (٢٢٥/١٠).

(٥) التحرير والتنوير، (٣٣/٢٩).

٢- تبرز الآيات أهمية مراقبة الله في السر والعلانية مادام الإسرار والجهر سواء عنده ﷻ، فهذه الآيات عنوانها مراقبة الله في أفعالنا وما تخفي صدورنا من نوايا.

٣- تبين الآيات أهمية الخوف من الله، قال تعالى: [**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**] {الملك:١٦} ، إن الذي بيده الملك قادر على تحريكه كيف يشاء فيضطرب بمن عليه فلا تستقر عليه قدم. ألم يخسف بأقوام كذبوا من قبل؟ ألم يرسل على أقوام حاصباً من فوقهم؟ فالخوف من عذاب الله هو طريق إلى الإيمان بالله ورسله.

المقطع الثاني:

قال تعالى: [**أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ * وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ * أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ * أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ * أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**] {الملك: ١٧-٢٤}.

أولاً: التحليل اللغوي:

﴿ **حاصباً** ﴾ ح ص ب: الحصباء بالمد معناها الحصى، والحاصب الريح الشديدة تثير الحصباء، والحصب بفتحتين ما تحصد به النار، أي ترمي به [١].

﴿ **نكير** ﴾ النكير اسم من الإنكار الذي معناه التغيير، وكيف كان نكير: أي إنكاري. وقد ذكره فتنكر، أي غيره فتغير [٢].

﴿ **صافات** ﴾ ص ف ف: الصف السطر المستوي من كل شيء معروف، والطير الصواف التي تصف أجنحتها ولا تحركها، يقال: صفت الطير في السماء بمعنى أنها صفت أجنحتها فلا تحركها، والطير صافات: أي باسطات أجنحتها [٣].

﴿ **لجوا** ﴾ اللَّجاجُ واللجاجَ والملاجة: التمادي في الخصومة، وقيل: هو الاستمرار على المعارضة في الخصام، واللجاج هو التمادي في الأمر ولو تبين الخطأ، وإذا تناديت على الأمر وأبيت أن تنصرف عنه [١].

---

(١) مختار الصحاح، (٧٤/١).

(٢) لسان العرب، (٢٣٤/٥).

(٣) لسان العرب، (١٩٥/٩).

﴿ **مكباً** ﴾: كبب: كبه الله لوجهه من باب رد، أي صرعه، فأكب على وجهه وأكب وانكب بمعنى. والفارس يكب الوحش إذا طعنها فألقاها على وجهها، وكب فلان البعير إذا عقره، ورجل مكباب كثير النظر إلى الأرض [٢].

﴿ **أنشأكم**﴾: نشأ: أنشأه الله، أي خلقه، وأنشأ كذا أي ابتدأه، وأنشأته أي أحدثته، ونشأ الشيء نشأً حدث وتجدد [٣].

﴿ **ذرأكم** ﴾: ذرأ: خلق، يذرؤهم ذرواً، ومنه اشتقاق لفظ الذرية، وذرأ الشيء بمعنى أثّره، قال تعالى: [**يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**] {الشُورى:١١} ، أي يكثركم بالتزويج، والذرية تطلق على نسل الثقلين الإنس والجن، وتطلق على الأبناء والأصول، والجمع ذراري، ويقال: هم ذرء النار أي خلقوا لها [٤].

﴿**تحشرون**﴾: حشر: حشرتهم حشراً جمعتهم، يقال: الحشر: الجمع مع سوق، والمحشر: موضع الحشر، وحشر الناس جمعهم، وقال عكرمة في شرح قوله تعالى: [**وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ**] {التَّكوير:٥} حشرها موتها [٥].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن ذكرت الآيات السابقة بعض البراهين على قدرة الله ﷻ مثل تمكين الطيور من السباحة في الفضاء، وتوبيخ المشركين على طلبهم الرزق والخير من الأصنام، وطلب العون والجند من الأوثان، جاءت هذه الآيات بإعمال حواسهم وعقولهم التي منحها الله إياهم مثل السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: [**قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**] {الملك:٢٣}، ثم وضحت الآيات نهاية هذا الإنسان، وكيف كانت بدايته، قال تعالى: [**قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**] {الملك:٢٤} إنها دلائل واضحة لمن كان له أذن تسمع، أو عين تبصر، أو قلب يفقه، أو عقل يتفكر.

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

---

(١) تاج العروس، للزبيدي، (١٧٩/٦)

(٢) لسان العرب، (٦٩٦/١)، مختار الصحاح، (٢٦٥/١).

(٣) مختار الصحاح، (٣١٠/١)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (٦٠٦/٢).

(٤) القاموس المحيط، (٤١/١)، تاج العروس، (٢٣٣/١).

(٥) المختار الصحاح، (٧٣/١)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (١٣٦/١).

[**وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**] قد كذب قبل مشركين قريش من الأمم السابقة رسلهم فكيف كان إنكاري عليهم بالعذاب الشديد وإهلاكهم وبعد ذكر هذا العرض السريع للأم السابقة وتكذيبهم الرسل وكيف كان عقابهم واهلاكهم، يذكر لنا سبحانه برهاناً ظاهراً واضحاً على كمال قدرته ليكون هذا البرهان حجة على المعاندين، فجاء قوله تعالى [1]: [**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**] الرؤية هنا بصرية لأنها تعدت بـ "إلى" وأما القلبية فتتعدى بـ "في" وكأن هذا البرهان المرئي الذي يراه الجميع مراراً ولا يتدبر معجزته اغفلتم ولم تنظروا إلى الطير وهي باسطات أجنحتهن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن، ما يمسكهن في الجو من السقوط عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الجسماني فإنه يقتضي الهبوط[2] والوقوع إلى أسفل إن الذي أعطاها هذه الميزة والخاصية [3] هو الله وحده، فكما جعلنا نمشي على الأرض جعل هذه الطيور تسبح في الهواء وتجري، فتبارك الذي بيده القدرة على كل شيء [**إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**] يعطي كل مخلوق ما يليق به، ويودع فيه أشياء بمقتضى حكمته ثم يهديه إليه بتوفيقه، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى [4]، إنها القدرة المطلقة التي بدأت بها السورة، فمطلع السورة الجامع الموحي يلاحقنا في كل آية أفبعد هذه القدرة الظاهرة لو سمعوا الآيات سمع من يعقل ويعي ويفكر ويميز وينظر لعرفوا أنه لا مانع لما أراد الله بهم.

[**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ**] لكنه الغرور!! دفعهم إلى البحث عن جند تمنعهم، وقوة تحميهم وتدفع عنهم ما هو واقعٌ بهم فمن يوسع ما قبضه الله ومن يمحو ما أثبته أو يُعجل ما أخره، أو يُعز من أذله [5].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، (١٨٠/٨)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٣١٦/٤)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (٥١٥/٣)،.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٨/٩)، روح البيان، إسماعيل حقي، (٩١/١٠).

(٣) من هذه الخصائص خفة عظامها، وقوة حركة الجوانح، وما جعل لهن من القوادم وهي ريشات عشر هي مقاديم ريش الجناح، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (٤٠/٢٩).

(٤) ينظر: التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري، (٢٦/١٠)، روح البيان، إسماعيل حقي، (٩١/١٠)، محاسن التأويل، للقاسمي، (٢٩٣/٩).

(٥) ينظر: تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (٣٦٠/٩)، لطائف الإشارات للقشيري، (٦١٤/٣).

[**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**] وهذا سؤال آخر على المشركين إن يجدوا له جواباً لو كانوا يعقلون وينظرون ويتفكرون تفكير من ينتفع بفكره وعقله، فهل هناك رازق غير الله؟!، ومن العجيب أنهم بعد كل هذه الآيات والدلائل والبراهين يزدادوا بُعداً عن الحق، وعتواً وعناداً وكفراً، حقاً إنهم لمخدوعين مغرورين، كيف لا يكون هذا حالهم وهم كما قال تعالى عنهم: [**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ**] {يونس:١٨} هذه الآية تزيل العجب في عنادهم وبعدهم كما وصفهم بقوله تعالى: [**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**] {الحج:٤٦} وكما وصفهم خالقهم وهو أعلم بهم: [**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**] {الفرقان:٤٤} .

وانظر كيف وصف القرآن عتوهم ونفورهم باللجوج وهو الإغراق في الشيء ومجاوزة الحد والعتو العناد الشديد [١]، فبعد كل هذه الدلائل والقوارع والزواجر والعبر والعظات من قوله تعالى: [**الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ**] متنقلين من برهان لآخر حتى وصلنا إلى إمساك الرزق، فهل اعتبروا؟ إن الجواب أنهم لجو في عتوٍ ونفور.

[**أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**] هذه بديهة من البديهيات ومثل ضربة الله للكافر والمؤمن فالكافر مثل الذي يمشي ولا يبصر لا عن يمينه ولا شماله ولا بين يديه هل هذا أشد استقامة من الذي يمشي مستوياً على قدميه يبصر عن يمينه وعن شماله وأمامه[٢]، ويقول ابن أبي زمنين [٣] المكب الذي لا يبصر موضع قدميه وهذا مثل الكافر ومثل المؤمن أن يمشي عَدْلاً يبصر حيث يسلك [٤]، وقيل أنها نزلت مثلاً لأبي جهل، وحمزة عم النبي ﷺ وقيل أبو جهل وعمار بن ياسر، وقيل مثلاً لأبي جهل والنبي ﷺ، وقيل هي مخبرة عن حال الكافر والمؤمن يوم القيامة فيمشي الكافر على وجهه ويمشي المؤمن على قدميه معتدلاً

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، (١٠٦٦/١٥)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (٤٣/٢٩).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (٥١٥/٥).

(٣) محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المُري، الإمام أبو عبد الله الألبيري المعروف بابن أبي زَمَنَين، نزل قرطبة، وكان من الراسخين في العلم، متفنناً في الأدب والشعر، من مؤلفاته، منتخب الأحكام، الوثائق، المذهب في الفقه، حياة القلوب، أصول السنة (ت: ٣٩٩هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، للذهبي، (٨٠٧/٨).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زَمَنين، (١٥/٥).

وعندما سئل النبيﷺ كيف يمشي الكافر على وجهه؟ فقال ﷺ إن الذي أمشاه على رجليه يمشيه في الآخرة على وجهه [١].

وأنه يمثل الكافر بالإنسان الذي يمشي على غير عادة العقلاء لخلل في أعضائه واضطراب في رأيه، فهو يمشي على رسم مجهول، وأثر معوج، فهو داخلاً في الكب بنفسه.

فالكافر يمشي وهو يتخبط في الضلالة والجهالة، والمؤمن يمشي رافع رأسه في الهدى والرشاد، فلينظر الإنسان بقلبه وعقله قبل عينيه ليقرر مع من يكون وأي الطريقين يسلك [٢].

وبعد عرض هذين المثلين ليوضح لنا طريق الخير والشر يذكر سبحانه الأدوات التي سخرها لنا وزودنا بها لنسمع ونبصر ونعقل الفرق بين من يمشي مكباً ومن يمشي سوياً.

[قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ] فهذا أمر من الله لنبيه بتوجيه الخطاب للكفار تذكيرا وتنديداً وتقريراً بأنه سبحانه هو الذي خلقهم ووهبهم نعمة السمع والبصر والعقل، وخص هذه الجوارح لأنها أداة العلم والفهم والمعرفة ورغم ذلك قلما تشكرون ربكم على نعمه التي لا تحصى [٣].

ألم تسمعوا كلام الرسل وإرشاداتهم لكم؟ لكنكم عطلتم حاسة السمع ولم تسمعوا الخير الذي فيه مرضاة الله فلم تشكروا الله على هذه النعمة، بل سمعتم ما أمركم الله بعدم سماعه.

ألم تنظروا في بدائع ما خلق الله من هذه الأشياء حولكم، ألم تتأملوا بقلوبكم وعقولكم في مخلوقات الله، وحقائق الأشياء، أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور!.

إن هذه الحواس لو استخدمها الإنسان بفطرة سليمة، حتماً سيتعرف على خالقه الذي وهبه هذه النعم، وعندها سيشكره بالعمل فيستخدمها فيما يرضي الله ورسوله، لكن واقع الناس قليلاً ما تشكرون، فقد يكون الشكر قليلاً وقد يكون الشكر معدوماً [٤].

وتتوالى البراهين على كمال قدرة الله سبحانه فبعد برهان الرزق وأنه القادر على إمساكه وحبه، وبعد برهان الطيور وتحليقها أمامكم، وبرهان الخلق والإنشاء وما أعطاكم من سمع وبصر

---

(١) ينظر: الوجيز، لابن عطية، (٣٤٢/٥)، وينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (٥٩٥/٣٠)، ينظر: نظم الدرر، للبقاعي، (٢٥٧/٢٠).

(٢) ينظر: بيان المعاني (مرتب حسب ترتيب النزول)، لعبد القادر العاني، (٣٩٧/٤).

(٣) ينظر: التفسير الحديث، لمحمد عزت دروزة، (٣٨٢/٥)، صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، (٣٩٦/٣)، التفسير الوسيط، للزحيلي، (٢٧٠٤/٣).

(٤) ينظر: تفسير الوسيط، للزحيلي، (٢٧٠٤/٣).

وأفئدة يأتي برهان آخر وهو: [**قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**] قل لهم يا محمد ﷺ أن الله هو الذي خلقهم ووزعهم في الأرض للتكاثر، وبعد هذا التوزيع والانتشار يجمعكم كما يفرقكم، ويعيدكم كما بدأكم إلى يوم لا ريب فيه لتحشرون للحساب والجزاء [1].

وهكذا نجد أن كل آية مرتبطة بمحور السورة ومطلعها الجامع الموحي، ففي الآية السابقة بذكرنا بالحشر وما فيه من حساب وجزاء وفي المطلع [**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**] فالذي نشركم ووزعكم على الأرض للحياة فيها وبعد الموت جمعكم ليوم الحساب، وهذا يذكر بمطلع السورة أيضاً، هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً.

وكذلك نرى أن هذا المقطع القرآني من هذه السورة والذي بدأ من قوله تعالى: [**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ**] إلى آخر المقطع وهو [**وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**] مرتبط كله بمطلع السورة الجامع الذي تدور حوله جميع الصور خلال آيات السورة، فبعد عرض دلائل قدرته سبحانه، وتذكيرنا ببعض نعمه ثم وضح سبحانه وتعالى النهاية الحتميه للمخلوقات من حشر، وجزاء.

ومع ذلك فالصورة الظاهرة [**قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**] ومثالها [**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**] {سبأ:١٣} ، وبعد ذلك يأتي الجزاء والحساب، لماذا أهمل الكفار هذه الحواس ولم يستخدموها لفهم ما عرضته السورة من براهين ودلائل وحجج على قدرة الله وعلمه، لكنّ صورتهم واضحة [**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**] {محمد:٢٤} .

رابعاً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من هذا المقطع القرآني:

١- تظهر الآيات الكريمة مسيرة الحياة، منذ البداية وحتى النهاية وهي إما جنة وإما نار بعد الحشر والحساب، فهو الذي ذرأ مخلوقاته وإليه يحشرون.

٢- ترشد الآيات في هذا المقطع القرآني إلى إعمال العقل بالفكر والقلب بالتدبر، وإعمال السمع حتى تصل المعلومات إلى العقل ليحللها ثم إلى القلب ليتدبرها، وإلا فلماذا السمع والبصر والفؤاد؟!

٣- إننا نقف أمام هذه الآيات على مفترق طرق نتساءل ، هل نريد العزة والنصر أم نريد الغرور والضلال، فإذا بحثنا عن جنود تنصرنا وقوة تحمينا من دون الله مهما كان ظاهر هذه الجند من القوة والغلبة فهذا لا محالة هو طريق الغرور، بل هو الغرور نفسه، فالنصر الحقيقي يأتي

---

(١) ينظر: الوسيط، للزحيلي، (٢٧٠٤/٣)، أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف الخطيب، (٧٠٠/١)، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (١٠٦٧/١٥).

بالاعتصام والاعتماد على صاحب القوة الحقيقية ألا وهو الله، ولكن ما بال الأمة الإسلامية تغطي على القلب حتى لا يفقه، وتغمض الأعين حتى لا تبصر، وتغلق الآذان حتى لا تسمع، مع أن القرآن يحث دائماً على التفكر والتدبر والفهم.

٤- إن كل آية في هذا المقطع لهي عالمٌ جديد يفتح أمامنا لننظر عظمة الله في هذا العالم، وإذا أمعنا النظر وأعملنا الفكر وتركنا العنان للسان لنطق بمطلع السورة الجامع الموحى، الذي يشدنا كلما دخلنا في عالم من هذه العوالم، فإذا دخلنا عالم السر والجهر وما تكنه وتضمره الصدور أو عالم الأرض وجبالها ونواحيها وأرجائها وأطرافها أو عالم الطيور وعجائبه، أو عالم الأرزاق وتوزيعها بحكمةٍ وقدرة، كل هذه العوالم تطالبنا بأن نسمع عنها وننظر فيها، ونتفكر ونحلل بعض أسرارها، لتقول [**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**] {الملك:١} .

٥- تبرز هذه الآيات مدى قصر هذه الدنيا وفناءها ألم يقل سبحانه [**ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**] دون أن يفصل بكلام بينهما، أمر عجيب **(ذرأكم – تحشرون)** وهذا منبه لنا أن نستعد ونتأهب ليوم الحشر القريب، فعلاً من تأمل هاتين الكلمتين يلمس السرعة العجيبة، وكذلك قوله تعالى: [**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**] منبه آخر يحثنا على أن نكون حذرين مستعدين، (مشى – أكل – نشور) تأمل هذه الكلمات وما بينها من كلام محذوف، نستطيع أن نكتب بين كل كلمة وأخرى كتب كثيرة، فلماذا نمشي وكيف ولمن، ولماذا نأكل وماذا وكيف نأكل، لكنها السرعة العجيبة، إنها كلمح البصر أو أسرع.

٦- تبين الآيات أن العزة في هذه الدنيا لله وحده، ومن أراد العزة والنصر من عند غير الله، فهذا غرور ووهم، قال تعالى: [**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**] {آل عمران:١٦٠} .

٧- ترشد الآيات إلى الاعتبار من أحوال الأمم السابقة حتى لا نقع فيما وقعوا فيه من عقاب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أكبر، قال تعالى: [**وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**] {الملك:١٨} .

٨- توجه الآيات الأمة الإسلامية إلى قضية مهمة وخطيرة ألا وهي قضية الرزق، وأن الرزق هو بيد الله وحده، فلو أمسك رزقه فمن يستطيع أن يأتي به؟! وهذا ما جعل الأمة تتوجه للغرب تارة وللغرب أخرى للبحث عن الرزق، ولم تتفكر في قوله تعالى: [**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**] {الملك:٢١}.

المطلب الثالث: إثبات البعث وتهديد الكافرين وبيان لبعض النعم (الآيات ٢٥-٣٠):

قال تعالى: [**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**] {الملك:٢٥-٣٠}.

مقدمة:

كان الكفار يجادلون النبي كثيراً، ولم يكن هذا الجدال هدفه الوصول إلى الحق، ولكن للعناد والاستهزاء والسخرية بالرسول ومن آمن معه، فكانوا يسألونه عن البعث متى يكون، ويسألونه عن الساعة، فردّ عليهم سبحانه بأن أوحى للنبي قرآناً، يتلى إلى يوم القيامة بأن العلم عند الله وحده، وأن مهمة الرسولﷺ البلاغ [١] .

أولاً: التحليل اللغوي:

﴿ **سيئت وجوه الذين كفروا** ﴾: أي تغيرت مسودة. س و أ: ساءه ضد سره، ساءه يسوؤه سوءاً ومساءة: فعل به ما يكره [٢].

﴿ **غوراً** ﴾: غائراً، مصدر يوصف به الاسم فتقول: ماء غور، وماءان غور، ومياه غور، وغور يقال ماء غور وغائر. والغور: القعر من كل شيء، والغؤور والإغارة والتغوير: الدخول في الشيء، وذهاب الماء في الأرض، يقال: ماء غائر أي ذهب في الأرض، وغارت الشمس غياراً، وغؤوراً وغورت أي غابت [٣].

﴿ **معين** ﴾: ماء معين: أي ماء سهل، وجاري، والوادي كثير فيه الماء سهل تناوله فهو معين، والأرض تتابع عليها المطر فأرواها فهي ممعونة، ومعين: الموضع أو النبت روي من الماء [٤].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

---

(١) معاني القرآن، للزجاج، (١٩٩/٥)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى الجزائري، (٤٠٢/٥)، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المؤلف لجنة من علماء الأزهر، (٨٤٣/١)، إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، (١٦٠/١٠).

(٢) مختار الصحاح، (١٥٦/١)، لسان العرب، (٩٥/١).

(٣) القاموس المحيط، (٤٥٢/١)، المختار الصحاح، (٢٣١/١).

(٤) المعجم الوسيط، (٨٧٨/٢).

بعد أن ذكرت الآيات السابقة تخويف القرآن الكريم للمشركين وذكر غرورهم وبيان قدرة الله ﷻ على مسك الرزق، وبعد أن صورت حال المشركين كالأعمى الذي يمشي ويتعثر على وجهه، جاءت هذه الآيات لتبين مطالب المشركين الذي يظهر فيها عنادهم وجحودهم وهو سؤالهم عن معرفة وقت حصول العذاب، ومتى البعث والحشر والحساب، قال تعالى: [**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**] {الملك:٢٥} .

ثالثاً: التفسير الإجمالي التحليلي:

[**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**] بعد أن ذكر سبحانه في الآية السابقة [**قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**] فالحشر للجزاء والحساب فإما جنة وإما عذاب فيحاسب كلٌ على عمله، قال الكافرون مستهزئين كعادتهم متى هذا الحشر؟ متى يوم القيامة؟ متى هذا الوعد؟ متى ما وعدتنا به في الدنيا من خسف وحاصب، ومتى الحشر يوم القيامة قل لهم يا محمد إنما علم وقت وقوعه لا يعلمه إلا الله.

أما علم الوقوع فكل مؤمن يعلم علم اليقين بأنه واقعٌ أما علم وقته فهذا الوقت لا يعلمه إلا الله وحده، فالعلم بالوقوع غير العلم بوقوع الوقوع، فالعلم الأول معلوم لدى الرسول ﷺ وكل مؤمن به، أما العلم الثاني وهو وقت الوقوع فلا يعلمه إلا الله [١].

ويحتمل أن يكون سؤالهم عند نزول العذاب بهم في الدنيا من خسف وحاصب، أو يكون عن يوم القيامة والحشر ويجعلون سؤالهم هذا دليلاً على صدق الرسولﷺ ومن معه فيقولون لهم [**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**] أي أخبرونا عن هذا الوعد.

ثم أمر الله سبحانه نبيه ورسولهﷺ أن يجيبهم ولا يجاريهم في استهزائهم وتهكمهم، وهذا الجواب من دلائل نبوته ورسالته، إذ لو كان الأمر كما يدّعون أنه من عند محمد ﷺ وأنه يتقول القرآن لأجابهم بجواب بوقت الوقوع ولو بجواب بعيد الحدوث كأن يخبرهم أنه سيحدث بعد ألف سنة أو ألفين، لكنه اسند العلم لله وحده وأنه مبلغ ما أرسل به لا يزيد عليه حرفاً واحداً، وأنه يخبرهم ما أخبره الله به، فالرسول ﷺ ينذر بوقوع الموعود لا محالة وأما وقته فليس من وظائف الإنذار [٢].

---

(١) ينظر: الوجيز، للواحدي، (١١١٩/١)، تفسير القرآن، للسمعاني، (١٤/٦)، مفاتيح الغيب، للرازي، (٥٩٧/٣٠)، في رحاب التفسير، (٧٣١١/٢٩)، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (٣٢١/٤)، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٤٩/٢٩).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، (٣٤٣/٥)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٢٠/١٥)، ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (٥١٦/٣)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٠/٩).

[**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ**]وبعد سؤالهم عن العذاب بصورة المستهزئ المتهكم ينتقل المشهد مباشرة إلى عذاب يوم القيامة الذي سألوا عنه، وهذا بلفت النظر إلى قرب هذا اليوم، يقول الإمام الخازن [1] رحمه الله فلما رأوه يعني العذاب يوم القيامة على قول أكثر المفسرين، وقيل العذاب ببدر زلفة أي قريباً واقعاً حاضراً سريعاً علت وغشيت وجوههم الكآبة والقتر والذلة، وقيل لهم هذا الذي كنتم تستعجلون به وتطلبون حدوثه وهذا نظير قولهم [**وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**] {الأنفال:٣٢} .

(به تكذبون) قدم الجار والمجرور على العامل للاهتمام والاختصاص بإخطاره، والرعاية الفاصلة والقائل لهم هم خزنة النار على سبيل التقريع والتوبيخ [2]، فعندما رأوا ما كانوا يستعجلون به ويسألون النبي متى هو، وأصبح منهم قريباً ورأوه عياناً ساءهم وأفظعهم، فتغيرت وجوههم، ووبخوا على تكذيبهم.

(فلما) الفاء فصيحة لأنها اقتضت جملة محذوفة بمعنى فحلَّ بهم الوعد فلما رأوه سيئت وجوههم، **(ولما)** حرف توقيت أي سيئت وجوههم وقت رؤيتهم الوعد، فيقال لهم هذا الذي كنتم تمترون فيه وتختلفون وتشكون أنه لا يكون وتستعجلونه وتدعون على أنفسكم بإمطار العذاب إن كان هذا حق[3].

[**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**] روى أن كفار مكة كانوا يدعون على الرسول ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك فنزلت الآية الاستفهام في **(أرأيتم)** إنكاري والرؤية علمية بمعنى أرأيتم أنفسكم ناجين من العذاب الأليم إن هلكت ومَنْ معي من المؤمنين، ن هلاكنا لا يدفع عنكم العذاب الذي أعده الله للكافرين، فهل موت النبي ﷺ والمؤمنين يجيرهم من عذاب الله؟، حتى يتمنوا الهلاك له ولمن معه، وكان الكفار يرددون في مجالسهم هذه

---

(١) هو علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي علاء الدين المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث من فقهاء الشافعية، بغدادي الأصل ولد فيها وسكن دمشق، كان خازن للكتب بالمدرسة السمياطية بدمشق، توفي بحلب، من كتبه عمدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام، الأعلام، للزركلي، (٤/٥).

(٢) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (٣٢١/٤)، تفسير الماوردي، النكت والعيون، (٥٧/٦)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٠/٩)، التفسير الحديث، محمد عزت دروزه، (٣٨٢/٥)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (٥٠/٢٩).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (٨٧٨/١)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (٤٩/٢٩)، تفسير الماوردي، النكت والعيون، (٥٧/٦).

الأمنيات وهذه الدعوات بالهلاك للرسول ومن معه، كما في قوله تعالى حكايةً عنهم [**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**] {الطُّور:٣٠} [١].

والمراد بالهلاك في هذه الآية الموت، والرحمة في الحياة، بمعنى أن الرسول ﷺ أمر بأن يوجه لهم سؤال بأن يخبروه عن فائدة أو منفعة إذا أهلكه الله بمعنى أماته أو رحمه بتأخير الأجل فلو فرض أن وقع ذلك، فهل هذا ينجيهم [٢].

و يلفت سيد قطب رحمه الله إلى التعبير في قوله [**فَمَنْ يُجِيرُ الكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**]، إنه لم يصرح وينص على أنهم كافرون فلم يقل فمن يجيركم إنما لوّح لهم بالعذاب الذي ينتظر الكافرين وهذا أسلوب دعوي حكيم، يخوفهم من ناحية، ويترك لهم فرصة للإيمان والتراجع عن الكفر، فلو واجههم بأنهم كافرون فسوف يزدادوا جهلاً وحماقة وتأخذهم العزة بالإثم وهذا الأسلوب في القرآن كثير، كما في الآية التي تليها [**فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**] {الملك:٢٩}، حيث لم ينص على أنهم في ضلال مبين، وترك الأمر بقوله (فستعلمون) وأمثلته في القرآن كثيرة كما في قوله: [**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**] {سبأ:٢٤} ، وهذا أسلوب حبذا لو تعلمنا منه في التعامل مع الآخرين المعارضين لنا سواء في الدين أو الفكر، ففي بعض الحالات يكون التلميح أبلغ من التصريح، ألم يؤمر حبيبنا محمد ﷺ أن يدعوا بالحكمة والموعظة الحسنة [**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**] {النحل:١٢٥} هذه دعوتنا وذاك سبيلنا فأين السالكين؟! [٣].

والحمد لله الذي أمدّ في أجل النبيﷺ حتى أنزل عليه [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**] {المائدة:٣}، [**قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**]، يطرح صاحب الكشاف سؤالاً لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا؟ وأجاب أن في كلمة "آمنا" تعريض بالكافرين كأنه قيل: آمنا ولم نكفر كما كفرتم، وعليه توكلنا خصوصاً ولم نتكل على غيره كما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم [٤].

[**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**] هذا تذكير أخير في هذه السورة بالنعم وفيه تحذير أيضاً من زوالها فالذي أمدّكم بالنعم قادر على إمساكها، إن هذه الآية الأخير لتعيدنا

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (٥٢/٢٩)، التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، (٣٨٣/٥)، التفسير الوسيط، للزحيلي، (٢٧٠٦/٣).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، (٣٠/١٥).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣٦٤٧/٦).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (٥٨٣/٤).

إلى محور السورة ومطلعها الجامع والذي ترتبط فيه كل المشاهد التي عرضتها السورة، فالذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، يعطيه من يشاء ويمنعه ممن شاء، لأنه صاحب القدرة المطلقة.

ويأمر الله سبحانه نبيه محمد ﷺ أن يسألهم أخبروني أيها الجاحدون لنعم الله التي لا تحصى لو أصبح هذا الماء الذي بين أيديكم غوراً بمعنى لا تناله الأيدي ولا الدلاء، أو ذاهباً في الأرض بالكلية حتى تدخل الأساليب الحديثة في إخراجه فلا تستطيع ذلك لأن الذي رزقكم إياه يريد أن يمنعه فمن يأتيكم بماء معين جاري سهل الأخذ تناله الأيدي والدلاء بسهولة؟ [١].

ويذكر الألوسي [٢] رحمه الله أن هذه الآية تليت على سماع واحد المستهزئين فلما سمع **(فمن يأتيكم)** قال تأتي به الفئوس والمعاول، فذهب ماء وجهه [٣]، نعوذ بالله من الجرأة على الله والاستهزاء بنعمه وقدرته ونسأله الحفظ والسلامة من كل سوء وشر في الدنيا والآخرة.

والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرِّين ببعض نعم الله ومنها إمدادهم بالماء ليريهم قبح ما هم فيه من الكبر والجحود والعناد والضلال، فإن الجواب المتوقع على سؤال فمن يأتيكم بماء معين؟ فلا يوجد أمامهم إلا جواب واحد وهو أن يقولوا الله، فيقال لهم حينئذ كيف تجعلون من لا يقدر على شيء شريكاً له في العبودية [٤].

رابعاً: وجوه البلاغة:

[**آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا**] فيه تقديم وتأخير، قدم المفعول في قوله "وعليه توكلنا" وأخره في قوله: "**آمنا به**" وهذا كما يقول صاحب الكشاف تعريضاً بالكافرين، كان قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم، وقدم **(عليه توكلنا)** لم نتوكل على أحد غيره كما أنتم متوكلون على أموالكم ورجالكم [٥].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (٢٦٥/٦)، بتصرف يسير.

(٢) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر محدث أديب، من المجاهدين، ولد ومات ببغداد، سلفي الاعتقاد، مجتهداً، من مؤلفاته: روح المعاني، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ومؤلفات أخرى، ونسبته الألوسي إلى جزيرة ألوس في وسط نهر الفرات، الأعلام، للزكلي، (١٧٧/٧).

(٣) ينظر: تفسير الألوسي، روح المعاني، (٢٤/١٥).

(٤) التفسير الوسيط، للزحيلي، (٢٧٠٧/٣)، محاسن التأويل، للقاسمي، (٢٩٥/٩)، تفسير المراغي، (٢٥/٢٩).

(٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، (١٦٢/١٠)، الكشاف، للزمخشري، (٥٨٣/٤).

[**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا**] استفهام إنكاري تعجبي أنكر اندفاعهم إلى أمنيات ورغائب لا يحصلون من حدوثها نفعاً لكنها نفوسهم الخبيثة والحقد والحسد الذي يملأ قلوبهم على محمد ﷺ ومن معه.

[**فَمَنْ يُجِيرُ الكَافِرِينَ**] استفهام إنكاري بمعنى لا يجيرهم منه أحد [(١)].

خامساً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من هذا المقطع القرآني:

١- ترشد الآيات الكريمة إلى أن المؤمن لا يتوكل إلا على الله وحده، وكأن التوكل على الله وحده دليل على الإيمان، وقوله تعالى: [**قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا**] {الملك:٢٩} . يقول الإمام الغزالي [(٢)] رحمه الله: قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب، بل هذا ظن الجهال، وإنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمٍ إلى مقاصده، وسعي العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب منفعة كالبحث عن الرزق وغيره، أو لحفظ شيء نافع موجود كالادخار، أو لدفع ضار لم ينزل كدفع الصائل والسباع، أو إزالة ضار كالتداوي [(٣)].

٢- ترسم لنا الآيات صورتين متقابلتين، صورة الكافر حين يرى العذاب أمامه قريباً واقعاً به، وكيف يساء وجهه فهذا العذاب الذي كان يستعجله ويسأل عنه، وعن وقت حدوثه، إنها صورة زاجرة لأهل المعاصي إذا قرأوها وتدبروها، والصورة الأخرى التي تقابلها صورة المؤمن الذي يجيره الله من تلك الأهوال؛ لأنه آمن بالله وتوكل عليه.

٣- لو أمعنا النظر في السؤال الأخير في السورة الكريمة، قوله تعالى: [**فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**] {الملك:٣٠} فلو بحثنا عن أجوبة لهذا السؤال لوجدنا أن جميع الأجوبة سوف ترشدنا وتدلنا

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (٥٢/٢٩).

(٢) محمد بن محمد بن أحمد الإمام زين الدين أبو حامد الغزالي، الطوسي، ولد سنة ٤٥٠هـ، الفقيه الشافعي، حجة الإسلام، لزم إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، سار أنظر أهل زمانه، من أشهر مؤلفاته: الوجيز ، البسيط، وإحياء علوم الدين، وله في أصول الفقه كتاب: المستصفى، ونسبته الغزالي لأن عمل والده كان يغزل الصوف ويبيعه، توفي سنة ٥٠٥هـ. (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، (٦٣/١١)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، (٢١٧/٤)، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، (١٩٣/٦).

(٣) ينظر: تفسير الماوردي (النكت والعيون)، (٥٧/٦)، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، (١٨١/٨)، روح المعاني، للألوسي، (٢٤/١٥).

على محور السورة ومطلعها الجامع [**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**] {الملك:١} ، فالله هو الذي يأتي بالماء وليس أحد سواه، وليس كما يظن بعض الملحدين أن الماء تأتي به المعاول والفؤوس أو الآلات الحديثة.

٤- ترشد الآيات إلى عدم الإكثار من الأسئلة التي لا يضر الجهل بها، ولا ينفع كثيراً العلم بها، بل ينبغي على المؤمن أن يهتم بما وراءه عمل، ولا نكثر من القيل والقال، فلما سئل النبي ﷺ عن الأهلة مثلاً نزل الجواب من السماء بما ينبني عليه عمل، وعندما سأل رجل النبي ﷺ عن الساعة [١] فقال له النبي ﷺ: وما أعددت لها؟ فلما يجبه النبي ﷺ إلا بما ينبني عليه عمل، وهو الإعداد للساعة والعمل بها.

سادساً: الخلاصة:

إن سورة تبارك أشبه بنهر ممتد متدفق ينبع من خلق الموت والحياة وينتهي بيوم النشور والحشر، إن كل آية من هذه السورة تعد جدولاً يخرج من هذا النهر ليعرف العلماء كلٌ حسب طاقته فهذا يغرف أحكاماً وذاك يغرف فقهاً وعلماً وآخر يغفر مواعظ وإرشادات وهناك من يعرف مقاصد واهداف وهدايات، لكن الأمر العجيب أنه مع كثرة الآخذين على مر الزمان واختلاف ما يأخذون فإن التدفق لا يتغير في هذا النهر الممتد، إن كل جدولاً من هذا النهر سهماً يشير إلى عالم مستقل في هذا الكون فالسموات طباقاً، والنجوم وما فيها من عجائب وفوائد، وهذه النار التي تتميز من الغيظ، وهذه الأفواج التي تدخلها، والفريق الآخر الذي له مغفرة وأجر عظيم، وهذه الأرض وما فيها من أرزاق وجبال وسهول وغيرها، والتذكير بالخسف والحاصب الذي كان يرسله الله على الأمم السابقة وعرض صوره للمهتدي وكيف يمشي مستوياً والكافر المكب على وجهه وهذا الانتشار ليكون بعده الحشر.

كل هذه الصور وكل هذه العوالم تحتاج إلى أدوات لدخولها والغوص في أعماقها، هل يعرض لنا سبحانه هذا كله، ولا يعطينا ما نفتح به هذه العوالم وما تبصر هذه الصور وما نبحر به في هذا النهر المتدفق، والجواب هذا ليس مجدي إن لم يعطينا الأدوات للغوص والتعمق والإبحار، والانتشار على هذه الأرض، لكننا وجدنا هذه الأدوات وفي نفس السورة الكريمة أنه السمع والبصر

---

(١) عن أنس ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا نبي الله متى الساعة؟ فقال: (وما أعددتَ لها)، قال: ما أعددت لها من كبير إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: (المرء مع من أحب)، قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام أشد مما فرحوا يومئذ. (صحيح مسلم، باب المرء مع من أحب، (٢٠٣٢/٤)، ولفظه أيضاً فإنك مع من أحببت.

والفؤاد، فنسمع عن الأشياء البعدية عنا والأحداث التي حدثت بعيداً من زماننا، ونبصر سماؤنا الدنيا وما فيها، والأرض وما نستطيع رؤيته من جبال وأنهار وسهول، ثم يأتي الفؤاد ليميزنا عن باقي المخلوقات بالفكر والتعقل.

ما أعظم هذه السورة وكم فيها من قضايا تحتاج إلى تأمل فهي ليست مقصورة على ثلاثين آية، وثلاثمائة وثلاث عشرة كلمة، أن معانيها وما تحمله أكبر من ذلك بكثير، أنها ممتدة من الخلق وبدايته إلى أن يشاء الله، سيظل كل وارد يأخذ حاجته ويروي ظمأه وظمأ من معه، وسيظل ماؤها معيناً جارياً.

الفصل الثاني

تعريف عام بسورة القلم وبيان المقاصد والأهداف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف عام لسورة "القلم".

المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

المبحث الأول

تعريف عام بسورة "القلم"

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.

المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة، والجو الذي نزلت فيه.

المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس.

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة الكريمة.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها:

أولاً: اسم السورة:

سميت سورة "القلم" لافتتاحها بما أقسم الله به، وهو القلم، وأقسم بالقلم ﷻ كما أقسم في سور أخرى بمخلوقاته مثل "الطور، والسماء والطارق، والليل، والضحى... وغير ذلك من مخلوقاته التي أقسم بها.

وهنا أقسم بالقلم تعظيماً له ولما فيه من منافع وفوائد ، وسميت هذه السورة في معظم التفاسير وفي صحيح الإمام البخاري سورة (نون والقلم) على حكاية اللفظين الواقعين في أولها[١].

وبعض المفسرين يسميها سورة (نون) بالاقتصار على الحرف المفرد الذي افتتحت به السورة، مثل ما سميت به سورة ص، ق، وكذلك سميت سورة "القلم" في بعض المصاحف [٢].

ثانياً: ترتيبها:

أولاً: ترتيبها من حيث النزول:

هناك اختلاف في ترتيب السورة من حيث النزول على عدة أقوال منها:

القول الأول: إنها السورة الثانية من حيث النزول بعد سورة "اقرأ باسم ربك الذي خلق" واستدلوا بأحاديث منها، عن عمر بن دينار قال: سمعت عبيد بن عمير يقول: **(أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم نون)**، وكذلك روى هذا المعنى عن مجاهد وبعض كتب التفسير تذكر انها نزلت بعد أقرأ [٣]، ويقول سيد طنطاوي أن الروايات التي تذكر أنها الثانية من حيث النزول كثيرة [٤]، وقد رتبها بدر الدين الزركشي في السور المكية وجعلها الثانية بعد اقرأ [٥].

---

(١) ينظر: التفسير المنير، (٤١/٢٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٥٧/٢٩).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، (١٤٧/٦)، ولم أجد الحديث إلا عنده، الكشاف، ٤-٥٨٤، (التفسير القرآني للقرآن، (١٠٧٤/١٥)، روح المعاني، (٢٦/١٥)، التفسير المنير، (٤٣/٢٩)، وجعلها صاحب التفسير الحديث (محمد عزت دروزة) الثانية بعد اقرأ لأن تفسيره مرتب حسب النزول، وذكر صاحب الاتقان (السيوطي) أنها الثانية من حيث النزول.

(٤) التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٣٤/١٥).

(٥) البرهان في علوم القرآن، (١٩٣/١).

القول الثاني: يرى بعض العلماء أنها الرابعة من حيث النزول، نزل قبلها سورة اقرأ، المدثر، والمزمل [١].

القول الثالث: يرى بعض العلماء أنه لا يمكن تحديد التاريخ الذي نزلت فيه هذه السورة، كما يصعب تحديد هل نزلت جملة أم على مراحل [٢].

القول الرابع: إن سورة القلم، نزلت بعد ثلاث سنوات على الأقل من بدء الدعوة، وهذه الفترة لا يعقل أنها مرت دون أن ينزل قرآن، فهناك سور كثيرة نزلت قبل هذه السورة [٣]، وأصحاب هذا القول وعلى رأسهم سيد قطب رحمه الله يستشهدون من خلال السياق على ما ذهبوا إليه، فسياق الآية يدلل أنها نزلت بعد طائفة من الآيات تذكر الأمم السابقة وأحوالهم وأخيارهم، والتي ردوا عليها في سياق السورة بقولهم "أساطير الأولين".

وذلك قوله تعالى في السورة [**وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**] {القلم:٥١} ، فهذا مشهد يصور الدعوة العامة وليست الفردية التي كانت في بداية الدعوة والتي استمرت على الأرجح ثلاث سنوات تقريباً.

وكذلك ورد في سياق السورة عروض المشركين على النبي ﷺ وهذا في قوله تعالى: [**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**] {القلم:٩} ، فهذا كأنه عرض من المشركين للتهادن مع النبيﷺ للالتقاء في منتصف الطريق، وهذه العروض لا تكون في الدعوة الفردية بل في العلنية[٤].

ونخرج من هذه الأقوال أنه من الصعب تحديد ترتيب هذه السورة بالضبط لكثرة الأقوال، حتى إنه نُقل أنها أول سورة نزلت في القرآن، و الذي يميل الباحث إلى ترجيحه هي أنها من أوائل السور، وأنها نزلت في الدعوة العلنية، حيث جاء في صدر السورة قوله تعالى: [**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**] {القلم:٢}، فنفى الجنون الذي اتهم به ﷺ من قبل الكفار كان في بداية الدعوة العلنية[٥].

ثانياً: ترتيب السورة في المصحف:

فترتيبها الثامن والستون، فهي في المصحف الشريف بعد سورة "الملك" وقبل سورة "الحاقة".

---

(١) التفسير الوسيط، (٣٣/١٥).
(٢) في ظلال القرآن، (٣٦٥٠/٦).
(٣) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٣٤/١٥).
(٤) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٥١/٦).
(٥) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٥١/٦).

ثالثاً: عدد آياتها:

اتفق العادون على عد آياتها ثنتين وخمسين آية [١]، فعدد آياتها: اثنتان وخمسون آية، وعدد كلماتها ثلاثمائة كلمة وعدد حروفها ألف ومائتان وستة وخمسون حرفاً [٢]، وذكر الألوسي الإجماع على عدد آياتها [٣].

المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه:

أولاً: زمان ومكان نزول السورة:

مكان نزول السورة مكة لا خلاف فيها بين أحد من أهل التأويل [٤]، وبذكر الماوردي [٥]، أنها مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس أن فيها آيات مدنية وهي من قوله تعالى: **(إنا بلوناهم ... إلى قوله لو كانوا يعلمون)** يعني قصة أصحاب الجنة.

وكذلك الآيات من قوله تعالى (فاصبر لحكم ربك) إلى قوله تعالى (فجعله من الصالحين) فهو مدني [٦].

ويذكر ابن الجوزي [٧] أنها مكية بإجماعهم إلا أن ما حُكي عن ابن عباس وقتادة أن فيها

---

(١) التحرير والتنوير، (٥٨/٢٩).

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، (٣٣٢/٦)، اللباب في علوم الكتاب، (٢٦١/١٩)، تفسير الثعلبي= الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (٥/١٠)، التفسير القرآني للقرآن، (١٠٧٤/١٥)، في رحاب التفسير، (٧٣٣١/٢٩).

(٣) روح المعاني، (٢٦/١٥).

(٤) زاد المسير، (٣١٨/٤).

(٥) علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري المعروف بالماوردي، كان من وجوه الفقهاء الشافعيين له تصانيف عدة في أصول الفقه وفروعه، ومن تصانيفه (أدب الدنيا والدين)، (الأحكام السلطانية)، (قانون الوزارة وسياسة الملك)، (الإقناع في المذهب)، قال أبو عمر بن الصلاح: هو متهم بالاعتزال، وكنت أثاول له وأعتذر عنه، وهو مع بدعه من كبار العلماء فلو أننا أهدرنا كل عالم زل لما سلم معنا إلا القليل، توفي الماوردي سنة ٤٥٠هـ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (٧٥١/٥).

(٦)النكت و العيون (٥٩/٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٤٥/٥).

(٧) الشيخ الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد، جمال الدين، أبو الفرج بن الجوزي التيمي البغدادي، له تصانيف مشهورة، ولد سنة "٥٠٩هـ"، وعُرف جدهم بالجوزي لجوزه في وسط دارة بواسط، ولم يكن بواسط جوزه سواها، قيل كان يحضر مجلسه مائة ألف نفس، لم يترك فناً من الفنون إلا وله في مصنف، وله أشعار لطيفة منها قوله يخاطب بغداد: يرون العجيب كلام الغريب*** وقوله القريب فلا يعجب

وعذرهم عند توبيخهم *** مغنية القدم ما تطرب

توفى سنة ٥٩٧هـ ، (وفيات الاعيان ١٤١/٣)

من المدني قصة أصحاب الجنة من قوله تعالى: **(إنا بلوناهم)** إلى قوله تعالى: **(لو كانوا يعلمون)**[1].

فالسورة في قول الأكثرين مكية وإن كان فيها بعض الآيات مدنية وهناك من يقول أنها كلها مكية بلا استثناء [2].

يقول سيد طنطاوي رحمه الله: (والمحققون على أنها من السور المكية الخالية)، ثم قال: والذي تطمئن إليه النفس إنها كذلك [3].

وذكرها الزمخشري وابن كثير والألوسي وغيرهم أنها مكية دون أن يذكروا في ذلك خلاف[4].

يقول سيد قطب رحمه الله: [أن القول بأن قصة أصحاب الجنة هي آيات مدنية فمستبعد ويرجح أن السورة كلها مكية ويقول لأن طابع هذه الآيات عميق في مكيته] [5].

وبعد التأمل والنظر في الأقوال نُرجح أن السورة مكية بلا خلاف لأن السياق متسق مع الموضوع ومنسجم معه، وكذلك طابع الآيات والقضايا التي تعالجها عميق في مكيته [6].

أما زمن نزول السورة فهي من السور الأوائل وأن وقع خلاف في تحديد ذلك، فمن المفسرين من جعلها في فترة الدعوة السرية ومنهم من جعلها في الفترة التي صدع ﷺ بالدعوة، فالقول بأنها نزلت في فترة الدعوة السرية وجعلها الثانية من حيث النزول، هو قول لا يعتمد على أحاديث صحيحة، ومنهم من قال إن مطلعها نزل بعد "اقرأ" وتكون نزلت على مراحل.

واحتمال أن مطلع السورة نزل مبكراً بعد سورة "العلق" لأنه ورد فيه نفي الجنون عن النبي ﷺ: [**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**] {القلم:٢}، وإن هذا الجنون هو الذي كان يتخوفه النبي على نفسه في أول الوحي من أن يكون ذلك جنوناً أصابه فهذا احتمال ضعيف، لأن مطلع السورة وختامها يتحدثان عن أمر واحد وهو تطاول الكفار على الرسول ﷺ واتهامه بالجنون، فالجنون المنفي هو ما جاء في آخر السورة قوله تعالى: [**وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**] {القلم:٥١} ، فالسياق وموضوعات السورة تجعلنا نرجح أنها نزلت بعد فترة

---

(٢) ينظر: الدر المنثور، (٢٤٠/٨)، محاسن التأويل، (٢٩٦/٩)، التفسير المنير، (٤١/٢٩).
(٣) التفسير الوسيط، (٣٣/١٥).
(٤) ينظر: الكشاف، (٥٨٤/٤)، تفسير ابن كثير، (١٨٤/٨)، روح المعاني، (٢٦/١٥).
(٥) في ظلال القرآن، (٣٦٥١/٦).
(٦) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٥١/٦)، والتفسير الوسيط، لطنطاوي، (٣٤/١٥).

من البعثة النبوية قد تكون ثلاث سنين تقريباً، وهذا ما مال إليه السيدان قطب وطنطاوي رحمهما الله [1].

ثانياً: الجو الذي نزلت فيه السورة:

سورة "ن" هي من أوائل السور وسواء كانت في مرحلة الدعوة السرية أم العلنية فالجو السائد والغالب هي غطرسة قريش وعنادها ومحاربة النبي ﷺ ودعوته بكل الوسائل، فتارة يتهمونه بالسحر الذي فرق بين المرء وزوجته والعبد وسيده، وفي السورة قولهم بأنه مجنون ليصدوا الناس عن هذه الدعوة.

فقريش الآن أمام الدعوة، تدفع هذه الدعوة بالاتهامات الباطلة والتعذيب المميت لاتباع هذه الدعوة، فجاء في سياق السورة حملة عنيفة ضد المكذبين والمعاندين، والتهديد في أولها وآخرها، يناسب هذه الأجواء وهذا التكذيب والجحود.

وليس اتهامه بالجنون هو التطاول الوحيد على شخص النبي ﷺ بل هو واحد من سخريات كثيرة لقتل هذه الدعوة في بدايتها ومع علم صناديد قريش بصدق النبيﷺ فهو عندهم الصادق الأمين فهذا أبو جهل عمر وأبو سفيان والأخنس بن شريق [2] كان يستمعون للقرآن خفية، ويتعاهدون على عدم العودة حتى لا يراهم الناس، وعندما سأل الأخنس أبو جهل عن رأيه فيما سمع من محمد أجابه تنازعناً نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرس رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فالحسد والعناد هي الجو السائد على قريش [3].

فالفترة التي نزلت فيها السورة كانت فترة قاسية على اتباع هذه الدعوة الجديدة التي تهدد مفاهيم ومبادئ وعادات متأصلة في نفوس القوم، فالأمر ليس سهلاً ويحتاج إلى صبر كما أوصت في آخر السورة "فاصبر لحكم ربك"، فالأذى على الفئة القليلة شديد ومؤلم فوعدهم الله بوعد يسليهم وينسيهم هذه المحن فوعدهم بجنات النعيم [**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**] ، كما أن سياق السورة فيه تهديد لهؤلاء المجرمين المعاندين [**فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا**

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٥١/٦)، التفسير الوسيط، (٣٤/١٥).

(٢) الأخنس بن شريق بن وهب بن أبي سلمة الثقفي، حليف بني زهرة، لقب بالأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير فقيل: خنس الأخنس ببني زهرة، فسمي بذلك، ثم أسلم ثم كان من المؤلفة قلوبهم، شهد حنين ومات في أول خلافة عمر. الإصابة في تمييز الصحابة، (١٩٢/١).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٥٤/٦).

الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ] ، فهذا أمل يجعل الطريق المظلمة الموحشة فيها شيئاً من النور والأنس حتى لا تيأس هذه الفئة القليلة أمام الغطرسة الظالمة والتي حالها كما وصفهم القرآن الكريم **[وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ]** {النمل:١٤} ، فالجحود والظلم والتكبر حتى مع يقينهم بصدق محمد ﷺ وأنه مرسلٌ من ربه [١].

المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس:

أولاً: فضائل السورة:

هذه السورة من أوائل ما نزل، وهي أول سورة نزلت مفتتحة بالحروف المقطعة، وآخر سورة في ترتيب المصحف افتتحت بتلك الحروف [٢].

ولكن نذكر حديث في سنن الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)** [٣].

فسورة "القلم" عدد حروفها كما ذكرنا ألف ومائتان وستون وخمسون حرفاً فمن قرأها كان له من الحسنات بعدد حروفها والحسنة بعشر أمثالها.

ثانياً: محور السورة الرئيس:

محور السور يدور حول تطاول كفار قريش على رسول الله ﷺ وتوجيه الاتهامات والسخافات فاتهموه بالجنون.

فالسورة تبين لنا وتكشف بكل وضوح من هو محمد ﷺ فتنفي عنه الجنون، وتثبت له وتؤكد الخلق العظيم لهذا النبي الخاتم وتدعوه إلى الصبر لأن المهمة صعبة والطريق وعر، فالصبر لأن المعاناة ستكون شديدة، وخاصة ونحن في بداية الدعوة، والغرسة لينة والأجواء حول هذه النبة عاصفة، فهذه الغرسة حتى يشتد عودها، وتتعمق في الأرض جذورها [٤].

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٥٣/٦).

(٢) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٤٣/٢٩)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٣٦/١٥).

(٣) سنن الترمذي، تحقيق بشار معروف، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن، قال الترمذي، حديث حسن صحيح غريب، (٢٥/٥).

(٤) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٥٠/٦).

كما أننا نلاحظ أن محور السورة التي تدور حول أصول العقيدة الصحيحة من إثبات النبوة والرسالة، والبعث والآخرة، والمصير الذي ينتظر كلاً من المؤمنين والكافرين، فريق في الجنة وفريق في السعير [1].

فالرسول والرسالة محور السورة التي تدور عليها قضايا السورة وكأنه توجيه للناس عليكم بالإيمان بالرسول والعمل بما جاء به حتى يكون مصيرنا الجنة مهما كانت الصعوبة والمشقة.

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة الكريمة:

١- بيان محاسن الأخلاق النبوية، قال تعالى: [**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**] {القلم:٤} .

٢- عدم مداهنة الكفار وخاصة الحلاف منهم والمناعين للخير، والذي يهزأ بالمسلمين، ويمشي بين الناس بالنميمة لينشر الفساد.

٣- ذكر بعض أخلاق الكفار السيئة (حلاف مهين)، (هماز مشاء بنميم)، (مناع للخير)، (معتد أثيم).

٤- ضرب المثل للعبرة والعظة في قصة أصحاب الجنة، وهذه القصة تقرر بالمعاني وتوضحها لمن أراد أن يعتبر وينزجر عن الكفر والعناد.

٥- ما أعده الله للمتقين وكشف مفهوم خاطئ عند المشركين بأنهم متساوون عند الله حسب زعمهم إن كان هناك آخرة، بل وإنهم يظنون أنفسهم أنهم سيكونون أفضل من المؤمنين.

٦- عرض بعض مشاهد يوم القيامة، قال تعالى: [**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**] {القلم:٤٢} ، وتصوير حال الكفار بلقطة سريعة في قوله تعالى: [**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**] {القلم:٤٣} .

٧- دعوة النبي ﷺ للصبر وهذه الدعوة له ولأمته من بعده، فالدعوة الإسلامية مبنية على الصبر وتحمل أذى المشركين، وعدم استعجال النتائج.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

مناسبة السورة لما قبلها:

يذكر الدكتور وهبة الزحيلي أوجهاً لتعلق السورة بما قبلها:

---

(١) ينظر: التفسير المنير، (٤٢/٢٩).

الأول: ورد في آخر سورة (الملك) تهديد للمشركين بتغوير الماء، وذكر في هذه السورة شيئاً عملياً على أرض الواقع وهو هلاك ثمر البستان في ليله بطائف طاف عليه، وهو إحراقه وهم نائمون فوجدوه كالصريم، فقد ختم تلك بالتهديد وابتدأ هذه به [1].

الثاني: ذكر ﷻ في سورة (تبارك) أدلة باهرة على قدرته المطلقة ﷻ وذكر البعث وحث المشركين على الإيمان بالله ورسوله، وفي هذه السورة يبرئ نبيه من التهم الباطلة التي نسبها إليه المشركون من سحر وكهانة وشعر، ومدحه وأثنى عليه بالخلق العظيم [2].

ويذكر البقاعي مناسبة وهي ابتدأ هذه السورة بالحرف الذي انتهت به سابقتها وهو "نون"[3].

وهناك مناسبة أخرى ففي آخر سورة "الملك" قوله تعالى: **[قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ]** {الملك:٢٨} ، هذه الآية توضح مدى كراهية المشركين للرسولﷺ حتى أنهم يتمنوا هلاكه وزواله من بينهم، وفي مطلع سورة "القلم" يثني عليه ربه ويصفه بالخلق العظيم **[وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]** {القلم:٤} وهذا فيه إغاظة للكفار لأنه يملأ قلوبهم حسرة وكمداً [4].

ويذكر أبو حيان أن سورة "تبارك الملك" فيها ذكر أحوال السعداء والأشقياء وذكر قدرته المطلقة فلو شاء لخسف بهم الأرض، أو أرسل عليهم من السماء حاصباً فكان الكفار ينكرون ذلك ويتهمون الرسول ﷺ بالشعر تارة، والسحر والجنون، فبدأت سورة "نون" ببراءته مما نسبوه إليه، وتعظيم أجره بصبره على أذاهم، وبالثناء على خلقه العظيم [5].

مناسبة السورة لما بعدها:

١- ذكر في هذه السورة "سورة نون" شيئاً من أحوال السعداء والأشقياء، ذكر في سورة "الحاقة" بعدها حديث القيامة وما أعده لأهل السعادة والشقاوة [6]، كما ذكر في هذه السورة يوم القيامة مجملاً "يوم يكشف عن ساق" وفي السورة التي بعدها أوضح ﷻ نبأ هذا اليوم **[الحَاقَّةُ * مَا الحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ]** {الحاقَّة:١-٣}، كما أنه هدد ﷻ من يكذب بالقرآن وتوعده **[فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي**

---

(١) ينظر: التفسير المنير، (٢٩/٤١).
(٢) ينظر: المصدر السابق، (٢٩/٤١).
(٣) نظم الدرر، (٢٠/٢٧٤).
(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، (١٥/١٠٧٥).
(٥) ينظر: البحر المحيط، (١٠/٢٣٤).
(٦) المصدر السابق، (١٠/٢٥٤).

مَتِينٌ] {القلم:٤٤-٤٥} ذكر في السورة التي بعدها أحوال الأمم التي كذبت الرسل ليتعظ المعاصرين بمصير المكذبين [١].

٢- لما بينت سورة القلم تقريع مشركي قريش وسائر العرب وتوبيخهم، وتنزيه النبي ﷺ عن شنيع قولهم واتهاماتهم له بالجنون، وبيان حسدهم وعداوتهم له، وهذا واضح في قوله تعالى: **[وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ]** {القلم:٥١} ، ثم جاءت بعدها سورة الحاقة وعيداً لهم، وتصوير حالهم السيء لفعلهم القبيح واتهاماتهم الكاذبة للنبي ﷺ[٢].

---

(١) التفسير المنير، (٢٩/٧٩).

(٢) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي جعفر الغرناطي، (١/٣٤٥).

المبحث الثاني

مقاصد السورة وأهدافها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: محمد رسول الله أكرم الخلق على الله.

المطلب الثاني: قصة أصحاب الجنة والعبرة منها.

المطلب الثالث: جزاء المتقين وبيان حال المجرمين والمكذبين يوم القيامة.

المطلب الرابع: الدعوة إلى الصبر في ختام السورة.

المطلب الأول: محمد رسول الله أكرم الخلق على الله (الآيات ١-١٦):

قال تعالى: [**ن وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّيكُمُ المَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ**] {القلم:١-٧}.

مقدمة:

الحروف المقطعة قيل فيها أقوال كثيرة مختلفة كلها أقوال اجتهادية حيث لم يرد نص صحيح من السنة يبين معنى هذه الحروف، وذكر الإمام الطبري بسنده أكثر من عشرة أقوال نختار منها [١]:

١- أن هذه الحروف من أسماء القرآن.

٢- هي فواتح يفتتح الله بها القرآن.

٣- هذه الحروف أسماء للسور.

٤- هي اسم الله الأعظم.

٥- هي قسم أقسم الله به وهو من أسمائه.

٦- هذه الحروف المقطعة عبارة عن أسماء وأفعال كل حرف له معنى غير معنى الحرف الآخر فمثلاً "الم" قالوا تعني (أن الله أعلم) و"الر" (أن الله أرى)، المص: أن الله .....

٧- كل حرف من هذه الحروف يشتمل على معاني شتى مختلفة.

٨- إن هذه الحروف سر من أسرار الله، فلكل كتاب سر وسر القرآن فواتحه.

٩- أن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن نزلت هذه الحروف ليستغربوها فينتبهوا لها ويفتحوا لها أسماعهم، فتجب عليهم الحجة بعد سماع القرآن.

١٠- وينقل الإمام الزجاج رحمه الله قول النحويين منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى والأخفش أنهم قالوا هي حروف لافتتاح الكلام.

وقطرب [١] يقول: هي حروف المعجم ذكرت لتدل على أن هذا القرآن من هذه الحروف المقطعة، فجاء بعضها مقطعة وجاء تمامها مؤلفاً ليدل القوم أن القرآن بحروف يعقلونها فلا ريب فيه [٢].

---

(١) ينظر: جامع البيان، (٢٢٠/١-٢٢٥)، تفسير ابن عطية، (٨٢/١).

الرأي الراجح:

يرى الباحث أن هذه الحروف سرٌ من أسرار الله فهي معجزة تحدى الله بها العرب وهم أرباب اللغة والبيان أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو حتى بسورة من مثله، فهذه مادة القرآن وحروفه أمامكم فهذه الحروف من لغتكم، فأتوا بسورة إن استطعتم، فإن عجزوا وقد عجزوا فذلك لبلوغه من الفصاحة والبلاغة مرتبة يقف فصائحهم وبلغائهم دونها بمراحل شاسعة [٣].

ونستطيع أن نقسم العلماء أمام هذه الحروف إلى قسمين:

١- قالوا لا يجب أن نتكلم فيها لأنها سر الله في القرآن، وهي من المتشابة الذي انفرد الله بعمله.

٢- وقال الجمهور من العلماء: بل يجب أن نتكلم فيها ونلتمس الفوائد منها والمعاني التي نستطيع فهمها منها، واختلفوا إلى عدة أقوال في هذه الحروف ذكرناها في بداية هذا المبحث [٤].

وبعد النظر في القسمين يميل الباحث إلى القسم الثاني وهو قول الجمهور.

---

(١) هو أبو علي محمد بن المستنير البصري النحوي صاحب التصانيف، تلميذ سيبويه، كان يبكر على سيبويه قبل التلاميذ فقال له ما أنت إلا قطرب ليل، فلزمه اللقب، هو أول من وضع المثلث في اللغة ومعنى المثلث أن تكون الكلمة بثلاث حركات مثل (بَر، بِر، بُر) وله كتاب في النحو يلقب (بالجماهير) وسبب تصنيفه الرشيد قال له يوماً: كيف تصغّر الدنيا؟ فأجابه هي مصغرة يا أمير المؤمنين، فقال له صنف كتاباً ومن كتبه (معاني القرآن)، والنوادر، والأزمنة وغيرها، كان يرى رأي المعتزلة النظامية، والقطرب: دويبة تدب ولا تفتر، توفي سنة ٢٠٦هـ، وفيات الأعيان، (٣١٢/٤)، تاريخ بغداد وذيوله، (٦٧/٤)، تاريخ العلماء النحويين للتنوخي، (٨٤/١)، الأعلام، للزركلي، (٩٥/٧).

(٢) معاني القرآن، للزجاج، (٥٦/١).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٣٨/١٥).

(٤)ينظر: جامع البيان، (٢٢٤/١)، تفسير ابن عطية، (٨٢/١).

المقطع الأول

كمال الدين والخلق عند النبي ﷺ

قال تعالى: [**ن وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّيكُمُ المَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ**] {القلم:١-٧}.

أولاً: التحليل اللغوي:

ن: نون: حرف فيه نونان بينهما واو، والنون: الحوت والجميع أنوان ونينان، والنون: شفرة السيف[١]، والنونة: الكلمة من الصواب، والنقبة في ذقن الصبي الصغير [٢].

يسطرون: سطر: السَّطْرُ والسَّطَرُ: الصف من الكتاب والشجر والنخل ونحوهما، والجمع في كل ذلك أسطر، أسطار، أساطير وسطور، والسطر: الخط والكتاب، يقال سَطْرٌ من كتب، قال الزجاج في قوله تعالى: أساطير الأولين إلى سطره الأولون.

وسطر يسطر إذا كتب قال تعالى: [**ن وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**] وفي التنزيل أيضاً [**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**] {القمر:٥٣} ، ويقال: سطر فلانٌ فلاناً بالسيف سطراً إذا قطعه [٣].

المفتون: فتن: الفِتنةُ بالكسر: الخِبرة كالمفتون ومنه "بأيكم المفتون" وفتنة يفتنه فتناً وفتوناً وأفتنة، ويطلق على الاثم، الكفر، الفضيحة، العذاب، وإذابة الذهب والفضة، الإضلال، والمحنة، والأولاد، واختلاف الناس في الآراء، المفتون: المجنون[٤]، ويذكر الفيروزأبادي[٥] أن الفتنة: إعجابك بالشر فتنة.

ثانياً: أسباب النزول:

---

(١) كتاب العين، (٣٩٦/٨)، معجم مقاييس اللغة، (٣٧٣/٥)، لسان العرب، (٤٥٩/١٣).

(٢) لسان العرب، (٤٢٩/١٣).

(٣) لسان العرب، (٣٦٣/٤).

(٤) القاموس المحيط، باب النون فصل الفاء، (١٢٢١/٤)، بصائر وذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (١٦٦/٤).

(٥) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو الطاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز أبادي، من أئمة اللغة والأدب ولد بشيراز وانتقل إلى العراق وجال في مصر والشام ودخل بلاد الروم والهند كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، من أشهر كتبه: القاموس المحيط، المغانم الطابة من معالم طابة، نزهة الأذهان في تاريخ أصبهان، سفر السعادة في الحديث والسيرة . الأعلام، للزركلي، (٢١٤٧/٧).

أسباب نزول الآية [**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**] {القلم:٢} ، ذكر الإمام السيوطي [١] في أسباب النزول أن الكفار كانوا يقولون للنبي ﷺ إنه مجنون فنزلت [٢].

أسباب نزول الآية [**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**] {القلم:٤} ، أخرج الواحدي [٣] بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك فنزلت [**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**] [٤].

ثالثاً: القراءات:

ن والقلم: سكت أبو جعفر على نون سكتة لطيفة من غير تنفس وادغم النون في واو "والقلم" مع الغنة ابن عامر الشامي، وشعبة والكسائي ويعقوب وخلف، وورش يخلف عنه، وأظهرها الباقون وهو الوجه الثاني لورش [٥].

فالحجة لمن ادغم أنه أتى به على الأصل، والحجة لمن أظهر أن حروف التهجي ليست كغيرها لأنها ينوى بها الوقف على كل حرف منها، فكأنه منفرد عما بعده [٦].

وقرئت "نون" في غير العشر بالكسر والفتح والضم، فمن فتحها كان اضمَر فعلاً بمعنى اقرأ "نون" والقلم ومن كسرها أضمر حرفاً، وهو القسم، ومن ضمها فقد ضمها على البناء [٧].

رابعاً: التفسير الاجمالي:

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين، إمام، حافظ، خورخ أديب له نحو (٦٠٠) مصنف، نشأ في القاهرة يتيماً مات والده وعمره خمس سنوات، لما بلغ الأربعين اعتزلا لناس وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، من كتبه الاتقان في علوم القرآن، الأشباه والنظائر، التمييز لعلم التفسير، تحفة المجالس ونزهة المجالس، الحاوي، جمع الجوامع الذي يعرف بالجامع الكبير، الحاوي، والدر المنثور في التفسير المأثور، توفي (٩١١هـ-١٥٠٥م)، الأعلام للزركلي، (٣٠١/٣).

(٢) أسباب النزول، للسيوطي، ص٤٢٨.

(٣) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الإمام الكبير، من أولاد التجار أصله من ساوه، لزم أبا اسحاق الثعلبي المفسر وأكثر عنه، صنف التصانيف الثلاثة في التفسير (البسيط والوسيط والوجيز)، وصنف في أسباب النزول، وشرح ديوان المتنبي، توفي سنة ثمان وستين وأربعمائة، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، (٢٤١/٥)، معجم الأدباء، لياقوت الحموي، (١٦٦٠/٤).

(٤) ينظر: أسباب النزول، للواحدي، ص٣٧٨، تفسير الرازي، (٦٠٢/٣٠).

(٥) القراءات العشر المتواترة عن طريق الطيبة والدرة في هامش القرآن الكريم، إعداد الشيخ محمد كريم راجح، ص٥٦٤.

(٦) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، (٢٩٧/١).

(٧) تفسير القرطبي، (١٢٢٣/١٨)، الكشاف، (٥٨٤/٤).

قد تكلمنا في بداية المبحث عن الحروف المقطعة بما يفى، فللعلماء في حرف "نون" أقوال كثيرة نقطف منها بعض الزهرات.

يقسم الله ﷻ بنون، وبالقلم، وبالكتابة والعلاقة بين الحرف والقلم والكتابة واضحة لا تخفى، ولله أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته إما تعظيماً لقيمتها أو توجيهاً لها، ولا غرابة في ذلك فقد نزل قبل هذه السورة سورة [**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**] {العلق:١} ، فالقراءة والقلم والكتابة عناصر أساسية لهذه المهمة الكبرى، ولهذه الدعوة الوليدة ولتلك الغرسة اللينة، ولهذه الفئة القليلة [١].

والكلام عن هذا الحرف "نون" أطال فيه المفسرون فمنهم من قال أنه اسم للحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع وقيل اسم للدواه، وقيل لوح من نور، وقيل هو حرف من حروف الرحمن، وقيل: نهر في الجنة [٢]، وعقب أبو حيان [٣] بقوله: "لعله لا يصح شيء من من ذلك[٤]، ولعل أقرب الأقوال إلى الصواب في "نون" هي للتنبيه والتحدي [٥].

والقلم: روى الإمام الترمذي من طريق الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: حدثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد [٦].

وعند الحاكم أول ما خلق الله القلم خلقه من هجا قبل الألف واللام فتصور قلماً من نور فقيل له أجر في اللوح المحفوظ قال: يا رب بماذا؟ قال: بما يكون إلى يوم القيامة، فلما خلق الله الخلق، وكَّل بالخلق حفظه يحفظون عليهم أعمالهم فلما قامت القيامة عرضت عليهم أعمالهم وقيل [**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**] {الجاثية:٢٩} [٧].

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٥٥/٦).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، زاد المسير في علم التفسير، (٣١٩/٤)، البحر المحيط، (٢٣٤/١٠)، تفسير القرطبي، (٢٢٤/١٨).

(٣) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي الأندلسي أثير الدين أبو حيان النحوي، نزيل القاهرة سمع على العز الحراني صحيح البخاري، وعلى محمد الأغاطي صحيح مسلم، وكان واسع المعرفة بالعربية والقراءة والتفسير من تأليفه في النحو "شرح التسهيل"، وفي التفسير "البحر المحيط"، توفي يوم السبت سنة ٧٤٥هـ، بالقاهرة، ذيل التقييد في رواه السنن والأسانيد، (٢٨٣/١).

(٤) البحر المحيط، (٢٣٤/١٠).

(٥) التفسير المنير، للزحيلي، (٤٥/٢٩).

(٦) سنن الترمذي، تحقيق بشار معروف، باب ومن سورة "ن"، (٢٨١/٥)، وقال عنه الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٧) المستدرك على الصحيحين، وقال عنه حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، (٤٩٢/٢).

والقسم بالقلم لتعظيمه فقد قيل أنه القلم الذي كتب به الذكر وقيل أنه القلم الذي في قوله تعالى: [**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**] {العلق:٤-٥} ، لأن ما تقتضيه الآيات هو حال المشركين المقصودين بالخطاب الذي لا يعرفون إلا القلم الذي هو آله الكتابة المعروفة عند أهل الكتاب وعند من يعرف الكتابة من العرب، ولعل من فوائد القسم التأكيد على أن هذا القرآن كتاب المسلمين سيكون مكتوباً مقروءاً بين المسلمين [١]، وما يسطرون هي السطور المكتوبة بالقلم، والخطاب يكون موجاً للنبي ﷺ ويكون القسم بالقلم، وما يكتب الناس به [٢].

فالقلم إما أن يكون هو الجنس أي كل قلم يكتب به أهل السموات والأرض فَمَنَّ بتيسير الكتابة بالقلم كما مَنَّ بالنطق فهو الذي علم بالقلم وهو الذي خلق الإنسان وعلمه البيان وإما أن يكون القلم المعهود الذي جاء في الخبر إن أول ما خلق الله القلم [٣].

[**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**] {القلم:٢}، أي أنك يا محمد لست بسبب نعمة النبوة والإيمان والخلق العظيم بمجنون كما يتقوّلون ويتهمون ويزعمون، فقد تولى ربه ﷻ الرد على كفار مكة الذين اتهموه بالجنون عناداً وحسداً، لأنه نبي هذه الأمة ورسولٌ من الله إليهم [٤].

[**وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ**] {القلم:٣} ، أي غير مقطوع ولا محسوب، وهذا الأجر هو الجنة وما فيها مما أعده الله لعباده المؤمنين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [٥].

[**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**] {القلم:٤} ، على أدب القرآن وعلى دين الإسلام، والخلق الذي أمره به في قوله تعالى: [**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**] {الأعراف:١٩٩} ، لقد حاز على هذه الدرجة من الخلق لما لاقاه من قومه من عناد وجحود مع علمهم بصدقه [٦]، [**فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ**] {القلم:٥-٦} سترى ويرون وستعلم ويعلمون إذا نزل العذاب بهم سيُعلم ويعرف ويرى من هو المجنون ويعلم من هو المهتدي ومن هو الضال ومن الناجي من العذاب

---

(١) التحرير والتنوير، (٦٠/٢٩).

(٢) التفسير الحديث، (٣٥٤/١).

(٣) مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، (٥٩٩/٣٠).

(٤) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٤٥/٢٩).

(٥) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي، (٤٨١/٣)، تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، (١٩/٥).

(٦) ينظر: الكشاف، (٥٨٥/٤)، بحر العلوم للسمرقندي، (٤٨١/٣)، التفسير المنير، (٤٦/٢٩).

والمعذب في النار، وهذا كقوله تعالى: [**سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الكَذَّابُ الأَشِرُ**] {القمر:٢٦} ، سيعلم غداً من

يستحق لقب المفتون أفريق المؤمنين أم فريق الكافرين [١].

وقد يكون المراد ستبصر ويبصرون من أحوال الدنيا، سترى ويرون عاقبة أمرك وعاقبة أمرهم في الدنيا، فتصير معظماً ومحبوباً في القلوب وسيكون لك ومن اتبعك العزة، وسيكون الذل والهوان نهايتهم في الدنيا، وقيل هذا وعيد بالعذاب الذي وقع بهم يوم بدر [٢].

[**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ**] {القلم:٧} ، إن ربك يا محمد هو أعلم بالمجانين الذين ضلوا عن سبيله وهو أعلم بالعقلاء المهتدين، والآية فيها وعيد وعد ووعيد والمعنى هو أعلم بجزاء كل فريق فيجازي كل فريق بحسب ما يستحقون من الثواب والعقاب [٣].

خامساً: وجوه البلاغة:

١- الجناس الناقص بين **(بمجنون وممنون)**، وهو ناقص لاختلاف الحرف الثاني [٤].

٢- عندما قال الكفار عن النبي ﷺ إنه لمجنون نفى الله عنه الجنون بمؤكدات أقوى مما في كلامهم حيث أقسم عليه وجيء بعد النفي بالباء التي تزاد بعد النفي لتأكيده والمعنى استبعاد ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسداً، ثم جاء بالجملة الاسمية منفية للدلالة على ثبات الخبر أي تأكيد تحققه فهذه ثلاث مؤكدات [٥].

٣- الطباق بين **(هو أعلم بمن ضل عن سبيله)** و**(هو أعلم بالمهتدين)** [٦]، والطباق يوضح المعنى ويظهره فالبضد يتضح الضدُ.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، (١٩/٥)، تفسير الماوردي، النكت والعيون، (٦٢/٦)، الكشاف، (٥٨٦/٤).

(٢) ينظر: تفسير الرازي، (٦٠٢/٣٠)، التفسير المنير، (٤٧/٢٩).

(٣) ينظر: الكشاف، (٥٨٦/٤)، تفسير ابن عطية، (٣٤٧/٥)، تفسير الرازي، (٦٠٣/٣٠)، تفسير المراغي، (٣٠/٢٩)، التفسير المنير، (٤٨/٢٩).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، (٦٢/٢٩)، الكشاف، (٥٨٥/٤).

(٥) التفسير المنير، للزحيلي، (٤٤/٢٩).

(٦) التفسير المنير، للزحيلي، (٤٤/٢٩).

٤- السجع المرصع في الكلمات يسطرون، بمجنون، المفتون، حيث إنها تنتهي بالواو والنون [١]

(١) المصدر السابق، (٤٤/٢٩).

سادساً: استنباط بعض الهدايات من هذا المقطع القرآني:

هذا المقطع يذكرنا بأهمية القلم والكتابة والأخلاق:

١- المتأمل للقرآن يجد أن الأخلاق عقيدة راسخة في كل تشريع حتى في العبادات ففي الصلاة خشوع وسكينة ووقار، وفي الزكاة مروءة وكرم وتألف وعطف بين الغني والفقير، والصيام دعوة إلى قمة الأخلاق "فإن سابه أحد أو شتمه فليقل إني صائم"، والحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج كلها أخلاق، هذا في العبادات أما في المعاملات والاجتماعيات فالأخلاق مبدأ أصيل في كل معاملة مع الآخرين بداية من الوالدين والجيران وانتهاءاً بكل إنسان تلقاه حتى بالأعداء حث القرآن على معاملتهم بالحسنى[١]، ألم يقل ﷺ: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** [٢].

إن الكريم إذا تمكن من أذى جاءته أخلاق الكرام فأقلعا

وترى اللئيم إذا تمكن من أذى يطغى فلا يبقى لصلح موضعاً[٣]

٢- القسم بالقلم ينبه الأمة على أهمية العلم، فالكتابة هي مقدمات العلم ومن أهم لوازمه فهذه نعمة فبالعلم تنتشر العلوم والمعارف بين الأمم والجماعات، والكتاب والعلم أساس نُبوغ وتقدم أي أمة، فهذا الأثر المترتب على الكتاب أثر عظيم وتأثيره خطير في ميادين العلم والمعرفة والحضارة والتقدم، القلم الذي جرى به قدر الله وشرعه، وكتب به الوحي، وقيد به الدين، وحفظت به الشريعة، ووصلت لنا علوم السابقين، وقامت وحفظت به مصالح العباد وعهودهم وعقودهم وأعمال كثيرة أخرى يطول ذكرها [٤].

٣- ترشد الآيات إلى التحمل والصبر على الشدائد في مجال الدعوة إلى الله فقدوتنا وأسوتنا ﷺ الذي كان قبل بعثته متصف بجميع الأخلاق الحميدة، حتى الكفار كانون ينعتونه بالصادق الأمين، ها هو بعد الدعوة يتهمونه بالجنون، فصبر على أذاهم بجميع أنواعه المادي والمعنوي ولنا في رسول اللهﷺ أسوة حسنة.

---

(١) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي، (٢٤٩/٨).

(٢) مسند البزار = البحر الزخار، (٣٦٤/١٥)، تخريج أحاديث وآثار في ظلال القرآن، لعلوي السقاف، السنن الكبرى، للبيهقي، باب مكارم الأخلاق، (٣٢٣/١٠)، وحكم عليه بالحسن، (٤٧٠/١).

(٣) أضواء البيان، للشنقيطي، (٢٥٠/٨)، كتاب السحر الحلال في الحكم والأمثال، لأحمد الهاشمي، (٨/١).

(٤) ينظر: التفسير المنير، (٤٨/٢٩)، في رحاب التفسير، (٧٣٣٤/٢٩).

٤- أن مطلع هذه السورة وما فيها من قسم بالقلم والكتابة أي بالقلم وما يكتب من السطور يذكرنا بأول سورة نزلت من القرآن ألا وهي سورة "اقرأ" قراءة قلم، كتابة في سطور، أليس هذا ملفت للنظر، ومحرك للعقل و الفكر، فبداية القرآن وبداية الدعوة والرسالة علمٌ ألا يدلنا ذلك على أن كل مشروع وكل عمل لا يقوم على العلم فلن يكتب له الحياة، فلا بداية إلا والعلم أساسها ومنطلقها.

٥- أن الآية الأخيرة من هذا المقطع وهي [**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**] {القلم:٧} ، تعطينا أمل بما ينتظرنا في الآخرة وتجعلنا لا نلتفت للضالين مهما علا شأنهم ومهما وصلت حضارتهم فلا ننخدع بما وصلوا إليه من تقدم وحضارة، لقد وصفهم لنا ربنا في قوله تعالى: [**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**] {آل عمران:١٩٦-١٩٧} ، فمتاعهم قليل وعذابهم شديد.

٦- إن العلاقة بين الأفراد أو بين الجماعات إذا كان رباطها الأخلاق الحميدة من صدق في القول وصدق في المعاملة وحب الخير للجميع، سوف يتغير حالنا كما غيَّر صاحب الخلق العظيم العقائد الفاسدة والعادات السيئة التي كانت متغشية ومنتشرة غيَّرها إلى صدق في المعاملات وحب يملأ القلوب فأصبحت الأمة الأمية القليلة سيدة الأمم، فحكمت بالعدل والمساواة وكل ذلك لأن العلاقات قامت على أساس الأخلاق الحميدة التي جاء بها هذا الدين الحنيف التي جاء به رسولنا وهدفه ليتمم مكارم الأخلاق، فمكارم الأخلاق هي صلاح الدنيا والدين، روى الترمذي عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: **(اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)** [(١)]، وعن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: **(تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: الفم والفرج)** [(٢)].

---

(١) سنن الترمذي، تحقيق بشار معروف، (٣/٣، ٤)، باب ما جاء في معاشرة الناس، مسند الإمام أحمد، حديث أبي ذر الغفاري ﷺ، (٢٨٤/٣٥)، وزاد الإمام أحمد فيه "وإذا عملت سيئة، فاعمل حسنةً تمحها"، سنن الدارمي، تحقيق حسين الداراغي وعلق المحقق بقوله رجاله ثقات، (١٨٣٧/٣)، وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة الحديث بمجموع طرقه صحيح، (٣٦٢/٣).

(٢) سنن الترمذي، وقال عنه حديث صحيح غريب، (٤٣١/٣)، مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة، (٤٣٥/١٥)، الأدب المفرد باب حسن الخلق إذا فقهوا، (١٠٨/١)، صحيح ابن حبان، (٢٢٤/٢).

المقطع الثاني

من الأخلاق الذميمة عند الكفار (الكذب، النميمة، الاعتداء وغيرها)

قال تعالى: [**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**] {القلم:٨-١٦}.

أولاً: التحليل اللغوي:

﴿تدهن﴾: د هـ ن: المداهنة والإدهان المصادفة واللين، ومنه قوله تعالى: [**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**]، وقال قوم: داهن أي وارب وقيل المداهنة: إظهار خلاف ما يضمر، ودَهَن الرجل إذا نافق والأدهان: الأمطار اللينة، قال الفراء في قوله تعالى: [**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**] لو تلين فيلينون، وقيل الإدهان: المقاربة في الكلام والتليين في القول [١].

﴿هماز﴾: همز: همز رأسه يهزه هزا: غمزه، والهمز مثل اللمز، والهامز والهمّاز: الغيّاب، ورجل همزه وامرأة همزه، والهماز والهُمزة: الذي يخلف الناس من ورائهم ويأكل لحومهم، والذي يهمز أخاه في قفاه من خلفه وفي التنزيل [**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**] {الهمزة:١} [٢].

﴿عتل﴾: العتلة: حديدة كأنها رأس فأس عريضة أسفلها خشبة يحفر بها الأرض والحيطان ومنه اشتق القُتُل: وهو الشديد الجافي الفظ الغليظ من الناس، وقيل هو الجافي اللئيم، قيل هو شديد الخصومة [٣].

﴿زنيم﴾: الزنيم: المستلحق من قوم ليس منهم، والدَّعيُّ، ورجل زنيم ومُزَنَّم أي دعيّ [٤]، ويقول ابن فارس [٥]: (ز ن م) الزاء والنون والميم أصل يدل على تعليق شيء بشيء [٦].

---

(١) مختار الصحاح، (١٠٨/١)، لسان العرب، (١٦٢/١٣).

(٢) لسان العرب، (٤٢٦/٥).

(٣) لسان العرب، (٤٢٣/١١)، القاموس المحيط، (١٠٢٩/١).

(٤) القاموس المحيط، (١١١٩/١)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (٢٥٧/١).

(٥) ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الإمام، العلامة، اللغوي، المحدث، كان إمام في علوم شتى، وخاصة اللغة فإنه أتقنها، ألف كتاب المجمل في اللغة وله كتاب حلية الفقهاء، توفي سنة ٣٩٠هـ، بالري، سير أعلام النبلاء، (١٠٥/١٧).

(٦) معجم مقاييس اللغة، ٣-٢٩.

﴿سنسمه﴾: (وسم) الواو والسين والميم: أصل واحد يدل على أثر ومعلم ووسمت الشيء وسماً: أثرت فيه بسمة، والموسم: أثراً لكي والجمع وسوم، وقد وسمه وسماً وسمةً: إذا أثر فيه بسمة وكيً، وأما تطع في أذنه والميسم: المكواة أو الشيء الذي يوسم به الدواب [1].

ثانياً: أسباب النزول:

أسباب نزول الآيات [**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**].

ذكر الإمام السيوطي أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وقيل في الأسود بن عبد يغوث وأخرج بن جرير عن ابن عباس قال: نزل على النبي ﷺ: [**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**] فلم نعرفه حتى نزل عليه بعد ذلك [**عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**]، فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة في اصل اذنه، وزاد ابن كثير هو الأخنس بن شريق وكانت له زنمة في أصل أذنه، وقال القرطبي نزلت في الوليد بن المغيرة وأبي جهل [2].

ثالثاً: مناسبة الآيات في هذا المقطع مع الآيات السابقة لها:

بعد ذكر أخلاق النبي ﷺ الحميدة والعظيمة، ذكر الصورة المقابلة لذلك وهي أخلاق الكفار الذميمة، وهذه المقابلة كثيرة في القرآن مثل عرض أحوال المؤمنين وأحوال الكفار، وصف الجنة وما فيها ثم وصف النار، وفي هذه السورة بعد ذكر أخلاق النبيﷺ ذكر أخلاق الكفار ليرسم لنا صورة الحالة السائدة وكأننا ننظر أمامنا إلى الفريقين وأخلاقهم ومعاملاتهم فهذا الصادق الأمين، وذاك الحلاف الزنيم، وكأنها دعوة للنبيﷺ للتشديد مع قومه مع قلة عدد المؤمنين وكثرة الكفار، فنهاه عن طاعتهم بصورة عامة، ثم جاء النهي بعدم طاعة المكذبين أصحاب الأخلاق الذميمة [3].

رابعاً: التفسير الإجمالي:

بينت الآيات عدة صفات ذميمة للكفار منها:

*** الصفة الأولى: الكذب:** [**فَلَا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ**] نهيٌ عن طاعة المكذبين وأمر بالمداومة على مخالفة الكفار المكذبين لرسالة النبي ﷺ، فقد أنعمنا عليك يا محمد بالخلق العظيم، وأعطيناك الشرع

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (١١٠/٦)، لسان العرب، (٦٣٦/١٢).

(٢) ينظر: أسباب النزول، السيوطي، ص٤٢٩، الجامع لأحكام القرآن، (٢٣١/١٨)، جامع البيان، (٥٣٨/٢٣).

(٣) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٥١/٢٩)، في رحاب التفسير، (٧٣٨٥/٢٩).

المستقيم، وهذا تهيج والهاب للاستمرار والتعميم على مخالفتهم وهذا فيه تحذير للنبي ﷺ من مسالكهم الخبيثة، وصفاتهم القبيحة ومقترحاتهم الدنيئة، فقال: ولا تطع المكذبين [1].

* **الصفة الثانية: [وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ]** ودَّ الكفار وأرادوا من النبيﷺ يركن إلى آلهتهم ويترك ما هو عليه من الحق فيما لقومه، بمعنى أن تلين لهم يا محمد في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادة الهك [2]، والإدهان الملاينة فيما لا يحل، والمداراة الملاينة فيما يحل، قال كفار قريش للنبيﷺ أثناء عروضهم له لو عبدت آلهتنا وعظمتها لعبدنا الهك وعظمناه وكان يودون أن يميل ويلين النبي ﷺ لما قالوا فيميلون هم [3].

* **الصفة الثالثة: كثرة الحلف:** وبعد أن نهى الله ﷻ نبيهﷺ عن طاعة المكذبين، والنهي عام أي جميع الكفار إلا أنه أعاد النهي عن طاعة من كان موصوفاً من الكفار بصفات ذميمة وأول هذه الصفات **الحلاف**، وهو كثير الحلف الذي يجترئ على الله بهذه الأيمان الكاذبة لينفي ضعفه أمام الحق، وفيه دلالة على أنه لا يخاف من الله، وبدأ بصفة الكذب لأنها أسس كل شر، ومصدر كل معصية [4].

* **الصفة الرابعة:** كونه مهيناً وهي القلة والحقارة في الرأي والتمييز لأنه حلاف في الكذب والكذَّاب حقير عند الناس، وحقير عند الله، وقيل الهين: الوضيع لإكثاره من القبيح[5].

* **الصفة الخامسة:** كونه همّاز على وزن فعال وهي من صيغ المبالغة، قيل: الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللماز باللسان والهماز الطعان للمرء إذا غاب، وهو المغتاب [6].

* **الصفة السادسة:** مشاء بنميم هو الذي يمشي بين الناس وينقل الحديث ليفسد ذات البين، ويوقع بينهم الفتنة [1]، وفي الحديث عن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: **(إنهما**

---

(١) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٥١/٢٩)، مختصر تفسير ابن كثير، (٥٣٤/٢)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٤٣/١٥)، الكشاف، (٥٨٦/٤).

(٢) جامع البيان، (٥٣٤/٢٣).

(٣) تفسير ابن عطية، (٣٤٧/٥)، الكشاف، (٥٨٦/٤).

(٤) تفسير الرازي= مفاتيح الغيب، (٦٠٤/٣٠)، وفي رحاب التفسير، للشيخ كشك، (٧٣٨٥/٢٩)، تفسير ابن كثير، (١٩٠/٨).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي، (٢٣١/١٨)، فتح القدير، (٣٢٠/٥).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير، (١٩١/١٨).

ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)[٢]، وقال ﷺ: **(لا يدخل الجنة نمام)** [٣].

* **الصفة السابعة:** مناع للخير، دلالة على البخل، أو مناع الناس الخير وهو الإسلام ومناع الناس من الطاعة والإنفاق شديد الصد عن الخير يمنع أهله وعشيرته من الدخول في الإسلام [٤].

* **الصفة الثامنة:** كونه معتدياً وهي الذي جاوز الحد في الظلم، ويمكن حمله على جميع الأخلاق الذميمة يعني أنه نهاية في جميع القبائح والفضائح [٥].

* **الصفة التاسعة:** أنه أثيم وقرن بين هذه الصفة وسابقتها لأن الاعتداء مبالغة في العدوان ودلالة على الشدة، والأثيم كثير الإثم، ديدنه ذلك [٦].

* **الصفة العاشرة:** العتل هو الجاف القاس القلب، لا قول الشروب بدون تمييز بين حلال وحرام شديد الخصومة في الباطل وهو الفاحش اللئيم [٧]، عن حارثة بن وهب أنه سمع النبي ﷺ قال: **(ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى، قال: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى، قال: كل عتل جواظ** [٨] **مستكبر)** [٩].

* **الصفة الحادية عشر:** أنه زنيم وهو الملصق بالقوم وليس منهم وهو ولد الزنا الملحق بالقوم [١٠]، وقيل هو رجل من قريش له زنمة كزنمة الشاة، كان مشهور بالسوء كشهرة الشاة، ذات الزنمة

---

(١) تفسير ابن كثير، (١٩١/٨)، التفسير الواضح الميسر للصابوني، ص١٤٥٠.

(٢) صحيح البخاري، باب ما جاء في غسل البول، (٥٣/١)، وباب عذاب القبر من الغيبة والبول، (٩٩/٢)، وباب الغيبة، (١٧/٨)، وفي الحديث زيادة ثم دعا بعسيب رجب فشقه باثنين ففرش على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال: (لعله يخفف عنهما مالم ييبسا).

(٣) صحيح مسلم، باب غلظ تحريم النميمة، (١٠١/١)، مسند الإمام أحمد، باب حذيفة بن اليمان، (٣٨١/٣٨).

(٤) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن، (٣٧٣٥/٧)، تفسير أبي السعود، (١٣/٩)، فتح القدير، (٣٢٠/٥)، المنتخب، (٨٤٥/١).

(٥) ينظر: تفسير الرازي، (٦٠٤/٣٠).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، (٧٤/٢٩)، تفسير المراغي، (٣٢/٢٩).

(٧) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٤٤/١٥)، التفسير الواضح، (٧٢١/٣)، في رحاب التفسير، (٧٣٨٧/٢٩).

(٨) الجواظ: الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين وقيل الفاجر. (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (٣٩٩/٧).

(٩) صحيح البخاري، باب عتل بعد ذلك زنيم، (١٥٩/٦)، صحيح مسلم، باب النار يدخلها الجبارون، (٢١٩٠/٤).

(١٠) صحيح البخاري، باب عتيل بعد ذلك زنيم، (١٥٩/٦)، صحيح مسلم، باب النار يدخلها الجبارون، (٢١٩٠/٤).

من بين أخوتها، وزنيم وصف متأخر في الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة، أي أشنع منها وأقبح وهذا الوصف كما قال ابن عباس: لا نعلم أن الله وصف أحداً بهذه العيوب فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً قيل هو الوليد بن المغيرة، وقيل الأخنس بن شريق، وقيل هو أبو جهل، وقيل الأسود بن عبد يغوث(١).

[**أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ**] وقرأ ابن عامر وشعبة وحمزة وأبو جعفر ويعقوب "أن" بهمزتين "أأن" والباقون كحفص (٢).

والمعنى أن الله أغناه، وأكثر أولاده، فالعقل السليم يعمل شكراً مقابل هذه النعم لكنه جحد وكفر بالنعمة وقال عن القرآن أنه قصص سطرا الأولون، وفي سورة المدثر قال عن القرآن بعد أن نظر وعبس وبسر وأدبر واستكبر قاتله الله كيف قدر، قال: إن هذا إلا قول البشر (٣).

وعلى قراءة الهمزتين يكون الاستفهام للتوبيخ والتقريع، أو تقدير لام التعليل بمعنى ألئن كان ذا مال وبنين، أي لأنه صاحب مال وبنين تطيعه على وجه التوبيخ لمن أطاعه وقيل ألئن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين فيكون التقريع والتوبيخ لهذا الحلاف المهين وهذا هو الأظهر (٤).

[**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**] إذا تتلى عليه آيات القرآن قال هذا مما سطره الأولون مستهزئاً ومنكراً أن القرآن من عند الله فهو كلام بشر كتب في الكتب وسُطّر (٥).

[**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**] الوسم بالسيف فيضرب على وجهه وأنفه فيجيئ ذلك الوسم على الأنف وحل ذلك به يوم بدر، ويوم القيامة يعذب في جهنم بالنار على أنفه فيوسم يوم القيامة على أنفه بسمة يعرف بها انحطاط قدره ومهانته، وهذه السمة يفرد بها هذا الرجل لمبالغته في عداوة الرسول ﷺ، وفي هذا إذلال ومهانة لأن السمة على الوجه شين، وعلى الأنف أكثر شناعة، لأنه مكان العزة والحمية والأنفة، يقال للذليل جدع أنفه، ورغم أنفه، وفي التعبير بلفظ الخرطوم استخفاف وإهانة لأنه لا يستعمل إلى في الفيل والخنزير والذل والهوان سيكون لهذا الحلاف الزنيم في الدنيا

---

(١) ينظر: الكشاف، (٥٨٧/٤).

(٢) القراءات العشر المتواترة في هامش القرآن الكريم، إعداد الشيخ محمد كريّم راجح، ص٥٦٤.

(٣) ينظر: التفسير الواضح الميسر، للصابوني، ص١٤٥١، في رحاب التفسير، (٧٣٨٧/٢٩).

(٤) ينظر: جامع البيان، (٥٤٠/٢٣)، الكشاف، (٥٨٨/٤)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، عبد المنعم أحمد، (٣٧٣٥/٧)، زبدة التفاسير، محمد متولي الشعراوي، ص٦٥٧.

(٥) ينظر: جامع البيان، (٥٤١/٢٣)، تفسير المراغي، (٣٢/٢٩).

ويوم القيامة، كما عُلُم بالنمة في الدنيا سيوسم بسمة يوم القيامة يكون معروفاً لأهل أنه بهذه السمة[١].

خامساً: وجوه البلاغة:

١- صيغ المبالغة في حلاف، هماز، مشاء، مناع، على وزن فعّال وزنيم وأثيم على وزن فعيل [٢].

٢- الاستعارة في قوله تعالى: [**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**] حيث شبه أنف الإنسان بخرطوم الفيل، وهذا فيه حقارة واستهانة واستخفاف بهذا العتل الزنيم كثير الحلف والذي يسعى بين الناس بالفساد [٣].

٣- ذكر في آخر السورة قول الكفرة عن النبي ﷺ: إنه لمجنون، [**وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**] {القلم:٥١} ، وجاء الرد في أول السورة بنفي هذه التهمة فقال تعالى: [**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**] {القلم:٢} فناسب آخر السورة أولها، ثم دقق النظر كيف ناسب التأكيد بالباء الزائدة في النفس عندما نفى التهمة (بمجنون)، والتوكيد باللام في الإثبات (لمجنون) لأن اللام لتوكيد الإثبات، والباء لتوكيد النفي [٤].

سادساً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من هذا المقطع القرآني:

١- تحذر الآيات الأمة من إطاعة المكذبين بشكل عام، وعدم مداهنتهم والنفاق لهم، حتى يرضوا عنها ويلينوا لنا.

٢- تؤكد الآيات وتشدد على عدم إطاعة أصحاب الأخلاق الذميمة بوجه خاص.

٣- الحلف بالله أمر خطير لأن بعض الناس لا يكاد يتكلم جملتين إلا وحلف يميناً سواء كان حقاً أم باطلاً، هذا ليس من أخلاق المسلم الحق، لقد أمرنا الله في قرآنه بقوله: [**وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ**

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية، (٣٤٩/٥)، وينظر: زاد المسير في علم التفسير، (٣٢٢/٤)، تفسير المراغي، (٣٣/٢٩).

(٢) ينظر: التفسير المنير، (٥٠/٢٩).

(٣) ينظر: المصدر السابق، (٥٠/٢٩).

(٤) لمسات بيانية، فاضل صالح السمرائي، (١٠٩/١).

عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ] {البقرة:٢٢٤} ، وفي الحديث الكبائر: **(الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل**

النفس واليمين الغموس[١]**)**[٢].

٤- يتضح من الآيات أن الصادق لا يحتاج إلى الحلف باليمين لأنه على الحق، والحق واضح جلي قوي، وإذا حلف يكون لضرورة أما الإكثار من الحلف فهي صفة الكذابين الذين يجترئون على الله ويجدون الحلف مخرج لهم ونجاة، ونسوا أو تناسوا أن الله يعلم السر وأخفى وأنه عليمٌ بذات الصدور.

٥- في الآيات إشارة إلى عدم مداهنة أصحاب الأموال وأصحاب النفوذ والتملق إليهم، وليس ذلك التصنع إلا لأنهم أغنياء وأصحاب سلطة، فهذا الشيء قد يصل بنا إلى القول أنهم ينفعون ويضرون ويعطون ويحرمون مستقلين بالفعل، هذا المفهوم خاطئ ويجعلنا نبتعد عن التوكل على الله وأنه هو الرزاق، وهذا خلاف أن نحترمهم ونقدرهم، فالاحترام هو من خلق الإسلام لكن لا يكون لأجل المال والسلطة.

٦- الآيات الكريمة تلفت النظر والفكر إلى معرفة ما نحن فيه من نعم الله، فهذه الأموال والأولاد أليست نعمة، فما واجبنا تجاه هذه النعمة، هل نشكر الله على ذلك ونعمل جاهدين في طاعته حتى تدوم هذه النعمة، أم نقول: إنما أوتيته بعلمي وبقوتي وبأولادي ومالي وهذه الصورة صورها لنا القرآن في سورة القصص وكان نهايتها وستكون نهاية أمثالها من القصص الخسف بصاحب المال والجاه وبكل ما يملك لأن قارون وقصته عبرة وعظة للجميع فلا نقول ما قال، ولكن نتوجه بالعمل والقول شاكرين لله.

المطلب الثاني: قصة أصحاب الجنة والعبرة منها (الآيات ١٧-٣٣):

قال تعالى: [**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**

---

(١) اليمين الغموس: هو الحلف على أمر وهو يعلم أنه كاذب وسُميت غموس لأنها تغمس صاحبها في النار، صحيح البخاري، تعليق مصطفى البغا، (١٣٧/٨).

(٢) صحيح البخاري، باب [**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ...**] {آل عمران:٧٧} ، (١٣٧/٨).

يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ العَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] {القلم:١٧-٣٣}.

أولاً: القصة في القرآن:

تعريف القصة لغة: القص هو فعل القاص، إذا قصّ القِصص، ويقال: في رأسه قصة، ويعني الجملة من الكلام ونحوه، قال تعالى: **[نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ ...]** {يوسف:٣}، والقاص هو الذي يأتي بالقصة [١].

تعريف القصة اصطلاحاً: يقول سيد قطب رحمه الله: "القصة في القرآن عمل فني مستقل في موضوعه وطريقة عرضه" [٢]. والقرآن دستور شامل لهذه الأمة الإسلامية ويشمل كل مناحي الحياة الدينية والدنيوية، فهو كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائل الإبداع لهذه الدعوة، وتثبيتها وترسيخ معانيها، والقصة لها أثرها العميق في النفوس لما فيها من التشويق والاعتبار والاتعاظ، وهي من أهم الوسائل التي دخل منها المصلحون والقادة إلى قلوب الناس وعقولهم [٣].

والقصة في القرآن هي وسيلة من وسائل القرآن المتعددة لتوضيح الأغراض الدينية والدعوية فالقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة شأنها شأن الوسائل الأخرى من ترغيب وترهيب وعرض أحوال القيامة وعرض أحوال المؤمنين وما ينتظرهم والكافرين ومصيرهم ومع أن الغرض الديني هو الهدف من القصة في القرآن إلا أنه لم يؤثر على الجانب الفني للقصة فالقصة في القرآن أدت الهدف الديني كاملاً وبرزت الخصائص الفنية في التصوير والتعبير بصورة في غاية الروعة والجمال [٤].

فالقرآن يشبه بعضه بعضاً في البلاغة وقوة الحبك وسلاسة العبارات في جميع موضوعاته سواء كانت قصة أم تشريعاً أم أوامر ونواهي وغير ذلك، فالتعبير القرآني يؤلف بين الغرضين الديني والفني فيما يعرضه من صور ومشاهد وقصص، قال تعالى: **[نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ**

---

(١) لسان العرب، (٤٧/٧).

(٢) التصور الفني في القرآن، (١٤٣/١).

(٣) ينظر: القصة في القرآن للإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي، شيخ الأزهر، (٣/١)، ينظر: التصور الفني للقرآن، (١٤٣/١).

(٤) ينظر: القصة في القرآن، لسيد طنطاوي، (٤/١).

القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ] {يوسف:٣}، والقصة تعرض الحدث وكأنك تعيش معه وتشاهده فتنطبع في الذهن ولا ينساها الإنسان بسهولة [١].

أغراض القصة في القرآن:

للقصة في القرآن أغراض وأهداف سامية ومقاصد متعددة ومتنوعة من أهمها:

أ. إثبات الوحي والرسالة: فالرسول ﷺ أوحى الله إليه هذا القرآن وما فيه من قصص بداية من قصة آدم عليه السلام ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرها من قصص الأنبياء، ولم يكن ﷺ كاتباً ولا قارئاً ولم يتلق العلم والكتابة من أحد قبل ذلك، فورود هذه القصص بهذه الصورة من الدقة دليل على صدق الوحي والنبوة وأن القرآن وحي من عند الله [٢].

ب. من أهداف القصة كذلك بيان أن الله تعالى ينصر أنبياءه ورسله في النهاية ويحل الهلاك والعقاب على الكافرين، وهذا يقوي عزيمة المؤمنين ويثبتهم رغم الشدائد التي تواجههم وهذه النهاية المشجعة للمؤمنين والمحبطة للكافرين نراها في قصص متعددة مثل قصة نوح مع قومه وكيف تم إغراقهم، وقصة هود وقومه، وما حدث مع موسى عليه السلام وفرعون وجنوده وغير ذلك من القصص [٣].

ج. كذلك نجد من أهداف القصة ترسيخ قواعد الدين ونشر المعاني الدينية الواضحة من خلال المناظرات والمواعظ، وأوضح مثال قصة إبراهيم وجداله مع النمرود وكيف بهت الذي كفر في نهاية المناظرة.

د. إيضاح أسس الدعوة إلى الله وتوضيح وبيان أصول الشرائع التي بعث بها الأنبياء [٤] **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ]** {الأنبياء:٢٥} .

هـ. القصص نوع من فنون الأدب يصغي إليه السامع بشوق، وترسخ القصة في النفس وتتغلغل في قلب السامع فتحصل العبرة والعظة [٥]، **[لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ]** {يوسف:١١١}. ونأخذ العبرة والعظة بطرق شتى منها بيان حسن عاقبة المؤمنين، أو بيان سوء عاقبة المكذبين [١].

---

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن، (١٤٤/١).

(٢) ينظر: التصوير الفني للقرآن، (١٤٥/١)، علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، (٢٤٠/١)، مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، (٣١٨/١).

(٣) علوم القرآن الكريم، لنور الدين عتر، (٢٤٢/١).

(٤) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، (٣١٧/١).

(٥) ينظر: مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، (٣١٨/١).

و. تنبيه أبناء آدم من غواية الشيطان وأن العداوة خالدة بيننا وبين الشيطان، وتحذير الناس من طرق الشر التي يزينها هذا العدو، وكل طريق خير مستقيم يصد عنها ويقف فيها حتى يبعدنا عنها [٢].

ز. ومن أهداف القصة تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتسليته على ما يصيبه من الأذى وتبشيره بأن العاقبة الحسنة ستكون له ولمن اتبعه، قال تعالى: [**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**] {هود:١٢٠} [٣].

ح. بيان أن هذا القرآن هو من عند الله وليس كما يزعم المشركون أنه من عند محمد ﷺ لأن قصص السابقين ما كان يعلمها محمدﷺ ولا قومه، فهذا دليل على أنه صادق فيما يبلغه عن ربه، قال تعالى: [**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**] {هود:٤٩} [٤].

فهذه الأهداف المتعددة للقصة وهناك أهداف ومقاصد أخرى يستنبطها من يتعمق في فهم القصص القرآني، وهذا يدل على أهميتها فلنأخذ منها العبرة والعظة لنكون من أصحاب العقول الصحيحة السلمية التي تتعلم من خطئها وأخطاء غيرها، فليست القصة للتسلية أو لملء سطور وآيات ولكن لنستفيد منها ونحلل أحداثها وننتفع بما فيها من عبر ومواقف، بل لنتأمل نهاية القصة ونتعرف على تسلسل أحداثها، لنعرف نتيجة العمل الصالح ونتيجة العمل الطالح.

ثانياً: التحليل اللغوي:

بلوناهم: بلى (بلاه) جربه واختبره، وبلاه الله اختبره يبلوه بلاءً بالمد ويكون بالخير والشر [٥].

أقسموا: القسمُ: بفتح القاف والسين وضم الميم: اليمين بالله تعالى، أقسم يقسم إقساماً، والجمع أقسام، وأقسمت: حلفت، وتقاسموا: تحالفوا، ومنه قوله تعالى: [**كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ**] {الحجر:٩٠} أي الذين تقاسموا وتحالفوا على كيد الرسولﷺ [٦].

---

(١) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، (٣١٨/١).
(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن، (١٥٤/١).
(٣) ينظر: القصة في القرآن، سيد طنطاوي، (٦/١).
(٤) ينظر: المصدر السابق، (٥/١).
(٥) مختار الصحاح، (٤٠/١).
(٦) القاموس المحيط، (١١٤٩/١)، لسان العرب، (٤٨٢/١٢).

ليصرمنها: صَرَمَ: قطع القطع البائن أو القطع أي نوع كان، صرمه يصرمه صرماً فانصرم ومنه قوله تعالى [**إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ**] {القلم:٢٢}، أي عازمين على صرم النخل، والصريمة: الأرض المحصود زرعها، والصريم: الليل لانقطاعه عن النهار، ومنه قوله تعالى: [**فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**] {القلم:٢٠}، أي احترقت فصارت سوداء مثل الليل، والصريم: الشيء المصروم الذي لا شيء فيه، وقيل الأرض المحصودة [١]، والصريم: من الأضداد، فهو اسم الليل والنهار جميعاً لأن كل واحد يقطع عن صاحبه [٢].

يتخافتون: خفت: الصوت سكن بمعنى أسرار المنطق، خفت الصوت خفوتاً: بمعنى سكن وتخافت القوم إذا تشاوروا سراً [٣].

حرد: الحرْد: الجد والقصد، حَرَدَ يَحْرِد بالكسر: بمعنى قصد ومنه قوله تعالى: [**وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ**] {القلم:٢٥} ، والحرد: المنع، والقصد، والغيظ والغضب، ويجوز أن يكون هذا كله معنى قوله [**وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ**]، وغدوا على حردٍ: على حدٍ من أمرهم [٤].

طاغين: طغى: الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح، وهو مجاوزة الحد في العصيان، يقال: هو طاغ، وطغى السيل: إذا جاء بماء كثير، وطغى البحر هاجت أمواجه، والطغيان: الاعتداء في حدود الأشياء ومقاديرها، والطغيان: مجاوزة الحد في العصيان، وطغى الرجل: أسرف في المعاصي والظلم، والطاغية: الجبار، الأحمق، الظالم، المتكبر [٥].

فطاف عليها طائف: طاف به حام حوله، وأطاف به وعليه، طرقه ليلاً ومنه قوله تعالى: [**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ**] {القلم:١٩} ، ولا يكون الطائف إلا ليلاً، والطائف والطيف سواء وهو ما كان كالخيال والشيء يلم بك [٦]، وكان ما حدث لجنتهم أمر غريب كالخيال ولهذا قالوا عندما رأوها لقد ضللنا الطريق، هذه ليست جنتنا لأن الأمر غريب ولا يكاد يصدق.

---

(١) لسان العرب، (٣٣٦/١٢).

(٢) تفسير السمعاني، (٢٤/٦).

(٣) مختار الصحاح، (٩٣/١)، لسان العرب، (٣١/٢).

(٤) لسان العرب، (٤١٢/٣).

(٥) معجم مقاييس اللغة، (٤١٢/٣)، تاج العروس، (٤٩٢/٣٨).

(٦) لسان العرب، (٢٢٦/٩).

ثالثاً: أسباب النزول:

ذكر الإمام السيوطي: أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذاً فاربطوهم في الحبال، ولا تقتلوا منهم أحداً، وكان الأمر سهلاً لدرجة أن الإمساك بالمسلمين هين لقلة المسلمين وضعفهم الشديد، وقوة قريش عدواً وعدة، فنزلت: [**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**] {القلم:١٧}، فقدرة قريش على المسلمين كقدرة أصحاب الجنة على قطف ثمار جنتهم [١].

رابعاً: التفسير الاجمالي:

إنا بلوناهم أي كفار قريش كما بلونا أصحاب الجنة وكانوا مؤمنين من أهل الكتاب فشبه الله تعالى قريشاً بهم، بأن امتحن أهل قريش بمحمد ﷺ كما امتحن أصحاب الجنة بفعل أبيهم، فكما حلَّ العقاب في جنتهم كذلك سوف يحل بكفار قريش الذين بطروا ولم يشكروا النعمة، وعادوا محمداً ﷺ بدل أن يؤمنوا به [٢]، ويذكر ابن عطية أن كثيراً من المفسرين على أن السنين السبع التي أصابت قريشاً هي اختبار لهم كما اختبر أصحاب الجنة [٣]، وأصحاب الجنة قيل هم من أصحاب الكتاب وقيل من ثقيف وكان أبوهم يعطي الفقراء والمساكين يوم حصاد البستان نصيبهم، وقيل كان يدخر ما يكفيه لسنته وينفق الباقي، وعندما مات هذا الرجل، لم يرق للأولاد فعل أبيهم، وتعاهدوا وأقسموا بأن لا يعطوا المساكين شيئاً، ولا يستثنون أكثر المفسرين أن لم يستثنوا بمشيئة الله لأنهم كانوا واثقين من قدرتهم على حصاد وقطف الثمار لا محالة، قيل معنى لا يستثنون أي أنهم سيقطفون كل الثمر ولا يستثنون للمساكين شيئاً كما كان يفعل أبوهم [٤]، فنادى بعضهم بعضاً في الصباح للذهاب للبستان لقطع ثمار النخيل وقيل الأعناب وتشاورا بأن لا يدخلنها عليهم مسكين وذهبوا على حردٍ أي على قدرة وجد وقصد وعلى أمر مجمعون عليه وقيل الحرد الحنق والقضب على المساكين ومنعهم ما كان يعطيهم أبوهم [٥].

وكان بسبب هذا العزم منهم والنية المخالفة لما كان يفعل أبوهم وهذا الظن منهم بأنهم قادرون على فعل ذلك لا يمنعهم شيء حتى أنهم لم يقولوا إن شاء الله، لأنهم كالواثقين من قدرتهم على ذلك الشيء طاف وحام حولها عذاب من الله، قيل نار من السماء أحرقت البستان فأصبح

---

(١) ينظر: أسباب النزول، للسيوطي، ص٤٢٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (٥٤٢/٢٣)، تفسير ابن عطية، (٣٤٩/٥)، تفسير القرطبي، (٢٣٩/١٨).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، تفسير الكتاب العزيز، (٣٤٩/٥).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، (٦٠٧/٣٠)، زاد المسير في علم التفسير، (٣٢٢/٤).

(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، (٣٢٤/٤).

أسوداً مثل الليل في السواد [١].

فلما وصلوا إليها وقد تحولت نضارة البستان وكثرة ثمره إلى سواد قد استحالت النضارة والبهجة إلى السواد والظلمة، وكان الثمار صرمت أو قطعت اعتقدا في البداية أنهم قد أخطأوا الطريق فقالوا إنا لضالون أي تائهون عن الطريق إلى البستان، ولكن عندما تيقنوا أن ذلك البستان المصروم الخالي من الثمار هو بستانهم قالوا "بل نحن محرومون" أي حُرمنا من ثمر البستان بسبب عزمنا وقصدنا حرمان المساكين حقهم عندها قال أوسطهم وأعدلهم وأعقلهم رأياً وكان قد حذرهم من نيتهم منع الفقراء نصيبهم، فلم يسمعوا منه وعصوه، فعندما ذكرهم بما نصحهم به، وقال: ألم أقل لكم لولا تسبحون بمعنى هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أنعم عليكم من بستان فيه نخيل وعنب، وقيل لولا تسبحون أي هلا تستثنون فتقولون إن شاء الله، إذا قلتم لنصرمنها مصبحين [٢].

والأول أولى لأن أوسطهم نصحهم بالشكر بأن يعطوا الفقراء حقهم ولا يمنعوهم ما كان يدفعه لهم أبوهم، بعد هذا التذكير لهم أقبلوا يتلاومون فهذا يقول أنت خوفتنا الفقر، وآخر يقول أن صاحب هذا الرأي وهكذا لام أحدهم الآخر وقيل على ما فرطوا منه من الاستثناء وما أضمروا من منع المساكين من دخول البستان وأخذهم نصيبهم [٣].

واعترفوا بأنهم كانوا طاغين معتدين على أمر الله، ولم نشكر كما كان يشكر أبونا، ثم قالوا "عسى ربنا أن يعوضنا أفضل من بستاننا في الدنيا ويتوب علينا، يقال أنه ﷻ أبدلهم خيراً منه لصدق توبتهم، ووصفوا الجنة الجديدة بأوصاف كثيرة مبالغ فيها حيث قالوا أن اسم البستان الجديد هو الحيوان فيها عنب يحمل البغل عنقوداً واحداً [٤]، كذلك العذاب أي ما حدث من عذاب وهلاك للبستان في الدنيا يحصل لمن خالف أمرنا وكذب رسلنا في الدنيا، فهذا مثال على نوع من أنواع العقاب في الدنيا وهو حرمان الثمر عندما يأتي وقت حصاده وهذا فيه حسرة كبيرة ولعذاب

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، (٦٠٨/٣٠).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير، (١٩٧/٨)، ينظر: التفسير الواضح الميسر، للصابوني، ص١٤٥٣، زبدة التفاسير، للشعراوي، ص٦٥٧، رحاب التفسير، للشيخ كشك، (٧٣٨٩/٢٩).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٨٢/١٠).

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٨٢/١٠)،التحرير والتنوير، (٨٨/٢٩)، ، ينظر: الفتوحات الإلهية، للجمل، (٨٠/٨).

الآخرة أكبر وأشد وأعظم من عذاب الدنيا [١]، وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذا مثل لأهل مكة عندما خرجوا يوم بدر وتعاهدوا على قتل محمد ﷺ ومن معه جميعاً وبعدها يشربون الخمر ويضربون الدفوف فكان الأمر أشبه بالخيال حيث هُزموا شر هزيمة لم يكن أحد منهم يخطر بباله هذا ولا حتى أن يجدوا مقاومة من المسلمين لقلتهم وضعفهم ما حدا بأبي بجهل أن يقول ستربطهم في الحبال [٢]، فلو كانوا من ذوي العقول والمعرفة لارتدعوا عن جهلهم وكفرهم وعنادهم وتابوا إلى رشدهم ولو اعتبروا واتعظوا من هذه القصة لما أصرّوا على الكفر والمعصية والعداء لمحمد ﷺ [٣].

فوجه المشابهة بين أهل مكة وأصحاب الجنة أن كلا الفريقين قد منحه الله نعمة عظيمة لكنهم قابلوها بالجحود وعدم الشكر [٤].

مسألة: يخطر بالبال مسألة مهمة وهي أنه هل يعاقب الإنسان على نيته؟ فأصحاب الجنة لم يمنعوا المساكين حقهم فعلاً؛ لكنهم عزموا على ذلك، قال القرطبي رحمه الله في هذه الآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان لأن أصحاب البستان عزموا على الفعل فعوقبوا قبل فعلهم، ومثل ذلك قوله تعالى: [**وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**] {الحج:٢٥} ، وفي الحديث: **(إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار)**، قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: **(إنه كان حريصاً على قتل صاحبه)** [٥]، فالقرطبي يؤكد على أن من عزم على فعل معصية فإنه يؤاخذ عليها ويقول: "هذا ما عليه عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ولا يلتفت لمن زعم أن ما يهُم الإنسان به وإن وطن عليه لا يؤاخذ به" [٦]، ولكن ورد في في الحديث: **(من هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه)** [٧]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول

---

(١) ينظر: في رحاب التفسير، (١٧٣٨٩/٢٩)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، (٣٧٣٩/٧)، تفسير الجلالين، (٧٥٨/١)، الفتوحات الإلهية، للجمل، (٧٩/٨)، التفسير الواضح الميسر، للصابوني، ص١٤٥٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط، (٢٤٤/١٠)، الفتوحات الإلهية، للجمل، (٨١/٨)، تفسير ابن كثير، (١٩٥/٨).

(٣) ينظر: تفسير المراغي، (٣٩/٢٩).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٤٧/١٥)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٠٣/١٥).

(٥) صحيح البخاري، باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، (١٥/١)، صحيح مسلم، باب إذا تواجه المسلمان بسيفهما، (٢٢١٤/٤).

(٦) تفسير القرطبي، (٢١٥/٤)، عندما فسر الآية "١٣٥" من سورة آل عمران (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)، ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٦٣/٢٩).

(٧) كتاب تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري، باب من هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، (١٢٧٩/١)، مصنف ابن أبي شيبة وزاد (حتى يعملها)، (٢٦٨/٣).

الله ﷺ: **(من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشراً إلى سبع مائة ضعف، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت)** [1].

وعن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: **(إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشراً)** [2].

والآن نتساءل لماذا عوقب أصحاب الجنة قبل أن يعملوا ويحرموا الفقراء من حقهم ونصيبهم؟ أن أصحاب البستان تجاوزوا مرحلة الهم وبدأوا مرحلة العمل بالفعل، فهذا التدبير، والإصرار على حرمان الفقراء، وغدوا على حردٍ، فانطلقوا، أن لا يدخلنها، كل هذه أفعال وليس فقط مجرد هَمْ، لهذا عوقبوا على الفعل والله أعلى وأعلم.

خامساً: أوجه البلاغة:

١- قوله تعالى: [**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ**] {القلم:١٩} جاءت طائف نكرة للإبهام تعظيماً لما أصاب جنتهم حتى أصبحت كالليل الأسود، وكأنها احترقت، أو أصبحت كالنهار لأنها خالية من الثمر، ومنه البياض من الأرض بمعنى الخالية من الشجر، فلم يذكر ﷻ نوع هذا الطائف أو كيفية نزوله لأن المقصود ما ترتب عليه من آثار توجب الاعتبار، أما ما هو هذا الطائف وما نوعه فلا يتعلق بذكره هدف أو غرض [3].

٢- قوله تعالى: [**قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ**] {القلم:٢٨} استفهام استنكاري حيث أنكر عليهم عدم التسبيح، كما أنكر قولهم: لنصرمنها مصبحين، والمعنى: ألم يسبق لي أن قلت لكم لماذا قلتم لنصرمنها مصبحين، وقلت لكم هلا تستثنون، وأطلق لفظ التسبيح على الاستثناء لأن كلاً من التسبيح والاستثناء تنزيه وتعظيم لله تعالى [4].

---

(١) صحيح مسلم، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، (١١٧/١).

(٢) صحيح مسلم، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، (١-١١٧)، وعند البخاري، باب من هم بحسنة أو بسيئة، بألفاظ متقاربة، (٨-١٠٣).

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش، (١٧٨/١٠)، وينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٤٨/١٥).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير، للجزائري، (٤١٢/٥).

٣- قوله تعالى: [**كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ**] {القلم:٣٣} حيث قدم الخبر "كذلك" على المبتدأ وهو العذاب، وهذا للاهتمام بإحضار تلك الصورة العجيبة من إحراق البستان في ذهن السامع [١].

استنباط بعض الهدايات:

١- تقرر الآيات أن مصير الشحيح ومانع الزكاة تلف ماله و ندمه.

٢- على الأمة دائماً أن تتذكر قدرة الله وقوته وتتبرأ من الحول والقوة فكفار مكة أرادوا القضاء على الرسولﷺ وصحابته، وكان في نظرهم أن الأمر ميسوراً وسهلاً، وكذلك أصحاب الجنة كانوا واثقين من قدرتهم على قطف ثمارهم وقادرين على منع المساكين، دون أن يذكروا أي مانع قد يمنعهم من ذلك، حتى أنهم لم يأخذوا بالحسبان أن يمرض أحدهم، أو يموت مثلاً وهذه عوارض طبيعية قد يتعرض لها الإنسان في أي وقت، فعلينا أن نقدم مشيئة الله قبل أن نعزم على فعل أي شيء.

٣- تظهر الآيات أهمية بر الوالدين والوفاء بعهدهما وإنفاذ وصيتهما، فقد ذكر بعض المفسرين أن صاحب البستان أوصى أولاده، بالسير على نهجه وإعطاء المساكين كما كان يفعل فخالفوا الوصية، ودبروا ومكروا ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، وفي الحديث أن رجل من بني سلمة سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال: **(نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهودهما، وإكرام صديقهما وصلة الرحم الذي لا رحم لك إلا من قبلهما)** [٢].

٤- تبرز الآيات أهمية الإسراع إلى التوبة والتسبيح والاستغفار وعدم الغضب عندما يذكرنا أحد بأخطائنا، فعندما ذكرهم أوسطهم بقوله: (لولا تسبحون) قالوا: سبحان ربنا، واعترفوا بأنهم كانوا ظالمين، ونظيره في القرآن كثير، منه قوله تعالى: [**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**] {آل عمران:١٣٥} .

---

(١) ينظر: القصة في القرآن، لسيد طنطاوي، (٣٠٩/٢).

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، كتاب البر والصلة، (١٧١/٤)، الأدب المفرد، باب بر الوالدين بعد موتهما، (٢٧/١)، حديث أبي أسيد الساعدي.

٥- ترشد الآيات وتعلم التروي والحكمة عند اتخاذ القرارات، فلا بد من التعقل والتفكير في الأمر قبل القيام به، فهؤلاء الفتية تعجلوا دون تفكير في عاقبة الأمر، فكانت الندامة والخسران نتيجة هذا التسرع.

٦- توضح الآيات وتظهر أهمية شكر النعم، وتذكر المنعم، والشكر يكون بالعمل، قال تعالى: [**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا**] {سبأ:١٣}، فالعمل لشكر النعم يكون بإعطاء المساكين من هذه النعم وهذا الثمر، قال تعالى: [**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**] {الأنعام:١٤١}.

٧- توجه القصة الأغنياء إلى التكافل الاجتماعي، وما أحوجنا إليه في أيامنا هذه، فعطف الغني على الفقير من الأسس التي تنشر المحبة بين أفراد المجتمع، وتقضي على الحسد والبغض والكراهية، فلا يتمنى الفقير زوال مال الغني بل يدعو له بالخير والبركة.

٨- ترشد الآيات إلى أهمية إضمار النية الحسنة وأن ننوي فعل الخير دائماً فإن قُدِّر لنا فعله كان لنا أجراً عظيماً، وإن لم نستطع ذلك فلنا أيضاً أجر على هذه النية، ففي الحديث القدسي، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ قال: **(إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها، كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة)** [(١)]، فلنحرص على أن نَهمَّ دائماً على فعل الحسنات حتى نحصل على حسنة أو عشرة ولا ننوي ولا نضمر الشر أبداً.

٩- تبين الآيات أن الدنيا دار اختبار وابتلاء فكان اختبار أهل البستان، واختبار أهل مكة رزقهم الله خيراً فبطروا وجحدوا ولم يشكروا الله على نعمه، فكانت عاقبتهم الندم والخسارة في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر.

١٠- من الإشارات التي نستطيع ان نفهمها من القصة أن الإنسان ضعيف القوة والتدبير، فمشركو مكة أحكموا الخطة لقتل محمد ﷺ وأصحاب يوم بدر، ولم يذكروا أي مانع يمنعهم من تنفيذ ما عزموا عليه، وكذلك أصحاب الجنة لم يستثنوا أي شيء بمنعهم من حصاد وقطف ثمارهم ولم يذكروا أي مانع يمنعهم من حرمان المساكين حتى الأمور الطبيعية لم يذكروها مثل المرض فلم يكن بحسبانهم أن يمرض أحدهم أو يموت مثلاً، فيكون عائفاً لما عزموا

---

(١) صحيح البخاري، باب من هم بحسنة أو بسيئة، (١٠٣/٨).

أصروا عليه، ومكن رأينا أن الأمور لم تسير حسب ما خططوا ودبروا رغم أحكام التدبير والتخطيط.

١١- تصور الآيات النفس الإنسانية في حال الغنى والفقر، وفي حال حصولها على النعمة وحال فقدانها.

المطلب الثالث: جزاء المتقين وبيان حال المجرمين والمكذبين يوم القيامة:

وينقسم إلى مقطعين:

المقطع الأول

جزاء المتقين وإنكار المساواة بين المسلمين الطائعين والمجرمين العاصين

قال تعالى: [**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**] {القلم:٣٤-٤١}.

أولاً: التحليل اللغوي:

[**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**]، فيقول الإمام الجرجاني [١]، التقوى في اللغة: لاتقاء وهو اتخاذ الوقاية والاحتراز بطاعة الله عند عقوبته وصيانة النفس عما تسترق به العقوبة وذلك في الأوامر أو النواهي [٢].

تدرسون: درس الكتاب يدرسه درساً ودراسةً، ودراسة كأنه عانده حتى انقاد لحفظه وبمعنى ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه عليَّ، ويقال: سمى إدريس لكثرة دراسته كتاب الله تعالى، ويقال: درست الصعب حتى رضته [٣].

---

(١) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز، فر الجرجاني إلى سمرقند بعدما دخل تيمور شيراز، وعاد إلى شيراز بعد وفاة تيمور، له نحو خمسين مصنفاً، منها التعريفات، شرح مواقف الإيجي، الكبرى والصغرى في المنطق وغيرها، توفي سنة ٨١٦، الإعلام للزركلي، (٧/٥).

(٢) التعريفات، للجرجاني، (٦٥/١).

(٣) لسان العرب، (٨٠/٦).

زعيم: زعم يزعمُ زعماً أي قال: وزعم به: كفل، والزعيم الكفيل وفي الحديث (الزعيم غارم)، زعيم القوم: سيدهم، ويقال له الحميل والقبيل والصبير، والزعيم في كلام العرب: الضامن والمتكلم عنهم، والقائم بأمرهم [١].

أيمان بالغة: قال ثعلب [٢]، معناه موجبة أبداً قد حلفنا لكم أن نفى بها، قد انتهت إلى غايتها، وقيل يمين بالغة أي مؤكدة [٣].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن ذكر الله ﷻ حال أهل الجنة في الدنيا وما حل بهم من عقاب بسبب أفعالهم المخالفة لما أمر الله به، وجحودهم النعمة بدل شكرها ذكر عقب هذه القصة حال المتقين وما ينتظرهم في جنة الآخرة، هذه الجنة الدائمة التي لا تفنى ولا تبيد، أما جنات الدنيا فهي تفنى لا محالة وهذه الآيات هي مقابل آيات التهديد لمن كفى وعصى ألم يقل ﷻ في نهاية قصة أصحاب البستان [**وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ**] فهذا تهديد لهم في الآخرة فجاء مقابلة [**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**] {القلم:٣٤} ، لمن أطاعه في الأمر والنهي فهذه الآيات هي صورة عن أحوال السعداء وما ينتظرهم، والتي سبقتها عن أحوال الأشقياء ومصيرهم وهو عذاب أكبر مما يتوهمونه ويحسبونه [٤]، وهذا ما نفهم في قوله تعالى: [**وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ ...**] {الحديد:٢٠}، فمناسبة الآيات لما قبلها هو التقابل في العاقبة وفي المسلك والحقيقة تقابل النقيضين اللذين اختلفت بها الطريق فكان الاختلاف في خاتمة الطريق [٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

---

(١) مختار الصحاح، (١٣٦/١)، معاني القرآن للفراء، (١٧٧/٣).

(٢) إمام الكوفيين في النحو واللغة، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوي الشيباني بالولاء المعروف بثعلب ولاؤه لمعن بن زائد الشيعاني، كان ثقة حجه صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم، وكان مقدماً عند الشيوخ، وكان ابن الأعرابي ذا شك في شيء قال له: ما تقول يا أبا العباس، توفي سنة ٢٩١هـ، وفيات الأعيان، (١٠٢/١)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، (١٣٢/٢).

(٣) لسان العرب، (٤٢٠/٨).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير، (١٩٨/٨)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٣١٧/٢٠)، ينظر: تفسير المراغي، (٤٠/٢٩)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٠٤/١٥)، التفسير المنير، للزحيلي، (٦٧/٢٩)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٠٤/١٥).

(٥) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٦٦/٦).

والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر [١]، فهؤلاء المتقين المخلصين المطيعين الذين اتقوا عقوبة الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لهم بساتين النعيم الدائم، والتي ليس فيها إلا النعيم الخالص، لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب بساتين الدنيا الفانية [٢]، يقول الإمام البقاعي [٣] رحمه الله، وجنات جمع جنة وهي البستان الجامع وفي عرف الشرع "مكان اجتمع فيه جميع السرور وانتفى منه جميع الشرور وهو الخالص من المكدر والمنغص" [٤].

[**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**] هل يستوي المطيع الخاشع لأمر الله ونهيه، والمجرم الذي اكتسب الآثام، وركب المعاصي، وخالف الأوامر والنواهي، لن يكون حال المسلمين في الهوان والذل كالمشركين أبداً، وهذا الاستفهام إنكار لما كان يعتقد كفار مكة أنهم أفضل من المسلمين في الدنيا وسيكونون أفضل في الآخرة إن كان هناك بعث وآخرة، فهذه الآيات توبيخ من الله لهم وتقريع وإنكار لما يظنونه [٥].

وذكر الإمام الرازي [٦] رحمه الله وكثير من المفسرين أنه عندما نزلت [**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**]، قال كفار مكة: إن الله تعالى فضلنا عليكم أيها المسلمين في الدنيا، فلا بد وأن يكون كذلك في الآخرة، وإن لم يكن فلا أقل من المساواة، فرد عليهم رب العزة إن المساواة بين المطيع المتقي والمجرم العاصي غير جائزة.

---

(١) التعريفات، للجرجاني، (٦٥/١).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٥٥٢/٢٣)، الكشاف، (٤-٥٩٢)، مفاتيح الغيب، (٦١١/٣٠)، تفسير القرطبي، (٢٤٦/١٨).

(٣) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط -بضم الراء وتخفيف الباء- بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ وأديب، أصله من البقاع من سورية، سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، له مصنفات كثيرة مثل تفسيره نظم الدرر، وله ديوان شعر سماه (إشعار الواعي بأشعار البقاعي) وغيرها، الأعلام، للزركلي، (٥٦/١).

(٤) نظم الدرر، (٣١٧/٢٠).

(٥) ينظر: جامع البيان، (٥٥٢/٢٣)، بحر العلوم، للسمرقندي، (٤٨٤/٣)، الوجيز للواحدي، (١١٢٣/١)، مفاتيح مفاتيح الغيب، (٦١١/٣٠)، تفسير القرطبي، (٢٤٦/١٨).

(٦) هو العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين بن محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، ولد سنة (٥٤٤هـ)، (٥٤٤هـ)، وتوفي (٦٠٦هـ)، الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، فريد عصره، ونسيج وحده، له تصانيف مفيدة منها تفسير القرآن الذي جمع فيه كل غريب وغريبة، وله في علم الكلام: المطالب العالية، ونهاية العقول، وغيرها، وله في أصول الفقه: المحصول، والمعالم، وله في الحكمة وله في النحو والطب وفنون كثيرة، وفيات الأعيان، (٢٥٢/٤)، الأعلام، للزركلي، (٣١٦/٦).

وقد نتساءل عن التعبير القرآني بلفظ (المسلمين) ولم يقل المؤمنين، فالمسلمون قد يكون منهم عصاة ومجرمين!! إن التعبير بلفظ المسلمين في هذه السورة الكريمة التي هي من أوائل ما نزل تعني أن المسلم في هذه المرحلة من بداية الدعوة دخل الإسلام بفطرة سليمة، ونفس مطهرة من وجس الجاهلية، فلم يكن إسلام من أسلم عن رهبة أو طمع في شيء من متاع الدنيا أو نفاق فكان مسلماً مؤمناً وتقياً ومطيعاً غايته الآخرة وما أعده الله للمتقين، فوطنوا أنفسهم على احتمال البلاء والتضحية والفداء بثبات ويقين في سبيل الحق الذي آمنوا به [١].

أما التعبير القرآني بلفظ (المجرمين) مقابل المسلمين، وكما نعلم أن الخطاب موجه للمشركين فلماذا عبر عنهم بالمجرمين؟ فهذا وصف يلبسهم مع الشرك صفة الإجرام ويلبسهم لباس المجرمين الذي يساقون إلى المحكمة متلبسين بجرمهم، وهذا الجرم هو الكفر والجحود لرسالة الحق وهم أكثر الناس علماً بصدق النبي ﷺ وأمانته ومع ذلك كفروا به وبرسالته وليس هذا فحسب بل عذبوا واضطهدوا كل من كان يسلم مع محمد ﷺ، فلاشك في إجرامهم وعتوهم وكما قال تعالى عنهم [**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**] {النمل:١٤} [٢].

ثم زاد في توبيخهم فقال: [**مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**]، هذا حكم مبني على أهوائكم حيث حكمتم إنكم أفضل من المسلمين أو المساواة على الأقل فهذا حكم أعوج كأن أمر الجزاء بأيديهم وتحت تصرفهم [٣]، ويذكر صاحب تفسير مراح لبيد [٤]، كيف تحكمون هذا الحكم (وعلى أي شيء شيء يحصل لكم وأي حال يدعوكم إلى هذا الحكم هل هو صادر عن اختلال فكر أو اعوجاج رأي) [٥]، فعلى أي شيء تبنون أحكامكم؟ وهل هذا الحكم أخذتموه من كتاب نزل عليكم من السماء السماء فأنتم تخيرون عما فيه [**أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ**]، [**إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ**]، فهذا الكتاب أن تختارون ما تشاؤون، وتكونون وأنتم كفار مجرمون كالمسلمين في الجزاء والثواب.

ولا يخفى أن هاتين الآيتين فيها التهكم والسخرية بهم، فبعد أن أنكر عليهم ظنهم بالمساواة بين الكافر والمسلم، وأنكر عليهم حكمهم الذي لا يقبله عقل ولا عدل، سألهم بسخرية واستهزاء إن كان لهم كتاب يستمدون هذه الأحكام منه، فهذا الكتاب يأخذون منه من الأحكام ما يشتهون! فهم

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، (٦١٢/٣٠)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٠٥/١٥).

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، (١١٠٧/١٥).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي، (٢٤٦/١٨).

(٤) هو محمد عمر نووي الجاوي النبتي إقليما، التتارى بلداً، مفسر، متصوف من فقهاء الشافعين، هاجر إلى مكة مكة ومات فيها، له مصنفات كثيرة منها تفسيره (مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد)، ومراقى العبودية، وشرح لبداية الهداية للغزالي، ومصنفات أخرى، توفي سنة (١٣١٦هـ-١٨٩٨م).

(٥) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، (٥٥٤/٢).

الخصم والحكم وإذا كانوا كذلك، فكيف سيكون حكمهم؟! إنه لا يوجد كتاب سماوي أو غير سماوي يوافقكم على التسوية بين المتقين والمجرمين وهذا أحكامكم كاذبة ما أنزل الله بها من سلطان [1].

وإذا لم يكن لديكم كتاب تختارون منه الحكم الذي تريدون، ربما يكون لكم مواثيق على الله، هذه المواثيق مكتوب فيها أنهم يختارون ويحكمون كيفما يشاؤون [**أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ**] {القلم:٣٩} ، فهل أقسمنا لكم إيماناً موثقة مؤكدة بأننا رضينا بأحكامكم هذه التي يتساوى فيها المسلمين والمجرمين، فقوله تعالى: [**إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ**] يكون جواباً للقسم الذي أقسمناه لكم [2].

ثم أمر ﷻ رسوله أن يسألهم على سبيل التبكيت [3] والتأنيب فقال تعالى: [**سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**]، فأيهم المتكلم عن القوم والناطق بلسانهم وكفيلهم، واسم الإشارة (ذلك) يعود على الحكم الذي حكموه باطلاً وهو المساواة من المسلم والمجرم [4].

وإن كان لهم شركاء، وأرباب يكفلون لهم ذلك فليحضروهم لنرى مدى صدقهم، فليأتوا بهم لينصروهم، إن كانوا صادقين في دعواهم [5]، وهكذا بُهت الذي كفر، فلو كان لهم كتاب لأتوا به وأحضره، ولو كان عندهم مواثيق وأيمان مغلظة لعرضوها ولو كان لهم شركاء وأرباب تكفلوا لهم بما زعموا لأخبروا عنهم، وهذا حال الجاحد المعاند في كل مكان وزمان فهم بزعمهم هم المفوضون بالحكم بينهم وبين خصومهم.

رابعاً: أوجه البلاغة:

١- الطباق بين المسلمين والمجرمين.

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، (٥٤/١٥)، ينظر: تفسير المراغي،(٤٠/٢٩) في ظلال القرآن، (٣٦٦٧/٦).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٦٧/٦)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٥٤/١٥)، صفوة التفاسير، (٤٠٥/٣).

(٣) التبكيت: التقريع والتوبيخ، يقال له: يا فاسق أما استحييت؟ أما اتقيت الله؟ وبكته بالحجة أي غلبه وبكته يبكته بكتاً: كلاهما استقبله بما يكره، لسان العرب، (١١/٢).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٥٤/١٥)، صفوة التفاسير، (٤٠٥/٣).

(٥) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (٤٠٥/٣)، التفسير الوسيط، للزحيلي، (٢٧١٦/٣).

٢- التشبيه في قوله تعالى: [**أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالمُجْرِمِينَ**] {القلم:٣٥} ، يسمى تشبيه مقلوب ليكون أبلغ وأروع، لأن الأصل: (أفنجعل المجرمين كالمسلمين في الأجر والثواب) والاستفهام يفيد الإنكار أي لا يكون المسلمين كالمجرمين أبداً [١].

٣- قال تعالى: [**مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**] {القلم:٣٦} ، وقوله تعالى: [**أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ**] {القلم:٣٧} ، استفهام تقريعي توبيخي ويؤكد هذا التقريع والتوبيخ بالجمل التي بعده قوله تعالى: [**إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ**] {القلم:٣٨} ، وقوله: [**أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ...**] {القلم:٣٩} .

٤- أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟ استفهام للتوبيخ والتقريع والإنكار لأن الكفار كان يقولون إن كان لهم في الآخرة جنات حقاً، فإن لنا أكبر منه كما أنا في الدنيا أفضل منهم، فوبخهم الله فقال: [**أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالمُجْرِمِينَ**]، وقوله أيضاً: [**مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**] [٢].

٥- اشتملت الآيات على سبعة استفهامات (**أفنجعل – مالكم – كيف تحكمون – أم لكم كتاب – أم لكم أيمان – أيهم بذلك زعيم – أم لهم شركاء**) وكلها تفيد الإنكار والتوبيخ والتقريع، حيث زعم المشركون أن الله فضلهم على المؤمنين في الدنيا، وسيفضلهم في الآخرة، أو يساويهم بالمؤمنين، ففنّد الله مزاعمهم بهذه الاستفهامات المتتالية، وقد انتظمت في أعلى درجة من الفصاحة والبيان، فهذه الاستفهامات السبعة اشتملت على نفي مزاعمهم وإنكارها بنفي الدليل العقلي لقوله: ﴿ **مالكم كيف تحكمون** ﴾ وكذلك نفي الدليل النقلي في قوله: ﴿ **أم لكم كتاب فيه تدرسون** ﴾ ، ونفي أن يكون الله وعدهم بشيء في قوله: ﴿ **أم لكم أيمان** ﴾، ونفي التقليد الأعمى ﴿ **أم لهم شركاء** ﴾ [٣].

المقطع الثاني

مشهد من مشاهد يوم القيامة وتهديد المكذبين

[**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ * فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ**] {القلم:٤٢-٤٧} .

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي، (٦٦/٢٩).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٢٠٩/٥)، بحر العلوم، للسمرقندي، (٤٨٤/٣).

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، (١٨٢/١٠)، والتفسير الوسيط، لطنطاوي، (٥٥/١٥).

أولاً: التحليل اللغوي:

خاشعة: خشع، الخاء والشين والعين أصل واحد يدل على التطامن، يقال خشع إذا تطامن وطأطأ رأسه، وهو قريب المعنى من الخضوع، ويكون الخشوع في الصوت والبصر، خشع يخشع خشوعاً: رمى ببصره نحو الأرض وخفض صوته وخشع له وتخشع: ذل وتطامن، ويقال خشع الورق أي ذبل(١).

ترهقهم ذلة: تغشاهم وتلحق بهم ذلة، والذل: نقيض العز، ذل يذل ذلاً فهو ذليل، والذُّل: الخِسَّة، والمعنى تغشاهم ذلة شديدة وحسرة وندامة وتقول رجل ذليل بيِّن الذِل والذَّلة والمذلة (٢).

فذرني ومن يكذب: أي كِلْهم إليَّ، يقال للرجل: لو تركتك ورأيك لحدث كذا بمعنى: لو وكلتك إلى رأيك لحدث كذا، ومثله قوله تعالى: **[ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا]** {المدَّثر:١١} (٣).

سنستدرجهم: الاستدراج: هو أن نكون بعيداً من رحمة الله تعالى وقريباً إلى العقاب تدريجياً، بمعنى الدنو إلى عذاب الله بالإمهال قليلاً قليلاً، وقيل هو أن يقرب الله العبد إلى العذاب والشدة والبلاء في

يوم الحساب، واستدرجه بمعنى خدعه، ويقال نستدرجهم نأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم، ونأخذهم من حيث لا يحتسبون، وذلك أن الله ﷻ يفتح عليهم من النعيم فيفرحون به ويستأنسون، فلا يذكرون الموت فيأخذهم على غرتهم أغفل ما يكونون (٤).

وأملي لهم: الإملاء: الإمهال والتأخير وإطالة العمر، والاشتقاق من الملوه وهي المدة من الزمن وأملي للبعير في القيد أرخى ووسع فيه، وأملي له في غيه أي أطال له وأملاه الله العيش، وأملى الله له: أمهله وطول له (٥)، وقوله تعالى: **[وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ]** {آل عمران:١٧٨}.

ثانياً: التفسير الإجمالي:

[يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ] أكثر المفسرين على أن الساق كناية عن شدة الأمر وهوله يوم القيامة فهي كالمثل لشدة الحال وصعوبة الخطب والهول، وأصله أن المرء إذا هلع أسرع في المشي وشمر ثيابه

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (١٨٢/٢)، أساس البلاغة، (٢٤٨/١)، لسان العرب، (٨-٧١).
(٢) لسان العرب، (٢٤٧/١١)، تفسير غريب القرآن، الكواري، (٤٣/٦٨)، كتاب الفصيح لثعلب، (٢٨٤/١).
(٣) معاني القرآن، للفراء، (١٧٧/٣).
(٤) التعريفات، للجرجاني، (٢٠/١)، غريب القرآن، لابن قتيبة، (٤١١/١)، لسان العرب، (٢٦٨/٢).
(٥) لسان العرب، (٢٩٠/١٥).

فيكشف عن ساقه، والعرب تقول: قامت الحربُ بنا على ساق، إذا اشتدت الحرب [١]، ويذكر الإمام الفراء رحمه الله أن القراء مجتمعون على ضم الياء في نكشف، وذكر حديث بسنده عن ابن عباس أنه قرأ "يوم تكشف عن ساق" يريد القيامة والساعة لشدتها [٢]، وقد كثرت أقوال المفسرين في معنى الساق لأنها غير مضافة وجاءت نكرة، فقيل: ساق الشيء أصله وقوامه كساق الشجرة، وساق الإنسان، وقيل يكشف عن ساق الأمر فتظهر حقائقه، وقيل ساق جهنم، وقيل ساق العرش، وقيل يكشف الرب ﷻ عن نوره [٣].

والراجح أن تُفسر الآية بما صح عن النبي ﷺ أنه يوم القيامة يكشف ربنا عن ساقه، وذلك لا يستلزم تجسيماً ولا تشبهاً فليس كمثله شيء، والحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً)** [٤]، قال الخطابي [٥]: هذا مما تهيب القول فيه شيوخنا، وأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم التوقف في تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه، وقد تأوله بعضهم على الشدة والكرب لقول العرب: كشف الحرب عن ساق إذا اشتد الأمر في الحرب [٦].

وهذا اليوم هو يوم القيامة وقيل هو يوم الكبر والهرم والعجز عن العمل، وقبل يوم حضور المنية والمعاينة [٧]، والراجح أنه يوم القيامة لصحة الأحاديث الدالة على ذلك وكذلك سياق الآيات، الآيات، والخلاصة في مسألة الساق وهل الساق صفة من صفات الله كالوجه واليد؟ وللساق معنى آخر، الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من بعدهم لم يُجمعوا على معنى، روى عن ابن عباس أنه قال: يكشف ربنا عن قدرته التي تظهر بها الشدة، والذين اثبتوا الساق صفة الله إنما أثبتوها

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٥٥٤/٢٣)، غريب القرآن، لابن قتيبة، (٤١٠/١)، تفسير بن أبي حاتم، (٣٣٦٦/١٠)، بحر العلوم للسمرقندي، (٤٨٥/٣)، تفسير ابن عطية، (٣٥٢/٥)، تفسير القرطبي، (٢٤٨/١٨)، تفسير أبي مسعود، (١٨/٩)، تفسير الفر بن عبد السلام، (٣٥١/٣)، الجلالين، (٧٦٠/١)، التحرير والتنوير، (١٠/٥).

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء، (١٧٧/٣)، إعراب القرآن، للنحاس، (١٠/٥).

(٣) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (٣٢٨/٥).

(٤) صحيح البخاري، باب يوم يكشف عن ساق، (١٥٩/٦).

(٥) عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أبو محمد، توفي ٢٣١هـ ٢٣١هـ وقيل ٢٣٦هـ، كان ثقة ومات بالبصرة، ومن شيوخ الإمام البغوي رحمه الله، تاريخ الإسلام، للذهبي، (٨٥١/٥)، تاريخ بغداد، (١٩٧/١١).

(٦) شرح السنة للبغوي، باب قول الله ﷻ [إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ] {الحج:١}، (١٤٢/١٥).

(٧) تفسير الماوردي= النكت والعيون، (٧٢/٦).

بدليل خارجي وهو الحديث الصحيح الذي يرويه أبو سعيد الخدري وفيه **(يكشف ربنا عن ساقه)**[1]، ففي الحديث ورد لفظ الساق مضاف، ويرى الباحث أن المسألة من المسائل الغيبية التي يجب أن لا نختلف فيها كثيراً ولا يتمسك كل واحد برأيه، فهذه جموع المفسرين القدماء والمحدثين يؤلون معنى الساق بالشدة وأهوال يوم القيامة وما ينكشف في هذا اليوم من أمور لا يعلم حقيقتها إلا الله، وإيماننا بها بالمجمل والتفصيل لا يعلمه أحد إلا من يقول: لمن الملك اليوم؟ فالجواب لله الواحد القهار، فيوم القيامة وما فيه من صراط ونيران وحساب وحوض وجنة أو نار، كل هذه توحدنا فلا نختلف ونخطئ بعضنا بعضاً على معنى الساق، فهذا مجتهدٌ له أجر وآخر له أجران، والله أسرع الحاسبين.

[**وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**] وفي هذا الموقف العظيم يدعون إلى السجود على سبيل التوبيخ والتعنيف على تركهم السجود في الدنيا حيث هي دار التكليف، أما يوم القيامة فلا يكون فيها عمل ولا تكليف ولكن توبيخاً لهم وتعنيفاً فتصبح ظهورهم عظاماً بلا مفاصل طابقاً واحداً [2]، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يكشف ربنا عن ساقه فيسيق له كل مؤمن ومؤمنة، ويفنى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً) [3].

[**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**] خاشعةً هي حال من هؤلاء المكذبين بهذا القرآن وبهذا اليوم فنغشاهم ذلة وتسودُ وجوه المنافقين والكافرين، فهذه الذلة والمهانة بسبب تكبرهم على الحق وإجرامهم في الدنيا، فكان الجزاء من جنس العمل جزاءً وفاقاً، ولعدم سجودهم في الدنيا دار التكليف والعمل عندما دعوا إلى ذلك مع صحة وعافية منحهم الله إياها فرفضوا شكر هذه النعمة وكانوا قادرين على السجود في الدنيا فعوقبوا بعدم قدرتهم في الآخرة، فبالأمس كانت سلاحه الأجسام والعمل والتكليف واليوم الجزاء والحساب فقط [4].

[**فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**]، وهنا يأتي التحذير والتخويف لمن يكذب بهذا الرسول وبالقرآن الذي أنزله الله عليه فاتركني وإياهم

---

(١) صحيح البخاري، باب يوم يكشف عن ساق، (١٥٩/٦).

(٢) ينظر: الكشاف، (٥٩٥/٤)، تفسير ابن عطية، (٣٥٣/٥)، تفسير ابن كثير، (١٩٨/٨)، تفسير المراغي، (٤٣/٢٩)، تفسير المنير للزحيلي، (٦٩/٢٩).

(٣) صحيح البخاري، (١٥٩/٦).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي، (٢٥٠/١٨)، تفسير ابن كثير، (٢٠٠/٨)، تفسير النيسابوري، (٣٤١/٦)، التحرير والتنوير، (٩٩/٢٩)، والتفسير الواضح، (٧٣٠/٣).

فإني أكفيك أمرهم يا محمد، وأجازيهم وآخذهم بالعذاب بعد الاستدراج درجة فدرجة، فهم يظنون أن ما هم فيه إنعام ولا يشعرون أنه استدراج لهم [١].

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)**[٢]، فهذا الإملاء والإمهال مع إمدادهم بالنعم ظنوه خيراً لهم حتى قالوا: إن كان هناك ثم آخرة، فنحن مفضلون عنكم أيها المسلمون كما فضلنا في الدنيا ولم يعلموا أن كيده ﷻ وعقابه سيكون عليهم متين وتدبيره ضد أهل الكفر شديد، لا يخفى عليه من كذب برسله، واجترأ على معصيته، فكم من مُستدرج بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه فهؤلاء المكذبين بالقرآن سيكون حسابهم شديد وعذابهم أليم مديد [٣].

[**أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ**]، استفهامات للإنكار والتوبيخ، فهل تسألهم يا محمد أجراً على نصيحتك لهم ودعوتهم في الدخول في الإسلام وهذا الأجر مثقلون منه لا يستطيعون أداؤه لك، فلا يستجيبوا لك لثقل الغرم الذي سألتهم إياه، وهل عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ويجادلونك ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل مكانةً عند الله من المسلمين، وأنهم يعلمون ما غاب عن العباد، ويكتبون من اللوح المحفوظ ما يشاؤونه ويختارونه ويحكمون به [٤]، فإن كان هذا الأجر الذي تطلبه منهم يا محمد باهظاً لا يستطيعون أداؤه، فهذا سبب يمنعهم من الإيمان وإن كانوا يقرأون الغيب من اللوح المحفوظ فوجدوا أن ما هم عليه هو الصواب! فذلك أيضاً يمنعهم من الإيمان!، لكنَّ الحال ليس كذلك لكنه العناد والكفر والإجرام الذي يصدهم عن قبول الحق.

ثالثاً: أوجه البلاغة:

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي، (٢٧١٨/٣)، تفسير السعدي، (٨٨١/١).

(٢) صحيح البخاري، باب وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى، (٧٤/٦)، مسند البزار= البحر الزخار، (١٦٢/٨)، ومسند أبي يعلى الموصلي، باب حديث الجاموس الأشعري وزاد فيه أن أبا موسى قرأ بعد رواية الحديث قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ] {هود:١٠٢}.

(٣) ينظر: فتح القدير، (٣٢٩/٥) التفسير المنير، للزحيلي، (٧٣/٢٩)،.

(٤) ينظر: جامع البيان، (٥٦٢/٢٣)، تفسير السمعاني، (٣١/٦)، الوجيز للواحدي، (١١٢٥/١)، التفسير الواضح الميسر، للصابوني، (١٤٥٥)، الفتوحات الإلهية، للجمل، (٨-٨٥)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، (٣٧٤٥/٧)، في رحاب التفسير، (٧٤٠٧/٢٩).

١- قوله تعالى: [**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ**] نسب الخشوع إلى الأبصار، وهذا مجاز عقلي، فالخشوع يكون للقلوب، وإنما نسبه إلى الأبصار لأن ما في القلب يُعرف من العين [١].

٢- قوله تعالى: [**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**] نَكّر كلمة ساق إبهاماً للمبالغة في الدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة لا يعلم حقيقته إلا الله فهي شدة خارجة عن المألوف والمعتاد [٢].

رابعاً: استنباط بعض الهدايات من هذا المقطع القرآني:

١- تبرز الآيات أهمية العمل في الدنيا لأنه يوم يكشف عن ساق لا يكون ثم عمل ولا تكليف، أم يخبرنا الحبيب باغتنام الحياة قبل الموت فعن عمر بن ميمون قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **(اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)** [٣].

٢- تشير الآيات الكريمة إلى عدم الالتفات لما يعطيه الله للكفار من متاع الدنيا وزنيتها، فكلها فانية لا محالة، وقد نبهنا وحذرنا ﷻ في آيات كثيرة بألا نغتر بهذا النعيم الزائل، قال تعالى: [**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ**] {آل عمران:١٩٦} ، ورغم ذلك نجد كثيراً من الأمة مقصر في هذا الجانب، حيث إنه ينبهر ويغتر بما وصل إليه أعداء الأمة من التقدم والتطور، وهذه قضية مهمة وهي أن الناس يظنون أن الله يحب الكافرين ويعطيهم أكثر من المؤمنين، هذا فهم خاطئ جداً، عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: **(إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، فإن الله يعطي الدنيا لمن يحب لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه)** [٤].

٣- تبين الآيات أهمية السجود، وبالتالي أهمية الصلاة فالصلاة لوقتها هي من أحب الأعمال إلى الله، عن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله ﷻ؟ قال: **(الصلاة لوقتها، قلت ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت ثم أي؟ قال: ثم الجهاد في**

---

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، (١٠/١٨٣).

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، (١٠/١٨٣).

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب المواعظ، (١٠/٤٠٠)، المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب الرقاق، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، (٤/٣٤١)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، وقال عنه صحيح، (١/٢٤٤).

(٤) شعب الإيمان، (٧/٣٦٦)، شرح السنة، للبغوي، (٨/١٠)، المسند الشاش، باب مرة الهمداني عن عبد الله، (٢/٣٠٠)، مسند الإمام أحمد، (٦/١٨٩)، المستدرك على الصحيحين للحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، (٢/٤٨٥).

سبيل الله)[1]، والأحاديث والآثار على فضل الصلاة وأهميتها كثيرة، أما السجود الذي هو ركن من أركان الصلاة فجاء في فضله وأهميته أحاديث كثيرة أيضاً فقد أخرج ابن ماجه رحمه الله عن طريق كثير بن مرة أن أبا فاطمة حدثه قال: قلت يا رسول الله، أخبرني بعمل استقيم عليه وأعمله، قال: **(عليك بالسجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط بها عنك خطيئة)** [2]، وفي الصحيح عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أو قال قلت: بأحب الأعمال إلى الله فسكت، ثم سألته فسكت، ثم سألته الثالثة، فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: **(عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة، إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة)** [3]، لذا على الأمة الإكثار من السجود لله، لعل الله ينظر لها بعين الرحمة والرضا فيتغير حالها إلى الأحسن.

٤- تبرز هذه الآيات الكريمة أهمية الشكر، فهذه النعم التي تغمر الأمة يجب عليها أن تشكر الله عليها حتى تدوم هذه النعم، فالصحة التي تتمتع بها نعمة وشكرها استغلالها فيما أمر الله، والعلم نعمة شكره أن نبث وننشر هذا العلم بين الناس بعد فهمنا الصحيح لهذا العلم وتطبيقنا لما نعلم، ولنعلم أن النعم لم يرزقنا إياها ربنا عبثاً، ولكن للعمل ولنفع الناس جميعاً، فلا تصل بنا النعمة إلى مرحلة أن الله يستدرجنا بهذه النعمة ونحن غافلون غارقون في ملذات الدنيا مطمئنين أن ما عند الله في الآخرة خيرٌ لنا، وكأن مفاتيح الجنة في جيوبنا، فالأجدر بنا أن نسخر أنفسنا وما أنعم الله به علينا في طاعته ﷻ، ونسأل الله مقلب القلوب والأبصار أن يثبتنا على الدين القويم والإيمان الصحيح السليم، يقول تعالى: [**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**] {الضُّحى:١١}، وقوله تعالى: [**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**] {إبراهيم:٧} ، ورغم كل هذه النعم نجد أن الكثير يجحد بها ويستعملها فيما يغضب الله ورسوله.

المطلب الرابع: الأمر بالصبر على قضاء الله وحكمه و عالمية الاسلام:

---

(١) مسند ابن الجعد، (٨٤/١)، مصنف ابن أبي شيبة، (٢٧٩/١)، مسند الإمام أحمد وعلق عليه شعيب الأرناؤوط، المحقق بأن إسناده صحيح على شرط مسلم، (٢٠٢/٣٨)، صحيح البخاري، باب فضل الصلاة لوقتها، (١١٢/١)، صحيح مسلم باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، (٨٩/١)، السنن الكبرى للنسائي في باب فضل الصلاة لوقتها، (٢٢٧/٢).

(٢) سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وذكر حكم الألباني عليه بالصحة، (٤٥٧/١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصلاة باب فضل السجود والحث عليه، (٣٥٣/١)، مسند الإمام أحمد، (٥٩/٣٧).

قال تعالى: [**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**] {القلم:٤٨-٥٢}.

أولاً: التحليل اللغوي:

ليزلقونك: الزلق: الزلل، زَلَقَ زلقاً وأزلقه، وأرض مزلقة لا يثبت عليها قدم وأزلقه ببصره بمعنى أحدَّ النظر إليه ويقال زلقه وأزلقه إذا نحاه عن مكانه وقوله تعالى: [**لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ**] أي ليصيبونك بأعينهم فيزلقونك عن مقامك الذي جعله الله لك، ويقال: نظر إليه نظراً يزلق الأقدام،

وتقول العرب: كاد يصرعني شدَّه نظره [(١)].

تداركه: درك: الإدراك: اللُّحوق، وصوابه اللِّحاق، واستدرك ما فات وتداركه بمعنى واحد، وتدارك القوم: تلاحقوا أي لحق آخرهم أولهم [(٢)].

مكظوم: مغموم مهموم، مكظوم من الغم مثل كظيم، ويقال كظم غيظه إذا اجترعه، كظم غيظه كظماً: فهو رجل كظيم والغيظ مكظوم، وكظم السقاء إذا ملأه، وكأنه مملوء غيظاً وغماً[(٣)].

ثانياً: التفسير الإجمالي:

[**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**] الدعوة إلى الصبر للرسول ﷺ ولأمته من بعده جاءت في أكثر من موضع وتوجيه قرآني [**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**] {ق:٣٩}، وأي مرتبة أعظم من قوله تعالى: [**إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**] {البقرة:١٥٣}، وقوله تعالى: [**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**] {الزُّمر:١٠}، وفي الحديث: **(الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كُلُّه)** [(٤)]، فهذه دعوة إلى النبيﷺ أن لا يتعجل ويضيق ذرعه ويمتلئ غضباً وغيظاً، ويتعجل تعذيب قومه، ويتركهم لعنادهم وجحودهم وتلكؤهم، فلا يثنيك يا محمد عن التبليغ وأذاهم، فيونس عليه السلام امتلأ من قومه غضباً وغيظاً فاستبطأ

---

(١) أساس البلاغة، (٤١٩/١)، لسان العرب، (١٤٥/١٠).

(٢) مختار الصحاح، (١٠٤/١)، لسان العرب، (٤١٩/١٠).

(٣) مجاز القرآن، لأبي عبيدة، (٢٦٦/٢)، تفسير غريب القرآن، الكواري، (٤٩/٦٨).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٣٤/٥)، المستدرك على الصحيحين، وقال عنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه، (٤٨٤/٢)، شعب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه، (١٥٠/١).

إيمانهم وفارقهم مغاضباً وذهب إلى البحر [1]، وكان له في بطن الحوت في قاع البحر في هذه الظلمات شأن عظيم، وتسبيح الحي الذي لا إله إلا هو.

[لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ] ونداء يونس عليه السلام وهو مكظوم ومحبوس في بطن الحوت وهو مغنم مملوء غيظاً من قومه، وهو في بطنها وقد كظمت عليه فأصبح في الظلمات فنادى ربه مستغيثاً **[لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ]** {الأنبياء:٨٧} ، فكانت الإجابة السريعة من فوق سبع سماوات فلولا هذه الرحمة التي لحقته وتداركته، لنُبذ في أرض خالية من النبات وهو يذم ويلام بالذنب الذي جعله يتعجل أمر ربه وقضائه [2].

وقد يتبادر للذهن سؤال هل يدل قوله تعالى: "وهو مذموم" أن يونس عليه السلام كان فاعلاً للذنب ليكون مذموماً، والجواب على هذا السؤال من ثلاثة أوجه: **الأول:** أن المذمومية لم تحصل، **والثاني:** أن المراد من المذمومية ترك الأفضل، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، **والثالث:** لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى معقباً بعد القصة: **[فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ]** فالفاء للتعقيب [3].

[فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] {الصَّفات:١٤٣-١٤٤} ، ثم نبذ في عراء القيامة مذموماً، فكانت نتيجة تسبيحه ونداءه في الظلمات أن نجاه الله من الغم **[فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ]** {الأنبياء:٨٨} ، لكنه نبذ سقيم غير مذموم فانبت الله له شجرة من يقطين تستره وتغطيه [4]، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **(ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)** [5]، وعنه أيضاً: **(من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب)** [6].

---

(١) ينظر: التفسير الحديث، (٣٩٠/١)، التفسير الوسيط لطنطاوي، (٦٠/١٥)، أوضح التفاسير، (٧٠٥/١)، في ظلال القرآن، (٣٦٧٠/٦)، تفسير المراغي، (٤٧/٢٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي، (٨٨١/١)، فتح القدير، (٣٣٠/٥)، تفسير القرطبي، (٢٥٣/١٨).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، (٦١٦/٣٠).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير، (٢٠١/٨)، تفسير القرطبي، (٢٥٤/١٨).

(٥) صحيح البخاري، باب قوله تعالى: [وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ] {الأنعام:٨٦}، صحيح مسلم، باب في ذكر يونس عليه السلام، (٤-١٨٤٦).

(٦) صحيح البخاري، باب وإن يونس لمن المرسلين، (١٢٤/٦)، سنن بن ماجة، باب ذكر البعث، (١٤٢٨/٢)، سنن الترمذي، (٣٧٣/٥).

وبعد هذا الامتحان الصعب الشديد جاء الاصطفاء والاختيار من الله ﷻ لجعله من الصالحين وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون فأمنوا فمتعهم الله إلى حين.

[وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ]، أراد الكفار أن يصيبوا النبي ﷺ بالعين من شدة عداوتهم له وكان أمر العين مشهور عندهم، فنظر إليه نفر من قريش فقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه، وهذا القول ليس على إيمان منهم؛ لكن فقط ليعتانونه أي يصيبوه بالعين(١).

وفي الحديث: **(العين حق ونهى عن الوشم)** (٢)، وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **(العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر)** (٣).

والهدف من هذا الزلق بأبصارهم هي تنحيته ﷺ عما جاء به وذلك لا يكون إلا بهلاكه أو موته ﷺ وكل المعاني الذي ذكرها المفسرون حول معنى يزلقونك (٤) بأبصارهم تدور حول أنهم أرادوا إصابته بالعين حتى يهلك.

ثم جاء الاطمئنان والأمان للنبي ﷺ بأن هذا القرآن ذكرُ للعالمين، وشرف لك ولقومك كما في قوله تعالى: **[وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ]** {الزُّخرف:٤٤} ، وهو شرفٌ لمن يتبع هذا النبي ولمن يعمل بالقرآن الذي نزل على هذا النبي (٥).

فهذا القرآن الذي أنزله الله إليه جعلوه دلالة على جنونه ﷺ لكنه ذكر وتذكير للعالمين وبيان وتنبيه لهم وفيه الآداب والحكم وسائر العلوم، فعجباً لكيف يتهمون من يتلوه بالجنون.

وهذا الجزء من الآية يذكرنا ويوجهنا إلى مطلع السورة قوله تعالى: **[مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ]** فهذا القرآن نعمة وشرف وليس من علامات الجنون ومقدماته كما يدعون (٦)، لقد ذكَّرنا

---

(١) قيل كانت العين في بني أسد حتى أن البقرة السمينة أو الناقة ينظر إليها أحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذي المكتل فأتينا بلحم هذه الناقة، فما تبرح أن تقع، ينظر: تفسير القرطبي، (٣٥٤/١٨).

(٢) صحيح البخاري، باب العين حق، (١٦٦/٧)، صحيح مسلم، باب الطب والمرض والرقى، (١٧١٩/٤)، وعند مسلم، العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استُغسِلتم فاغسلوا.

(٣) حلية الأولياء، (٩٠/٧)، سلسلة الأحاديث الصحيحة بشيء من فقهها وفوائدها، (٢٥٠/٣)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، وحكم عليه الألباني حسن، (٧٦١/٢).

(٤) قيل يزلقونك: يصرعونك، وقيل يصرفونك عما أنت عليه، وقيل يفتنونك، وقيل ليسمُّونك، وقيل ليقتلونك، وقيل ينظرون إليك بالعداوة حتى يسقطونك، ذكرها الإمام القرطبي في تفسيره، (٢٥٥/١٨).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي، (٢٥٦/١٨).

(٦) ينظر: تفسير الرازي= مفاتيح الغيب، (٦١٩/٣٠).

آخر السورة بأولها، وهذا من مميزات القرآن العظيم، أنه كالعقد من اللؤلؤ متماسك الحبات واللبنات، كل كلمة في مكانها لا نستطيع أن نؤخرها أو نقدمها أو نضع كلمة تضاهيها في المعنى والدلالة.

ثالثاً: استنباط بعض الهدايات من هذا المقطع القرآني:

١- ترشد الآيات وتبرز أهمية الصبر، يقول الإمام محمد رشيد رضا [١]: "الصبر في كل عمل نفسي أو بدني أو ترك يشق على النفس" [٢]، فالصبر هو الأساس لكل عمل، وهذه السورة الكريمة نزلت عندما كانت الدعوة في مهدها، فالغرسة لينة وحولها رياح عاصفة تريع قلعها واجتثاثها، فيجب على الأمة التمسك بالصبر لإقامة الدين والدفاع عنه، ولا بد مع الصبر من الاتصال بالله، قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**] {البقرة:١٥٣} .

٢- لقد ذكرت الآيات قصة نبي الله يونس عليه السلام وما فيها من صبر وهل تخلوا قصة نبي أو رسول من محنٍ أو صبر؟، وهذا يجعلنا نثق بالله ونزداد إيماناً ويقيناً، فصبر الرسل والأنبياء على الآلام والمحن والأذى والتكذيب والاستهزاء من أقوامهم ماذا يحدث لو لم يكن صبر؟!

٣- تبين الآيات أن كل ذي نعمة محسود، فرسولنا ﷺ نظر إليه كفار مكة نظرة حقد وكراهية، وكان يريدون بحدة نظرهم إليه أن يقتلوه ويهلكوه، ليس ذلك إلا حسداً منهم ولما أعطاه الله من مقامٍ وخلقٍ عظيم، فكان هذا الحسد سبباً في كفرهم وجحودهم مع علمهم بصدقه وأمانته وأن هذا القرآن ليس من عنده فهم أرباب الفصاحة والبلاغة والشعر والنثر، هل من يتلوا القرآن الذي عجزوا أن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ من مثله أو بسورة واحدة، أو حتى بسورة مشابهة للقرآن هل من يتلوه يكون مجنوناً، لا توجد إجابة لتفكيرهم واتهامهم إلا إجابة واحدة! إنه الحسد.

٤- ومن الإرشادات التي ينبغي أن تتمسك بها الأمة وترفع رأسها وتفتخر بأن الإسلام دين عالمي، لم ينزل القرآن من أجل الجزيرة والقبائل من حولها، لكنه ذكر وقرآن للعالمين، للجن والإنس، [**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**] {الأنبياء:١٠٧} ، فيجب علينا أن نفهم القرآن أولاً ونعمل به ثانياً وبعدها ندعوا ونعلم الناس القرآن ليكون عالمياً كما أراده الله ذكراً للعالمين.

---

(١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني الحسيني المتوفى سنة ١٣٥٤هـ، نشأ في طرابلس الشام، أعجب بالإمام محمد عبده، وكان من أشهر تلاميذه، وكان من ألزم الناس بدروسه، فلا عجب أن يقال أنه الوارث الأول لعلم الإمام محمد عبده، له تفسير اسمه المنار، لكنه ليس للقرآن كاملاً بل من أوله إلى سورة يوسف. التفسير والمفسرون، (٤٢٣/٢).

(٢) تفسير المنار، (٢٧/٢).

٥- ترشد الآيات إلى أن الداعية لا ينبغي أن يتعجل هداية الناس، ولا ييأس فهو مبلغ يذكرهم بآيات الله، والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، إذا كان حبيبنا المصطفى أخبره الله في قوله تعالى: [**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**] {الرعد:٧} ، وقوله تعالى: [**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ**] {البقرة:٢٧٢} ، فالهداية من الله وحده وعلى الداعية البلاغ مهما قل عدد المستجيبين لهذه الدعوة أو زاد، فنوح ﷺ دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وما آمن معه إلا القليل، فهل يأس؟! وهل ترك إبلاغهم ودعوتهم إلى الهداية؟! إن الله تعالى لو شاء لهدى الناس جميعاً، [**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا**] {يونس:٩٩}، [**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**] {هود:١١٨} ، فإرادة الله ومشيئته أنه هو الهادي ويُهيئ الدعاة للتبليغ والإنذار.

الفصل الثالث

تعريف عام بسورة الحاقة وبيان المقاصد والأهداف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الحاقة.

المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

المبحث الأول

تعريف عام بسورة الحاقة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.

المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه.

المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس.

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة الكريمة.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها:

أولاً: اسم السورة [١]:

الحاقة وهي من أسماء يوم القيامة: فهي الساعة الثابتة الوقوع الوجيه المجيء، فهي آتية لا ريب فيها، وسميت السورة بهذا الاسم لافتتاح السورة بها، والاستفهام عنها، وعظَّم الله أمرها بالسؤال عنها ولا يوجد هذا الاسم في القرآن إلا في هذه السورة والحاقة بمعنى أن الأمور تحق فيها وتستقر ويتحقق الموعود ويتحقق لكل عامل عمله [٢].

من أسماء السورة: "السلسلة" لقوله تعالى فيها: [**ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**] {الحاقَّة:٣٢} [٣].

ثانياً: ترتيب السورة:

ترتيب السورة في المصحف: هي السورة التاسعة والستون يسبقها سورة القلم ويليها سورة المعارج.

ترتيب السورة من حيث النزول: نزلت سورة الحاقة بعد سورة تبارك ونزل بعدها سورة المعارج، أي أن ترتيبها من حيث النزول مثل ترتيبها في المصحف فهذه السورة هي السابعة والسبعون في ترتيب النزول [٤].

ثالثاً: عدد آيات السورة:

قيل إحدى وقيل اثنتان وخمسون آية، وعدد كلماتها مائتان وخمسة وخمسون كلمة، وألف وأربعمائة وثمانون حرفاً [٥]، البصريون والشاميون على أنها إحدى وخمسون آية، والباقون اثنان وخمسون آية [٦].

---

(١) ونستطيع أن نطلق عليها اسم "حملة العرش الثمانية"، لقوله تعالى فيها: [وَالمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ] {الحاقَّة:١٧} ، لم يرد هذا العدد إلا في هذه السورة.

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي، (٧٩/٢٩)، أوضح التفاسير، (٧٠٥/١)، التفسير الحديث، (٣٨٤/٥)، ينظر: الدر المنثور، (٢٦٤/٨)، التحرير والتنوير، (١١١/٢٩).

(٣) ينظر: في رحاب التفسير، (٤٧٠٩/٢٩).

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، (٩٧/١)، التحرير والتنوير، (١١١/٢٩).

(٥) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، (١١٢٢/١٥)، التحرير والتنوير لابن عاشور، وقال: اتفق العادون من أهل الأمصار على آيها إحدى وخمسون آية، (١١١/٢٩).

(٦) مجمع البيان للطبرس، (٨٩/١٠).

المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه:

أولاً: زمان ومكان السورة:

السورة مكية بالإجماع [١]، أي أنها نزلت قبل الهجرة النبوية.

وزمان نزول السورة نستطيع أن نقول أنها من أواخر ما نزل في مكة فقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله أنه نزل بعدها ثمانِ سور وهي المعارج، النبأ، النازعات، الانفطار، الانشقاق، الروم، العنكبوت، والمطففين، ونزل قبلها خمس وسبعون سورة أو ست وسبعون فمن هذا العدد للسور التي نزلت قبلها قلنا أنها من أواخر ما نزل بمكة [٢]، ومقتضى الخبر المذكور عن عمر عندما خرج متعرضاً للنبي ﷺ فوجده قد سبقه إلى المسجد الحرام وسمعه يقرأ بالحاقة فادخل الله في قلبه الإسلام، أنها نزلت قبل إسلام عمر حيث أنه أسلم بعد هجرة الحبشة سنة خمس قبل الهجرة إلى المدينة فنزول السورة يكون قريباً من هذا التاريخ أي قبل هجرة المدينة بخمس سنوات [٣].

ثانياً: الجو الذي نزلت فيه السورة:

جو السورة يوحي بالجد والحزم والتهويل والترويع فهو يشعرنا بالقدرة الإلهية، فهذا الهول والجلال يجعل القارئ يهتز هزة قوية أمام هذه الافتتاحية وما فيه من صعقة قوية تقرع الحس، وهذه الصقعة تتوالي في سياق السورة من أولها وحتى الختام، تنقل السامع والقارئ من مكان إلى مكان لتلتقى هذه الأماكن على أن أمر الدين والعقيدة أمر خطير لا هزل فيه ولا لعب، ولكن كله جد، فهذا اليوم وما فيه من مشاهد تتعرض له السورة بأسلوب يصعق القلوب، فهذا مشهد الحساب، وانشقاق السماء فكل مشاهد السورة تنقلنا من هول إلى آخر ومن صاعقة إلى أخرى، فالحاقة، وبعدها يذكر اسم القارعة التي تقرع القلوب بالهول وتقرع الأماكن بالدمار، إن كل لفظة في هذه السورة تجعل القلب يهتز ويخشع خوفاً، وتجعل الجلد يقشعر من هذا الهول والفزع [٤].

---

(١) نقل الإجماع القرطبي في تفسيره، (٢٥٦/١٨)، ابن عطية في تفسيره، (٣٥٦/٥)، وابن عاشور في تفسيره، وقال: مكية بالاتفاق، (١١١/٢٩)، ونقل الإجماع كذلك ابن الجوزي في زاد المسير، (٣٢٨/٤).

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، (٩٦/١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، (١١١/٢٩).

(٤) ينظر: ظلال القرآن، (٣٦٧٤/٦ وما بعدها).

المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس:

أولاً: فضائل السورة:

ذكر الإمام الشوكاني في تفسيره، عن فضل هذه السورة قائلاً وأخرج الطبراني عن أبي بزره قال: **(أن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر بالحاقة ونحوها)** [1].

ومن فضائل هذه السورة أن سماعها أدخل الإسلام في قلب عمر بن الخطاب ﷺ فقد ذكر ابن عطية في تفسيره أنه رُوي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: خرجت يوماً بمكة متعرضاً لرسول الله ﷺ فوجدته قد سبقني للمسجد الحرام، فجئت فوقفت وراءه، فافتتح سورة الحاقة، فلما سمع سرد القرآن، قلت في نفسي أنه لشاعر، كما تقول قريش حتى بلغ إلى قوله: [**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**] {الحاقَّة: ٤٠-٤٣} ثم مر حتى انتهى آخر السورة، فأدخل الله تعالى في قلبي الإسلام [2].

ثانياً: محور السورة الرئيس:

محور السورة الرئيس يدور حول مطلعها المقوي المدوي والذي لا يكاد يُسمع حتى تعتبر العقول وتتدبر القلوب وتسمع الآذان البعيدة هذا الصوت المثير المرعب، فأحداث السورة كلها تلتف حول هذا اليوم في مشاهد عنيفة تجعلك تشعر وكان الأحداث تحدث أمامك، فالنفخ في الصور وحمل الأرض والجبال لتكون دكاً أين ذهبت قوتها وصلابتها، إن هذا يثبتها إلى قدرة الله المطلقة، وكذلك انشقاق السماء ومشهد العرش وحملته، وهذا العرض للحساب، وتطاير الكتب فريق يؤتى بيمينه وآخر بشماله، كل هذه المشاهد المثيرة، حاقة، قارعة، واقعة، لا تكفي لكي نعتبر ونتذكر حتى نتقي هذه الأحوال يوم القيامة وننجو من الحسرة والندم الذي يلف الكافرين في هذا اليوم.

إن كل آية بل كل كلمة في هذه السورة تربطنا وتشد أنظارنا إلى هذا اليوم الذي هو ركن من أركان الإيمان، إن محور السورة في اسمها فهذا يوم الحساب والجزاء وأحقاق الحقوق لأهلها،

---

(١) والذي موجود عند الطبراني في الكبير، (كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم كان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور) وفي حديث آخر (أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ ق والقرآن المجيد ونحوها)، المعجم الكبير للطبراني، (٢٢٧/٢).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣٥٦/٥)، ولم أعثر على مدى صحة القصة، ينظر: أيسر التفاسير للجزائري، (٤٢٠/٥).

وفيه تظهر الحقائق الغيبية التي آمنا بها سماعاً من القرآن والسنة الصحيحة، فالآيات تلتف حول تهويل يوم القيامة وتهديد المكذبين بوقوعه [1].

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة:

١- أهوال يوم القيامة وما ينتظر المكذبين من عذاب جزاء تكذيبهم وكفرهم.

٢- مصارع الأمم المكذبة وهلاكهم [**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالقَارِعَةِ**] {الحاقَّة:٤} وهلاك فرعون، وكذلك قصة الطوفان، ونجاة نوح عليه السلام ومن معه في الجارية.

٣- مصرع قوم لوط وكيف انقلبت ديارهم وأصبح عاليها سافلها.

٤- الحديث عن أحوال السعداء وهم أصحاب اليمين، وكذلك الحديث عن الأشقياء أصحاب الشمال.

٥- إقامة الأدلة على أن القرآن من عند الله تعالى، وليس بقول شاعر ولا كاهن، وأن هذا الدين حق، وأن الرسول ﷺ صادق في كل ما يقوله.

٦- بيان صدق النبي ﷺ بالبراهين القاطعة وأمانته في تبليغ الوحي.

٧- القرآن تذكرة وعظة للمتقين وحسرة على الكافرين.

٨- دعوة النبي ﷺ وأمته من بعده بالتمسك بالذكر وتعظيم الخالق ﷻ [**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ**] {الحاقَّة:٥٢} .

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها:

١- لما وقع في سورة "نون والقلم" ذكر يوم القيامة بصورة مجملة في قوله تعالى: [**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**] {القلم:٤٢} ، جاء في سورة الحاقة شرح وتفصيل لبعض مشاهد هذا اليوم العظيم وأهواله وأحداثه العظيمة من إحقاق الحقوق لكل عامل وإظهار حقائق الأمور [2].

٢- جاء في نهاية سورة "القلم" دعوة النبي ﷺ إلى الصبر وعدم العجلة على هداية قومه، كما تعجل نبي الله يونس عليه السلام، افتتحت هذه السورة بما حكم الله به بين بعض الأنبياء وأقوامهم،

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، (١١١/٢٩)، في ظلال القرآن، (٣٦٧٥/٦).

(٢) ينظر: أسرار ترتيب السور، (١٤٦/١)، تفسير المراغي، (٤٩/٢٩).

كقوم ثمود، وعاد، وكيف كانت عاقبتهم بالأولى أهلكوا بالطاغية والثانية بريحٍ صرصرٍ عاتية، وهذا فيه تثبيت للنبي واطمئنان أن مصير المكذبين والمعاندين الهلاك والدمار [١].

٣- في آواخر سورة القلم هدد الله المكذبين بهذا القرآن وبهذا الرسول في قوله تعالى: **[فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ]** {القلم:٤٤} ، وذكر في هذه السورة عاقبة من كذب، وهذا فيه من العظة والزجر للمعاصرين للنبي ﷺ حتى يعتبروا ويعملوا عقولهم حتى لا تكون نهايتهم مثل من سبقهم [٢].

ثانياً: مناسبة السورة لما قبلها:

١- أما مناسبة السورة لما بعدها وهي سورة المعارج فالعلاقة بين السورتين قوية والمناسبة واضحة فسورة المعارج هي تتمة لأوصاف ما يلقاه الكافرين من ألوان العذاب الذي ليس له دافع، فالسورتان تتكاملان في عرض أهوال يوم القيامة، وكذلك تصوير الجانب الآخر وما فيه من أحوال المؤمنين، فلا عجب أنه يوم يأخذ كل عامل أجره وحقه [٣].

٢- التلاحم بين السورتين أكثر من تلاحم الجوار بل تلاحم قرابه وموضوع ، فالحاقة ذُكر فيها ما يلقاه الكافرون من عذاب يوم القيامة وكيف يسحبون في سلاسل إلى النار، وجاءت سورة المعارج مفتتحة بهذا العذاب الواقع للكافرين [٤].

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، (١١٢٢/١٥)، التفسير المنير للزحيلي، (٧٩/٢٩).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي، (٧٩/٢٩).

(٣) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (١٠٩/٢٩).

(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، (١١٥٥/١٥).

المبحث الثاني

مقاصد السورة وأهدافها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: جزاء من كذب بالساعة .

المطلب الثاني: يوم الحساب وما فيه من مواقف للأبرار والفجار.

المطلب الأول: جزاء من كذب بالساعة:

المقطع الأول

تكذيب قوم ثمود وقوم عاد وهلاكهم الآيات

قال تعالى: [**الحَاقَّةُ * مَا الحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى القَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ**] {الحاقَّة:١-٨}.

أولاً: التحليل اللغوي:

الحاقة: هي القيامة سميت بذلك لأن فيها الثواب والجزاء وإعطاء الحقوق لأهلها، والحاقة: النازلة التي حقت فلا كاذبة لها

القارعة: قرع القاف والراء والعين ضرب الشيء، والقارعة الشديدة من شدائد الدهر، تقرع الناس وتضربهم لشدتها [١].

القارعة: القيامة لأنها تضرب الناس بإقراعها وقوارع القرآن: الآيات التي من قرأها لم يصبه فزع سميت بذلك لأنها تقرع الجن[٢].

الطاغية: ط غ ى بفتح العين وكسرها أي جاوز الحد، والطاغية: الصاعقة يعني صيحة العذاب[٣].

صرصر: الصِّرُّ بالكسر والصَّرَّةُ شدة البرد وقيل هو البرد عامة وريح صِرٌ وصَرْصَرْ: شديد البرد، وقيل شديدة الصوت[٤].

عاتية: عتا عُتياً وعِتياً وعُتواً: استكبر وجاوز الحد، فهو عات وعتى وريح عاتية بمعنى شديدة قد تجاوزت الحد في عصفها وهبوبها[٥].

حسوماً: أي تباعاً، وحسم بمعنى قطع، والحُسُوم: الشؤم، وأيام حسوم: تقطع الخير أو تمنعه، وقيل الأيام الحسوم: الدائمة في الشر خاصة، يقال إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره قيل له

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء، (١٧٩/٣)، كتاب العين، (٧/٣).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، (٧٢/٥).

(٣) ينظر: مختار الصحاح، (١٩١/١).

(٤) ينظر: لسان العرب، (٤٥٠/٤).

(٥) ينظر: القاموس المحيط، (١٣٠٩/١)، تفسير غريب القرآن، للكواري، (٦/٦٩).

حسوماً [1].

ثانياً: التفسير الإجمالي:

[**الحَاقَّةُ * مَا الحَاقَّةُ**] بمعنى القيامة ما القيامة؟ تعظيماً لأمرها، وفيها يُحق لكل قومٍ أعمالهم من خيرٍ أو شر، وفيها تحق الأمور وتعرف على حقيقتها.

[**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ**] استفهام لتعظيم أمرها وتفخيم شأنها وأهوالها، والمعنى أنك يا محمد لا علم لك بكنهها ومدى عظمتها وتفصيل صفاتها وكيفما قدرت فهي أعظم من ذلك، فالحاقة أمر عظيم لا تدركون كنهه، قيل أن كل شيء في القرآن قال منه "ما أدراك" فإنه أخبر به وأدراه إياه وعلمه، وكل شيء فيه "ما يدريك" فإنه لم يخبر به ولم يعلمه [2].

[**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالقَارِعَةِ**] وهذا تذكير لما حل بثمود وعاد لأنهم كذبوا بالبعث والجزاء يوم القيامة، فهذا تهديد لكفار مكة أن يحل بهم ما حل بأولئك، والقارعة مثل الحاقة من أسماء يوم القيامة وسميت قارعة لأنها تصيب الناس بالأهوال والإفزاع والقرع مثل دك الجبال وخسف الأرض[3].

وثمود هم قوم نبي الله صالح عليه السلام، وكانت مساكنهم بين الحجاز والشام وهي الآن معروفة بقرى صالح بين الأردن والسعودية وأما عاد فبعث الله إليهم "هود" عليه السلام وكانت مساكنهم بالأحقاف باليمين [4].

ثم وضحت الآيات كيفية هلاك ثمود وعاد فالأولى تم هلاكهم بالطاغية بمعنى الصاعقة أو الرجفة أو الصيحة، والثانية أُهلكوا بالريح الشديدة الباردة والتي لها صوت شديد أبلغ من صوت الرعد [**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**] وهذه الريح سُلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام متوالية متتابعة دون انقطاع وتسمى ريح الدبور [**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا**] فتم استئصالهم وحسم أمرهم وآجالهم، فأصبحوا مثل قرامي النخيل

---

(١) ينظر: غريب القرآن، لابن قتيبة، (٤١٢/١)، لسان العرب، (١٣٤/١٢)، معاني القرآن للفراء، (١٨٠/٣).

(٢) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، (٤٨٨/٣)، لطائف الإشارات= تفسير القشيري، (٦٢٤/٣)، الكشاف، (٥٩٨/٤)، تفسير ابن عطية، (٣٥٦/٥)، التحرير والتنوير، (١١٣/٢٩)، التفسير المنير، للزحيلي، (٨٤/٢٩).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، (١١٥/٢٩).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٦٩/١٥).

الفارعة الساقطة [**فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**] فلم يبقَ منهم أحد [**فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ**] هذه الريح الصرصر تتابعت حتى أتت عن آخرهم [1].

ثالثاً: وجوه البلاغة:

١- الحاقة ما الحاقة تكرار الاسم للتهويل والتعظيم ويسمى إطناب ما الحاقة ولم يقل ما هي الحاقة يدل أيضاً على التهويل والتعظيم والتفخيم لشأنها ونظيره قوله تعالى: [**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ**] {الواقعة:٢٧}، وقوله تعالى: [**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ**] {الواقعة:٤١}، و"ما" اسم استفهام مستعمل للتهويل والتعظيم، كما تقول زيد، ما زيد؟ [2].

٢- **(وما أدراك ما الحاقة)** استفهام في زيادة في التهويل والتفخيم لشأنها والمبالغة في الغرض الذي يساق إليه بمعنى أنك لا تدري ما فيها من أهوال وشدائد، فإنها أعظم من أن تبلغها دراية أحد، أو يبلغ إدراكه الإحاطة بها، وتكرير "ما" ثلاث مرات يستعمل للتهويل والتعظيم، وكذلك إعادة المبتدأ في الجملة الواقعة خبر في قوله (ما الحاقة) ولم يقل ما هي فهذا يدل على التهويل لأن الإظهار في مقام الإضمار يقصد به التهويل والتعظيم [3].

٣- قوله تعالى: [**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ**] {الحاقَّة:٤} ، ثم فَصَّل ماذا حلَّ بهم فهذا يسمى تفصيل بعد إجمال وفيه لف ونشر مرتب [4]، حيث ذكر ما حلَّ بثمود أولاً ثم ما حدث لقوم عاد حسب الترتيب الذي ذكره في الإجمال [5].

---

(١) ينظر: تفسير المراغي، (٥٠/٢٩)، التفسير الحديث، (٣٨٥/٥)، أوضح التفاسير، (٧٠٦/١)، الموسوعة القرآنية، (٣٦٢/١١)، تفسير السعدي، (٨٨٢/١).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٦٩/١٥)، التحرير والتنوير، (١١٣/٢٩)، التفسير المنير للزحيلي، زاد المسير، (٣٢٨/٤).

(٣) ينظر: زاد المسير، (٣٢٨/٤)، تفسير الخازن، (٣٣٣/٤)، تفسير البيضاوي، (٢٣٩/٥)، تفسير المراغي، (٥١/٢٩)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٢٤/١٥)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٦٨/١٥).

(٤) اللف والنشر فن في المتعددات التي يتعلق بكل واحد منها أمر لاحق، فاللف يشار إلى المتعدد الذي يؤتى به أولاً، والنشر يشار إلى المتعدد اللاحق الذي يتعلق كل واحد منه بواحد من السابق دون تعيين، مثل: عم السحاب والسيل السماء والوادي، فالسحاب والسيل (لف)، وجاء النشر مرتباً فالسماء للسحاب، والوادي للسيل، وهذا يسمى اللف والنشر المرتب. البلاغة العربية، لابن حبنكة الميداني، (٤٠٤/٢).

(٥) التفسير المنير، للزحيلي، (٨٢/٢٩).

رابعاً: استنباط بعض الهدايات من هذه الآيات:

١- تبرز الآيات أهمية وخطورة يوم القيامة كما ترشد الأمة الإسلامية بل الناس أجمعين إلى عِظم هذا اليوم وما فيه فاليوم الآخر هو ركن من أركان الإيمان، ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة وأبو ذر وعمر وغيرهم والحديث معروف بحديث جبريل عندما سأل النبي عن الإسلام والإيمان والإحسان وعن الساعة، وعندما سأله جبريل عليه السلام أخبرني ما الإيمان؟ قال: **(الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر)** [(١)].

٢- إن ذكر يوم القيامة على امتداد القرآن من أوله إلى آخره فهناك سورة باسم هذا اليوم، وهناك سور تحمل أسماء لهذا اليوم، مثل القارعة، الحاقة، الغاشية، وهناك سور سُميت بأحداث أو بمقدمات هذا اليوم مثل الزلزلة، الانفطار، الحشر، الانشقاق، كل هذه الأسماء ترشد من له عقل وقلب ليتفكر ويتدبر، ولا يغيب عن ذهنه وفؤاده هذا اليوم.

٣- توضح لنا الآيات أنه لا يستطيع أن يدرك تفاصيل هذا اليوم لعظمته وما فيه من أهوال وشدائد.

٤- تحمل الآيات تحذير شديد لمن كذب بهذا الدين متمثلاً في شخصية النبي ﷺ وما نزل عليه من القرآن، ففي ذكر ثمود وعاد وما حلَّ بهم وكيف كانت نهايتهم تذكر المؤمن ليزداد إيمانه وثقته بالله صاحب القدرة المطلقة على قهر الطغاة والمتكبرين، وتحذير للكافر أن عاقبته في الدنيا الهلاك ويوم القيامة أشد العذاب فقوم ثمود وعاد كانت قوتهم ظاهر، حتى أن القرآن وصف قوم عاد بأنه لم يخلق مثلهم في البلاد [**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ**] {الفجر:٦-٨}، ولكن! أي قوتهم عندما سلطت عليهم الريح الصرصر؟ وهل استطاعوا أن يدافعوا عن أنفسهم لمدة سبع ليالٍ، فهذه الريح جندٌ من جند الله [**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**] {المدَّثر:٣١}.

٥- توجه الآيات للمسلمين نداءات بعدم الخوف من الكفار مهما كانت قوتهم، فهذه نهايتهم، فقوى الشر التي نراها اليوم تتكاثف ضد الإسلام والمسلمين، سيحل بها ما حل بمن كذب وكفر برسل الله، فليست الريح الوسيلة الوحيدة لتدميرهم بل هناك الطاغية وهناك خسف للأرض أو كسفاً من السماء وما يعلم أساليب محاربتهم إلا الله القادر على إهلاكهم.

---

(١) صحيح البخاري، باب سؤال جبريل النبي ﷺ ولفظه (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث)، (١٥١/٦)، صحيح مسلم باب الإيمان ما هو وبيان خصاله وزاد لفظه وتؤمن بالبعث الآخر، (٣٩/١).

المقطع الثاني

هلاك فرعون وقوم لوط وقوم نوح

قال تعالى: [**وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالمُؤْتَفِكَاتُ بِالخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً * إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**] {الحاقَّة:٩-١٢}.

أولاً: التحليل اللغوي:

طغا الماء: أي جاوز الحد، وطغى البحر: هاجت أمواجه، وطغى السيل: جاء بماء كثير، وطغى الماء والبحر: ارتفع وعلا على كل شيء فاخترقه، وكل شيء جاوز القدر فقط طغى كما طغى الماء على قوم نوح، وكما طغت الصيحة على ثمود [١].

المؤتفكات: جمع مؤتفكة، ائتفكت بهم الأرض أي انقلبت والمؤتفكات هي المدن التي قلبها الله تعالى على قوم لوط ﷺ أي ائتفكوا بخطئهم وبسبب ذنوبهم وإعراضهم عن الحق [٢].

الجارية: السفينة، صفة غالبة، في التنزيل: [**وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَآتُ فِي البَحْرِ كَالأَعْلَامِ**] {الرَّحمن:٢٤} ، **والجارية:** الريح، والشمس لأنها تجري لمستقرٍ لها وكذلك الخير لأنها تجري، فالرياح والشمس تجري جَرْياً، والماء يجري جِريةً، ويقصد بالسفينة هي التي صنعها نوح ﷺ ونجا هو من آمن معه[٣].

تعيها أذن واعية: وعى، يعيه وعياً أي حفظه وفهمه وقَبَله فهو واع ويقال وعاه يعيه وعياً أي جمعه في الوعاء، فالوعى: حفظ القلب الشيء، وفلان أوْعى من فلان أي أحفظ وأفهم، والوعيُّ: الحافظ الكيس الفقيه [٤].

ثانياً: التفسير الإجمالي:

بعد الحديث عن ثمود وعاد بين ﷻ النهاية السيئة لأقوام آخرين مثل فرعون وقوم لوط وقوم نوح [**وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالمُؤْتَفِكَاتُ بِالخَاطِئَةِ**] فكلاً من فرعون وقوم لوط من قبله كانوا كافرين برسلنا مرتكبين للفعلات الخاطئة والفواحش المنكرة فقابلوا رسل ربهم بالكفر والظلم والمعاندة.

---

(١) ينظر: مختار الصحاح، (١٩١/١)، لسان العرب، (٨/١٥).

(٢) ينظر: لسان العرب، (٣٩١/١٠)، معاني القرآن للفراء، (١٨٠/٣).

(٣) ينظر: لسان العرب، (١٤١/١٤)، معاني القرآن للفراء، (١٨١/٣)، تفسير غريب القرآن للكواري، (٢١/٦٩).

(٤) تاج العروس، (٣١٤/٤٠)، لسان العرب، (٣٩٧/١٥).

فكانت نهاية فرعون الذي بلغ في الطغيان ذروته عندما قال [**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**] {النَّازعات:٢٤}، كانت نهايته الغرق هو وجنوده، أما قوم لوط فجعل الله عاليها سافلها، ائتفكت وانقلبت على ساكنيها وحدث لهم هذا بعد معصيتهم لرسل ربهم [(١)] [**فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً**] فكانت أخذتهم أخذة زائدة على الحد والمقدار الذي يحصل به هلاكهم فكانت عقوبتهم زائدة على عقوبة سائر الكفار لأن قبائحهم زادت في القبح عن غيرهم والمعنى أنها بالغة في الشدة تزيد على الأخذات الأخرى [(٢)].

ثم تأتي الآيات المخبرة عن الطوفان الكبير الذي حدث لقوم نوح وكيف نجا هو ومن آمن [**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**] {هود:٤٠} ، [**إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ**] لما علا الماء فوق كل شيء وجاوز الحد في الارتفاع حملناكم في السفينة والذي حُمل في السفينة كانوا قبل البعثة النبوية بآلاف السنين فكيف يقول حملناكم، والمعنى حملناكم في أصلاب آبائكم فالمحمول في السفينة نوح عليه السلام والقلة المؤمنة، وكل من على وجه الأرض من نسل أولئك، فحمل آبائهم منَّة عليهم وكأنهم هم المحملون، لأن نجاة آباءهم سبب ولادتهم [(٣)]، [**لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**] إن الله جعل هذه السفينة تذكرة وعظة لهذه الأمة إلى قيام الساعة فإنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين بهذا الطوفان العظيم فيه عبرة وعظة، لابد من حفظها لمن له أذن تسمع، وعقل يتذكر وقلب يتعظ وجوارح تعمل بما سمعت وحفظت [(٤)].

ثالثاً: أوجه البلاغة:

١- **إنا لما طغى الماء:** فيه استعارة حيث شبه ارتفاع الماء بطغيان الإنسان، حيث حذف الإنسان وأبقى على صفة له وهي الطغيان على سبيل الاستعارة المكنية [(٥)].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، (٧٣/١٥)، ينظر: أيسر التفاسير للجزائري، (٤٢١/٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي، (٨٨٢/١)، تفسير المراغي، (٥٢/٢٩)، فتح القدير، (٣٣٦/٥)، تفسير أبي السعود، (٢٣/٩)، تفسير النسفي، (٥٣٠/٣).

(٣) ينظر: فتح القدير، (٣٣٦/٥)، تفسير أبي السعود، (٢٣/٩)، البحر المحيط في التفسير، (٢٥٦/١٠)، تفسير القرطبي، (٢٦٣/١٨)، الكشاف، (٦٠٠/٤).

(٤) ينظر: تفسير النسفي، (٥٣٠/٣)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، (٦٢٤/٣٠)، معاني القرآن للزجاج، (٢١٥/٥)، الكشاف، (٦٠٠/٤).

(٥) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٨٢/٢٩).

٢- **فعصوا رسول ربهم:** أفرد رسول للتوزيع على الجماعات بمعنى رسول الله لكل جماعة منهم، وهو أجمل من الجمع لرسل ربهم لأن إفراد رسول فيه تفنن في صيغ الكلم من جمع وإفراد لأن صيغ الجمع لا تخلوا من ثقل ولتفادي تتابع ثلاث جموع فرسول مفردة واقعة بين جَمْعَيْن [١].

رابعاً: استنباط بعض الهدايات:

١- قوله تعالى: [**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**]، ذكر أذن وهي مفرد نكرة، ولم يقل آذان، هذا يدلل على أن الوعاة الذي يعتبرون ويتعظون قلة، وفيه توبيخ للناس بقلة من يعي منهم وفيه دلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت واتعظت واعتبرت هي السواد الأعظم عند الله، وما سواها لا يبالى بهم على كثرتهم [٢].

٢- تبرز الآيات أهمية السمع والذي هو من أهم طرق المعرفة فنسمع أخبار الأمم السابقة وما حدث لهم وكيف كانت نهايتهم فسمع فنحفظ ذلك ولا ننسى لنتعظ ونعتبر من غيرنا وهذا الطوفان العظيم، ليس للتسلية وملئ الأسطر ولكن لنعتبر فننجوا ونتعظ فنسلك طريق السلامة، ونعي ونفهم لنكون من أولي الألباب.

٣- توضح الآيات أن الباطل مهما علا وفشا فإنه ضعيف أمام جند الله وقدرته المطلقة فهذا فرعون الذي لم يكن حسب علمه وغروره أن هناك إلهاً غيره يغرق في الماء الذي كان يتباهى به ويقول هذه الأنهار تجري من تحتي وقوم لوط الذين فعلوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد وهذا نبي الله نوح عليه السلام ودعوته لقومه عشرة قرون من الزمن تقريباً ولم يؤمن معه إلا قليل لشدة عنادهم وطغيانهم فنهاية الطغيان إلى زوال قال تعالى: [**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**] {آل عمران:١٩٦-١٩٧} .

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، (١٢٢/٢٩)، التفسير المنير للزحيلي، (٨٥/٢٩).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، (٦٢٤/٣٠)، الكشاف، (٦٠٠/٤).

المطلب الثاني: يوم الحساب وما فيه من مواقف للأبرار والفجار:

المقطع الأول

مشهد من مشاهد يوم الحساب وبعضاً من أحداثه

قال تعالى: [**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ**] {الحاقَّة:١٣-١٨}.

أولاً: التحليل اللغوي:

فدكتا دكةً واحدة: الدك بمعنى الدق، دكَّهُ: ضربه وكسره حتى سواه بالأرض، أرض دكٌ، والجمع دكوك، والدك أيضاً هدم الجبل والحائط ونحوهما يقال جبل دُكٌّ بمعنى ذليل [١].

وانشقت السماء فهي يومئذ واهية: وهي: الوهى: الشق في الشيء وجمعه وُهِيٌّ وأوهية فالواهِ الضعيف، ويقال لأضعف شيء أوهاه وكل شيء استرخى رباطه فقد وَهَى، والمعنى أن السماء منشقة ضعيفة [٢].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد تعظيم شأن يوم القيامة وتهويل أحداثها بهذا المطلع المدوي للأذان "الحاقة ما الحاقة" وبعد ذكر القصص عن أحوال المكذبين ومآلهم وكيف كان عقابهم الشديد فهذه ثمود وعاد وبعدها قصة فرعون وقوم لوط، وقصة الطوفان ونجاة نوح عليه السلام في السفينة، بعد كل هذا شرع الحق تبارك وتعالى في بيان بعض تفاصيل يوم القيامة، فبدأ بمقدماتها وهي النفخ في الصور، فهذا بمثابة شرح وبيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها بشيء من التفصيل بعد بيان عظم شأنها [٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

[**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ**] أكثر المفسرين على أن المقصود بالنفخة هي الأولى التي عندها خراب العالم، والعرض للحساب يكون عند النفخة الثانية [٤]، والبعض يقول هي النفخة

---

(١) مختار الصحاح، (١٠٦/١)، لسان العرب، (٤٢٤/١٠).

(٢) لسان العرب، (٤١٧/١٥)، شمس العلوم دواء كلام العرب من الكلوم، (٧٣١١/١١).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، (٦٢٤/٣٠)، التفسير المنير، للزحيلي، (٨٨/٢٩)، الفتوحات الإلهية، للجمل، (٩٣/٨)، تفسير أبي السعود، (٢٣/٩)، روح المعاني للألوسي، (٤٩/١٥)، تفسير المراغي، (٥٤/٢٩).

(٤) ينظر:جامع البيان للطبري، (٥٨٠/٢٣) روح المعاني للالوسي(٤٩\١٥) تفسير ابن كثير(٢١١\٨).

الثانية، التي تكون للفصل بين الخلائق [1]، والرأي والراجح أننا نؤمن هناك ملك موكل بالنفخ في الصور وهو إسرافيل كما نؤمن بأن هناك نفخة في الصور أي البوق تحدث بعدها هذه الأحداث الهائلة كانشقاق السماء، واندكاك الأرض والجبال حتى تصبح الجبال في ضعفها كالصوف وأحداث عظيمة لا يعلم تفاصيلها كاملة إلا الله، وكل هذه التفاصيل من الأمور الغيبية والتي لا يزيد التفصيل فيها حكمه النص شيئاً فلو كانت دكة واحدة أو ثنتان أو ثلاثة لا يزيد التفصيل حكماً جديداً فلا يستطيع أحد أن يدرك بعقله تفاصيل ذلك اليوم العظيم، وهذا ما أخبرنا به مطلع السورة [**الحَاقَّةُ * مَا الحَاقَّةُ**] {الحاقَّة:١-٢}[2]، [3]، وقيل هي نفخات ثلاثة: نفخة الفزع، ونفخة الصعق وبعد ذلك نفخة البعث والمقصود في هذه الآية نفخة الفزع أي الأولى [4].

وبعد هذه النفخة تحمل الأرض والجبال فترفع من أماكنها وتكسرت وتفتت وتبدلت الأرض غير الأرض [**وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً**] وهذا الحمل ترتب عن تلك النفخة الهائلة فحينئذ وقعت الواقعة أي قامت القيامة وانشقت السماء فصارت ضعيفة غير متماسكة بعد أن كانت محكمة البناء قوية [5].

[**وَالمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**] يذكر الإمام الماتريدي [6] أن المقصود بالملك هم الملائكة يكونون على أطراف السموات ونواحيها وقيل على أطراف الأرض وحقيقة الأمر والإحاطة بهذه التفاصيل وعلمها الدقيق لا يعلمه إلا الله فندع تفصيل ذلك ونؤمن به كما جاء في الكتاب ولا تزيد عليه شيئاً ويحمل عرش الرحمن ثمانية من الملائكة وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا هو [7].

---

(١) الكشاف، (٦٠١/٤)، مفاتيح الغيب، (٦٢٥/٣٠)، فتح القدير، (٣٣٦/٥)، تفسير المراغي، (٥٣/٢٩).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين، (٧٦٢/١)، أوضح التفاسير، (٧٠٦/١).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٧٩/٦).

(٤) ينظر: تفسير ابن عطية، (٣٥٨/٥)، تفسير ابن كثير، (٢١١/٨).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي، (٢٦٤/١٨)، تفسير ابن كثير، (٢١١/٨)، التفسير الوسيط لطنطاوي، (٧٦/١٥)، التفسير المنير، للزحيلي، (٨٩/٢٩).

(٦) ينظر: تفسير الماتريدي، (١٧٦/١٠)، تفسير ابن عطية، (٣٥٩/٥)، تفسير المراغي، (٥٥/٢٩)، الدر المنثور، (٢٦٩/٨)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٣٥/١٥).

(٧) محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي من أئمة علماء الكلام نسبته إلى "ماترید" محله بسمرقند، من من كتبه "الرد على القرامطة"، "أوهام المعتزلة"، وغيرها وشرح الفقه الأكبر المنسوب للام أبي حنيفة، مات بسمرقند سنة ٣٣٣هـ، الأعلام للزركلي، (١٩/٧)، تاج التراجم لابن قُطلوبغا، (٢٥٠/١).

وفي الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ قال: **(أذن لي أن أُحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام)** (١).

وبعد هذه المشاهد التي يصورها لنا الحق تبارك وتعالى تصويراً يجعل العقل والقلب يخفقان من شدة الهول وكأننا نعيش مع هذه الأحداث، ونراها تحدث أمامنا، فيأتي مشهد فيه شيء من التفصيل ألا وهو العرض للحساب.

[**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ**] لا يخفى على الله ﷻ من أعمال العباد التي سيحاسبون عليها صغيرة ولا كبيرة وسيجد كل عامل ما عمله من خير أو شرٍ محضراً، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من نوقش الحساب عُذِّب) قلت: يا رسول الله إن الله تعالى يقول: [**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**] {الانشقاق:٧-٨} قال: (ذلك العرض) (٢).

المقطع الثاني

مشهد يظهر حال الناجين من الحساب وسبب نجاتهم

قال تعالى: [**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**] {الحاقَّة:١٩-٢٤}.

أولاً: التحليل اللغوي:

عيشة راضية: بمعنى مرضية، فيها الرضاء والعرب تقول: هذا ليل نائم، وسر كاتم، وماء دافق فيجعلونه فاعلاً، وهو مفعول في الأصل، أو جعل الفعل للعيشة مجازاً وهو لصاحبها فالراضي هو صاحب العيشة لا العيشة (٣).

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني، وحكم عليه بالصحة، (٢٠٨/١)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، (٢٨٢/١)، معجم ابن عساكر، (٦٨٢/٢)، الأسماء والصفات، للبيهقي، (٢٨٤/٢)، المعجم الأوسط للطبراني، (٣٥٦/٤).

(٢) صحيح البخاري، باب من نوقش الحساب عُذِّب، (١١١/٨)، صحيح مسلم باب اثبات الحسنات، (٢٢٠٥/٤)، وعند الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (ليس أحد يحاسب إلا هلك) قلت: يا رسول الله أليس الله يقول: حساباً يسيراً؟ قال: (ذاك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك).

(٣) مجاز القرآن، (٢٦٨/٢)، معاني القرآن للفراء، (١٨٢/٣)، الكشاف، (٦٠٣/٤)، التحرير والتنوير، (١٣٢/٢٩).

هاؤم: بمعنى تعال وبمعنى خذ ويقال للواحد وللجماعة هاؤم وهي أمر للجماعة بمنزلة هاكم أبدلت الهمزة من الكاف [١]، ويقول السمين الحلبي [٢] هاؤم أي خذوا وفيها لفات فتكون فعلاً وتكون اسم فعل وفي الحالين بمعنى خذ، وهي في هذه الآية اسم فعل وفيها لفتان المد والقصر، نقول: ها درهماً يا زيد وهاءَ درهماً، وتكون في الأحوال كلها من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، وتتصل بها كاف الخطاب متطابق مخاطبك، نحو هاك هاءَكَ هاكِ هاءَكِ، هاءَ يا زيد، هاءِ يا هند هاؤما، هاؤم، هاؤنَّ [٣].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد ذكر بعض المقدمات لهذا اليوم العظيم من نفخ في الصور ودك الأرض والجبال وانشقاق السماء وذكر مشهد حملة العرش، يأتي بعد ذلك العرض للحساب تنقسم الناس إلى قسمين، تبدأ هذه الآيات بتفصيل هذين القسمين من أوتي كتابه بيمينه وبعد ذلك مشهد من أوتي كتابه بشماله، فهذه الآيات بمثابة تفصيل ما حدث بعد العرض للحساب، فالصلة بين الآيات وسابقتها تحمل هدفاً وهو التذكير والإنذار فكما أهلك المكذبين في الدنيا وأعدلهم عذاباً في الآخرة، وضح في هذه الآيات مصير المؤمنين الصالحين فبعد العرض في الآيات السابقة للحساب شرع في تفصيل هذا العرض مبتدأ بأهل اليمين [٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

[**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**] يقول ذلك لأنه بلغ الغاية في السرور لأنه علم أنه من الناجين إني ظننت أي علمت وأيقنت في الدنيا أني سأبعث وأحاسب بعد الموت، فهو في عيشة يرضاها من يعيش فيها وهذه العيشة في جنةٍ دائم حبورها، رفيعة تصورها، ذات ثمار

---

(١) لسان العرب، (٦٢٥/١٢)، غريب القرآن، لابن قتيبة، (٤١٣/١)، معاني القرآن، للزجاج، (٢١٧/٥).

(٢) السمين صاحب الإعراب المشهور شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الله الدائم الحلبي، نزيل القاهرة، تعانى النحو فمهر فيه، ولازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، مهر في القراءات، وولى تدريس القراءات بجامع ابن طولون وكان عالماً بالعربية، وشرح الشاطبية في القراءات شرحاً لم يسبق إلى مثله، توفي سنة ٧٥٦هـ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، (٥٣٧/١)، الأعلام، للزركلي، (٢٧٤/١).

(٣) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٤٣٢/١٠).

(٤) ينظر: التفسير الحديث، (٣٨٨/٥)، التفسير المنير، للزحيلي، (٩٣/٢٩).

قريبة دانية يتناولها القائم والقاعد والمضطجع، ووصف الجنة بالعلو، بمعنى الارتفاع في محاسن

الجنات[1].

[**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ**] وبعد هذا المشهد الذي يعمره السرور بعد الخروج من هذا المفترق الخطير، وبعد وصف للجنة وبعض ما فيها يقال لمن دخلها [**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**] ويقال لهم ذلك امتناناً وانعاماً وإحساناً فلا تكدير ولا تنغيص هذا لما قدمتم من الأعمال الصالحة في الدنيا [2].

المقطع الثالث

مشهد يظهر حال الأشقياء وسوء مصيرهم وسبب شقاوتهم

قال تعالى: [**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ**] {الحاقَّة:٢٥-٣٧}.

أولاً: التحليل اللغوي:

ولا يحض على طعام المسكين: ح ض ض حضه على القتال حثه وحرضه والتحاض: التحاث، والمحاضة: أن يحث كل واحدٍ منهما صاحبه، والحض: ضربٌ من الحث في السير والسوق وكل شيء، والحَضُ: بفتح الحاء وضمها لفتان والصحيح أن الحض بالفتح المصد، وبالضم الاسم [3].

ولا طعام إلا من غسلين، الغسلين: كل جرح أو دبر غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين والغسلين في القرآن ما يسيل من جلود أهل النار كالقيح وغيره، وقيل ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم وقيل ما انضجت النار من لحومهم وسقط أكلوه [1].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، (٢١٤/٨) مفاتيح الغيب، (٦٢٨/٣٠)، زاد المسير، (٣٣١/٤)، ، تفسير المراغي، (٥٦/٢٩)، التحرير والتنوير، (١٣٣/٢٩).

(٢) ينظر: في رحاب التفسير، (٧٤١٧/٢٩)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٧٩/١٥)، التفسير المنير، للزحيلي، (٩٥/٢٩).

(٣) مختار الصحاح، (٧٥/١)، لسان العرب، (١٢٦/٧).

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد مشهد الفائزين الناجين الذي أوتوا كتبهم بإيمانهم شرع ﷻ في عرض الفئة المقابلة، وهم أصحاب الشمال الهالكين وما ينتظرهم من ألوان العذاب وكيف تكون حالهم في النار بتوضيح مأكلهم ومشربهم، وتفصيل ما سبب وصولهم إلى هذا المصير المؤلم، والسبب الرئيس في ذلك الكفر وعدم الإيمان وهذه المقابلة بين الفريقين موجودة في القرآن بصور متعددة ومشاهد متجددة حتى تكتمل الصورة وتتضح.

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

[**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ**] عندما تتطاير الصحف ويُعطى أهل الشقاء وهم أصحاب الشمال كتبهم يتمنون أن لم يعطوا ذلك ولم يعرفوا حسابهم، ويتمنوا أن الموتة التي كانت في الدنيا كانت القاطعة لما بعدها من بعث وحساب، وقيل أنه يتمنى الموت، ومؤكده قوله تعالى: [**دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا**] {الفرقان:١٣} ، يتمنى الموت وكان أكره شيء عنده [٢]، [**يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**]، ما أغنى عني ماليه قد تكون "ما" استفهامية بمعنى أي شيء أغنى غنى ماليه، أو نافية بمعنى أنه لم يغن عني شيئاً وكذلك هلك سلطاني ونسبي وجاهي وملكي فلم يحضرني كما عهدته، وقيل السلطان الحجة بمعنى حجتي التي كنت احتيج بها في الدنيا [٣].

وبعد هذه الحسرة وهذا الندم لأهل الشقاء الذي بلغ الذروة في التحسر والألم لدرجة تمنيهم الموت الذي كانا يكرهونه ويفرون منه يأتي الأمر إلى ملائكة العذاب [**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**] فلم ينته الأمر بعد ولكن الأمر بوضع الأغلال في أعناقهم وأيديهم فتجمع اليد إلى العنق ثم يأتي الأمر بإدخاله النار الموقدة وبعدها يُدخل في سلسلة طولها سبعون ذراعاً تلف على جميع جسده والعرب تعبر عن الكثرة بالسبعة

---

(١) الكليات، (٦٦٣/١)، لسان العرب، (٤٩٥/١١).

(٢) ينظر: جامع البيان، (٥٨٧/٢٣)، الكشاف، (٦٠٣/٤)، القرطبي، (٢٧١/١٨)، صفوة التفاسير، (٤١٣/٣).

(٣) ينظر: أضواء البيان، (٢٦١/٨)، التحرير والتنوير، (١٣٦/٢٩)، التفسير الحديث، (٢٨٨/٥)، التفسير المنير، للزحيلي، (٩٧/٢٩).

والسبعين والسبعمائة والمقصد أنها طويلة الأمد فلا انفلات منها، وإن فر فإلى أين؟ وقيل أنها سلسلة من سلاسل الجحيم تدخل من دبره وتخرج من فمه ويُعلق فيها [1].

ثم يوضح الحق ﷻ وتعالى السبب الذي أوصل أهل الشقاوة هذا العذاب وتلك السلاسل وهاتيك النيران الملتهبة [**إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ العَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الخَاطِئُونَ**] السبب الأول والرئيس يجعل ما وصلوا إليه الكفر بالله وعدم الحث على إطعام المساكين، والمقصود أنه لم يؤدّ حقوق الله بتوحيده وعبادته وعدم الإشراك به كما أنه لم يؤدِّ حقوق العباد، وذكر ﷻ الحض والحث ولم يذكر الإطعام فيه زيادة في التشنيع، فلا صديق له ولا قريب وليس له طعام إلا القيح أو الصديد أو ما تساقط من لحوم أهل النار، وهذا الطعام هو للكافرين الآثمين والخاطئون هم الذين يعتمدون الذنب ومفردهم خاطئ، أما المخطئ فهو الذي يفعل الشيء خطأ دون قصد فلم يقل ﷻ المخطئون بل قال الخاطئون[2].

رابعاً: استنباط بعض الهدايات:

وبعد هذه المشاهد الثلاثة لا بد من الوقوف بأذن واعية حافظة لا تنسى ما تسمع، وقلب عند رؤية هذه المشاهد بسماعها تتلى فيخشع، وعقل يتدبر الآيات ويستنبط الهدايات ليكون من الناجين ومن فرحته يقول هاؤم اقرؤوا كتابيه.

فمن هذه الاستنباطات:

١- تبرز لنا الآيات الكريمة خطورة هذا اليوم حتى إن الكلمات توحي بالشدة والهول فهذا الدك للأرض والجبال، وهذه الواقعة وانشقاق السماء، وذكر العرش وحملته، وتطاير الصحف كل هذه الأحداث المتلاحقة بعضها أثر بعض، يجب أن لا تغيب عن أذهاننا، ونحسب لهذا اليوم الحسابات الدقيقة ونُعد له الإعداد الجيد.

---

(١) تفسير ابن عطية، (٣٦١/٥)، تفسير القرطبي، (٢٧٢/١٨)، تفسير ابن كثير، (٢١٥/٨)، تفسير المراغي، (٥٩/٢٩)، تفسير السعدي، (٨٨٣/١)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٤٤/١٥)، التفسير المنير، (٩٩/٢٩).

(٢) التفسير المنير للزحيلي، (٩٩/٢٩)، التفسير الواضح، (٧٣٧/٣)، صفوة التفاسير، (٤١٤/٣)، نظم الدرر، (٣٧٣/٣٠)، البحر المحيط، (١٠-٢٦٤).

٢- ترشد الآيات الأمة الإسلامية إلى عدم الانبهار بما وصل إليه أعداء الإسلام من سلطان وجاهٍ وأموال فسوف يهلك كل ذلك ولا ينفع من ملكوا السلطان والمال والجاه شيء ومن شدة حسرتهم يتمنوا الهلاك ليستريحوا من تلك الأهوال.

٣- توضح الآيات وتظهر لنا بصورة جلية أهمية الأعمال الصالحة التي هي سبب النجاة في هذا اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون فهنيئاً لكم نعيم الجنة يا من أسلفتم وقدمتم الأعمال الصالحة في الأيام الخالية في الحياة الدنيا.

٤- ومن أهم الهدايات التي يجب أن لا تُنسى هي أداء حق الله وحق العباد، فالإيمان بالله مقرون في القرآن بالعمل الصالح فالمؤمن الحق من أدى الحقين معاً.

٥- إن هذا اليوم المشهود ليس فيه صديق حميم ينفعك بشيء فلا ينفع فيه رشوة تدفعها بمال، أو قوةٍ بعدد من البنين إنما ينجيك وينفعك القلب السليم.

المقطع الرابع: شهادة الله للنبي بالصدق فيما يبلغه عنه

قال تعالى: [**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَــقُّ اليَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ**] {الحاقَّة:٣٨-٥٢}.

أولاً: التحليل اللغوي:

ولا بقول كاهن: الكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدّعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب وتكهن تكهناً: قضى له بالغيب فهو كاهن والجمع كهنة وكُهَّان وحرفته الكِهانة بالكسر [١].

الوتين: نياط القلب، وهو عرق يتعلق به القلب إذا انقطع مات صاحبه والجمع وُتْنٌ وأوتنة [٢].

---

(١) التعريفات للجرجاني، (١٨٣/١)، القاموس المحيط، (١٢٢٨/١).

(٢) غريب القرآن، لابن تيمية، (٤١٣/١)، تفسير غريب القرآن، للكواري، (٤٦/٦٩)، القاموس المحيط، (١٢٣٧/١).

وإنه لحسرة على الكافرين: الحسرة: هي بلوغ النهاية في التلهف حتى يبقى القلب حسيراً لا موضع فيه لزيادة التلهف، كالبصر الحسير لا قوة فيه للنظر والبصر يَحْسِرُ حَسُوراً: كلَّ وانقطع من طول مدى وهو حسير ومحسور وحسرة وحسراً: تلهف فهو حسيرٌ [١].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد ذكر حساب المحسن والمسيء حسب قدرته وحكمته ﷻ وكأن القرآن قد ذكر للعالمين الوعد والوعيد والبشارة والتهديد فبعد أن أقام الدليل الواضح على إمكان القيامة وأحوال المؤمنين السعداء، وفي المقابل الكافرين الاشقياء، شرع في تعظيم هذا القرآن والرسول الكريم الذي نزل عليه هذا القرآن، وأنه كلام الله المنزل على نبيه [٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

[**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ**] هذا أعم قسم وقع في القرآن لأنه يعم ما يرى ما لا يُرى ما تبصرون من آثار القدرة وما لا تبصرون من أسرار القدرة وكذلك يضم ما في الدنيا والآخرة وهو اقسام بالأشياء كلها على الشمول والإحاطة، وهذا القسم متضمن أن كل ما يُرى ما لا يرى آية ودليل على صدق رسوله وأن ما جاء به هو من عند الله، فلا كهانة ولا شعر ولا جنون [٣].

قال الطبري رحمه الله: "فلا الأمر كما تقولون معشر أهل التكذيب بكتاب الله ورسله، أقسم بالأشياء كلها التي تبصرون منها والتي لا تبصرون" [٤].

وبعض المفسرين اعتبر "لا" نافية للقسم والمعنى لا حاجة للقسم لظهور الأمر وثبوته فلا حاجة لتأكيده بالقسم، والرأي الأقرب للصواب والسياق أنه قسم و"لا" للتأكيد ويوضح المعنى قراءة ليست من القراءات العشرة "فلأقسم" لام القسم مع ألف أقسم [٥] ومما جعلنا نرجح هذا القول أن الكفار كانوا ينكرون البعث فالأمر ليس واضحاً وليس ثابتاً بالنسبة لهم، فالقسم لتأكيد ذلك لعلهم يرتدعوا عن غيهم وعنادهم.

---

(١) التعريفات للجرجاني، (٨٧/١)، القاموس المحيط، (٣٧٥/١).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٣٧٣/٢)، تفسير المراغي، (٦١/٢٩)، التفسير المنير للزحيلي، (١٠٣/٢٩).

(٣) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، (١٧٥/١)، الكشاف، (٦٠٦/٤)، تفسير ابن عطية، (٣٦٢/٥).

(٤) جامع البيان، (٥٩١/٢٣).

(٥) ينظر: تفسير ابن عطية، (٣٦٢/٥).

فالنفي يكون لما تقدم من أقوال الكافرين عن النبي ﷺ أنه ساحر أو كاهن فالمعنى لا صحة لما تقولون، أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون [١].

[إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ] والرسول الكريم هو محمد ﷺ وهذا قول أكثر المفسرين وقيل الرسول جبريل والسياق يؤيد الأول لأن الكفار لم يتهموا جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة؛ بل اتهموا محمد عليه السلام فالقرآن هو قول الرسول محمد ﷺ رسالة عن ربه [٢]، فلا القرآن شعراً ولا كهانة وكذلك الرسول ليس بشاعر ولا بكاهن قليلاً ما يكون منكم تذكر وتأمل للتفريق بينهما ولكن القرآن **[تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ]**.

[وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ] ولو أن محمداً ﷺ افترى وكذب بعض الأقاويل –حاشاه– لأخذنا منه بالقوة والقدرة ولقطعنا نياط القلب فيهلك، والمعنى لعاجلناه بالعقوبة، وليس أحد منكم يحجزنا عنه ويحميه منا ويمنعنا من عقوبته لو تقوّل علينا، والتعبير عن الهلاك بقطع الوتين من الأساليب البديعة التي لم تعرفها العرب من قبل القرآن [٣].

[وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ] إن هذا القرآن عظة وتذكرة للذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه ومحارمه ومع وضوح آياته نجد منكم مكذبين به عناداً وكفراً مع قناعتهم بصدق النبي ﷺ وأن القرآن من عند الله لكنه الكفر والعناد والحسد [٤].

إن التكذيب بهذا القرآن ومعاداة ما جاء به سوف تكون عاقبته الحسرة والندامة حين يقوم الناس لرب العالمين، حين يرون ما أعده الله من نعيم مقيم وعذاب أليم، وأن هذا القرآن لحق اليقين وإن العذاب على الكافرين لحق أيضاً وهذه دعوة للتسبيح في نهاية السورة ودعوة للتقديس والتنزيه لله العظيم فالأمر موجه للنبي ولنا من بعده فسبحان الله العظيم [٥].

إن قسم السورة بلفظ العظيم لينبه إلى مطلع السورة القوي فالحاقة ما الحاقة إن كل شيء نراه يدعونا إلى خاتمة السورة **[فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ]** وكل شيء لا نراه وتسمع عنه يدعونا إلى

---

(١) ينظر: جامع البيان، (٢٣/٥٩١).

(٢) ينظر: زاد المسير، (٤/٣٣٣)، تفسير الجلالين، (١/٧٦٣)، التفسير الميسر، (١/٥٦٨).

(٣) ينظر: تفسير القاسمي= محاسن التأويل، (٩/٣١٥)، تفسير السعدي، (١/٨٨٤)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٥/٨٦)، التفسير الوسيط، للزحيلي، (٣/٢٧٣٠).

(٤) ينظر: التفسير الميسر، (١/٥٦٨).

(٥) ينظر: أوضح التفاسير، (١/٧٠٧)، التفسير الحديث، (٥/٣٩١).

تمجيد وتسبيح العظيم فنهاية السورة وكل مشهد في السورة سهام موجهة إلى الحاقة وما فيها وما هي النتائج في هذا اليوم العظيم.

رابعاً: وجوه البلاغة في هذا المقطع القرآني:

١- وقعت الواقعة، تخفى منكم خافية، يسمى هذا جناس اشتقاق، فأصل الواقعة من وقع [١].

٢- الفاء في قوله تعالى: [**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ**] للتفريع أي بمعنى تفريع ما بعدها على ما قبلها فبعد النفخ بدأ الحديث عن أهوال يوم القيامة المتلاحقة بعد النفخ والفاء في قوله تعالى: [**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ**] فهي لتفصيل ما يترتب على العرض والحساب من جزاء[٢].

٣- المقابلة بين قوله تعالى: [**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**] وقوله تعالى: [**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ**] [٣].

خامساً: استنباط بعض الهدايات:

١- تُظهر الآيات أهمية التأمل والتدبر في مخلوقات الله التي نراها والأشياء المغيبة عنا، لنصل بهذا التدبر والتأمل إلى نهاية السورة وخاتمتها المعبرة عما تحدث عنه السورة فسبحان الله العظيم الذي لا يقدر غيره ولا يملك سواه ذلك اليوم العظيم يوم ينفخ في الصور، وتحمل الأرض والجبال، وهذا العرض والحساب ونهاية إما إلى جنة وإما إلى نار، فكل صورة من هذه الصور تجعلنا ننطق سبحان الله العظيم.

٢- تُبرز لنا الآيات بعض أهداف القرآن العظيم وما أكثرها لكنها تُركز على أنه تذكرة للمتقين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر الذي عرضت لنا السورة بعضاً من مشاهده ونقلت لنا صوراً حية من أحداثه، فهذا للاعتبار والاتعاظ، وليس للسماع فقط وإن كان في السماع أجراً عظيماً.

٣- إن خاتمة السورة تنبه الأمة إلى التمسك بالذكر، قال تعالى: [**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ**] {الحاقَّة:٥٢} لأنه سلاح المؤمن، والآيات والأحاديث في فضل الذكر وما أعده الله للذاكرين كثيرة، يكفي الذاكرين فخراً ورفعة قوله تعالى: [**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**] {البقرة:١٥٢} ويكفيهم قوله ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول

---

(١) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٨٨/٢٩).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٧٥/١٥ وما بعدها).

(٣) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٩٢/٢٩).

الله يقول الله ﷻ: **(أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خيرٌ منهم، وإن تقرب مني شبراً، تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)** [1].

٤- تظهر الآيات الكريمة منزلة المتقين في قوله تعالى: [**وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**] {الحاقَّة:٤٨} فالمتقي لله يتذكر فيبصر ما ينفعه فيعمله، وما يضره فيتجنبه، فيعرف المتقي طريق الخير والشر، فاختصاص المتقين بالذكر لأنهم المنتفعون به لإقبالهم عليه إقبال المستفيد الخائف من أهوال يوم القيامة [2]، والآيات في هذا الموضوع كثيرة كقوله تعالى: [**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**] {ق:٤٥} ، وقوله تعالى: [**سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى**] {الأعلى:١٠} .

---

(١) صحيح مسلم، باب الحث على ذكر الله تعالى، (٤/٢٠٦١).

(٢) ينظر: في رحاب التفسير، (٢٠/٧٤٢٣)، والفتوحات الإلهية، للجمل، (٨/٩٣).

الفصل الرابع

تعريف عام بسورة (المعارج) وبيان المقاصد والأهداف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة المعارج.

المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

المبحث الأول

تعريف عام بسورة المعارج

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.

المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه.

المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس.

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة الكريمة.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها

أولاً: اسم السورة:

للسورة ثلاثة أسماء كلها مأخوذة من مطلعها فالاسم الأول: "سأل" أو "سأل سائل" بهذا الفعل، والثاني "الواقع" لقوله تعالى: [**بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**]، والثالث: "ذي المعارج" أو المعارج [١].

ثانياً: ترتيب السورة وعدد آياتها:

١- ترتيب السورة من حيث النزول هي السورة الثامنة والسبعون، نزلت بعد سورة الحاقة، ونزل بعدها سورة "النبأ" أما ترتيبها من حيث المصحف فهي السورة السبعون [٢].

٢- عدد آياتها في عامة المصاحف أربع وأربعون، وفي المصحف الشامي ثلاث وأربعون أسقط (خمسين ألف سنة) ولم يعدها، وعدَّها الباقون، وعدد حروفها ثمانمائة وأحد وستون، وعدد كلماتها مائتان وست عشرة [٣].

المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه:

سورة المعارج من السور المكية باتفاق، نزلت في أواخر العهد المكي حيث نزل بعدها في مكة سبع سور، وهي تعالج ما رسب في الأذهان من جاهلية نصبت العِداء والعناد من اللحظة الأولى لظهور هذا الدين وهذا الرسول الخاتم، فهي تعالج حقيقة الآخرة، وما فيها من أمور واقعة وعذاب ينتظر الكافرين المعاندين، فجو السورة يظهر عناد أهل مكة وكفرهم واستهزائهم واستعجالهم العذاب سخرية منهم لأنهم منكرون لهذا البعث وما فيه من حساب

والقرآن في المرحلة المكية يواجه هذه النفوس بأساليب متعددة، تُظهر الهول والرعب لتنزجر هذه النفوس، فتارة يُهددهم بذكر الطوفان الذي غمر الكون، وتارة يذكرهم بالسلاسل والسياط اللاذعة، وتارة بالصرخة المفزعة، والصعقة المدمرة، وفي النهاية ينتصر القرآن على ترويض هذه النفوس العصية العنيدة التي انغمست في الجاهلية وترعرعت فيها [٤].

---

(١) ينظر: في رحاب التفسير، (٧٤٢٥/٢٩)، الإتقان في علوم القرآن، (١٩٦/١)، محاسن التأويل للقاسمي، (٣١٦/٩).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، (٨٩/١٥)، الإتقان في علوم القرآن، (٩٧/١)، جمال القراء وكمال الإقراء، (٤٤/١).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية، (٣٦٤/٥)، زاد المسير، (٣٣٥/٤).

المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس:

فضائل السورة:

من قرأ هذه السورة مخلصاً فله بعدد حروفها حسنات وحروفها ثمانمائة وواحد وستون حرفاً، وذلك لقول النبي ﷺ: **(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)** [1]، فأبشر يا من تقرأ سورة المعارج بثمانمائة وواحد وستون حسنة بإذن الله تعالى.

محور السورة الرئيس

اليوم الآخر وما فيه من حقائق هو محور السورة الرئيس، فهذه السماء التي أصبحت كالمهل والجبال الصلبة التي كانت تمسك الأرض أصبحت كالصوف، ومشهد المجرمين وهم يفتدون من هذا العذاب بأبنائهم وأزواجهم وحتى فصيلتهم لكنها "لظى" التي تدعوا من أدبر وتولى وأعرض عن الهداية وأبَى إلا الكفر والعناد، وتختم السورة هذه المشاهد بمشهد الخروج من القبور والأبصار خاشعة، وفي ثنايا هذه المشاهد تعرض الآيات حقيقة الإنسان المتصف بالهلع، والجزع، ومنع الخير وتستثني الآيات المصلين المحافظين على الصلاة المؤتون الزكاة، والذين كانوا يؤمنون بهذا اليوم الذي تدور أحداث السورة حوله وكانوا خائفون مشفقون مما في هذا اليوم من عذاب وأحداث مرعبة، وحسابات دقيقة لقوله تعالى: **[فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ]** {الزَّلزلة:٧-٨}.

---

(١)ينظر: الإتقان في علوم القرآن، (٩٧/١)، التفسير المنير للزحيلي، (١٠٩/٢٩). ينظر: في ظلال القرآن، (٣٦٩٣/٦)،

(٢) سنن الترمذي وقال عنه حديث حسن غريب، (١٧٥/٥)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني وحكم عليه بالصحة، (١١٠٤/٢).

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة الكريمة:

١- التذكير بأهوال يوم القيامة وبيان ما فيه من شدائد وحساب وجزاء وثواب وعقاب، ووصف بعض التغييرات التي تحدث في الكون، فالسماء منصهرة كالفضة المذابة، والجبال القوية الراسخة تصبح كالصوف المتناثر، قال تعالى: [**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ * وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ**] {المعارج: ٨-٩} .

٢- تصوير مشهد من مشاهد جهنم وما تفعله بمن أدبر وتولى عن الحق الذي جاء به الرسل، قال تعالى: [**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**] {المعارج: ١٥-١٦} .

٣- وصف طبيعة الإنسان وأنه متصف بالهلع والجزع ومنع الخير، وأعقب ذلك ذكر العلاج وطرق النجاة من هذه الآفات التي تؤدي بصاحبها إلى النار، قال تعالى: [**إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا**] {المعارج:١٩} .

٤- وفي ختام السورة تسلية للرسول ﷺ وتهديد للكافرين بالفناء والتبديل، وتأكيد ذلك بالقسم، قال تعالى: [**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ**] {المعارج:٤٠} .

٥- تعرض الآيات صورة من صور الكافرين عند خروجهم من قبورهم أذلة في هذا اليوم الذي كان الرسول ﷺ يذكرهم به، وهم له منكرون ومكذبون.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

١- مناسبة السورة لما قبلها: سورة المعارج هي كالتتمة لما قبلها وهي سورة الحاقة فهي تكمل ما بدأت به سورة الحاقة من وصف القيامة وما فيها من أحوال المؤمنين والمجرمين فالمناسبة بين السورتين واضحة جلية من حيث الموضوع وكذلك من حيث النزول فسورة (سأل سائل) نزلت بعد الحاقة، وبهذا يكون التلاحم بين السورتين تلاحم جوار وتلاحم نسب وقرابة في الموضوع(١).

٢- مناسبة السورة لما بعدها: تشابه السورتين في المطلع فسورة "المعارج" يشير مطلعها إلى العذاب الذي أعده الله للكفار بصورة عامة وبكفار مكة بصورة خاصة، وفي سورة نوح يذكر العذاب لقوم نوح، وعندما ذكر في سورة المعارج [**عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ**] {المعارج:٤١}، وأقسم على ذلك ذكر في سورة نوح قصة الإغراق والقدرة على التبديل فقال تعالى: [**مِمَّا**

---

(١) ينظر: تفسير الألوسي، (٦٢/١٥)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٥٥/١٥)، تفسير المراغي، (٦٥/٢٩)، التفسير المنير للزحيلي، (١٠٩/٢٩).

خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا] {نوح:٢٥}، فالقدرة على إهلاك الكافرين ونصر المؤمنين أمر سهل ويسير فلا يدفع العذاب الواقع على الكفار أحد [١].

(١) ينظر: تفسير المنير للزحيلي، (٢٩-١٣٣).

المبحث الثاني

مقاصد السورة وأهدافها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تهديد المشركين بالعذاب الواقع عليهم

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان وعلاج القرآن لها

المطلب الثالث: أحوال المكذبين ونهايتهم

المطلب الأول: تهديد المشركين بالعذاب الواقع عليهم:

قال تعالى: [**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ * تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ * وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ المُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى**] {المعارج:١-١٨}.

أولاً: التحليل اللغوي:

المعارج: ع ر ج: العين والراء والجيم ثلاثة أصول: **الأول** على الميل، **والثاني** على العدد، **والثالث:** السمو والارتقاء.

فالأول: العرج مصدر الإعراج، ويقال للغراب أعرج لأنه إذا مشى حجل ويقال للطريق إذا مال انعرج، **والأصل الثاني:** يقال العرج مائة وخمسون، **والأصل الثالث:** العروج والارتقاء، عرج يعرج عروجاً ومعرجاً، والمعرج: الصعد ومنه قوله تعالى: [**تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**] {المعارج:٤}، ذي المعارج، الدرجات ترتقي فيها الملائكة [١].

﴿**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ**﴾: المهل: هو النحاس المذاب ويقال: القبح الصديد والمهل كل فلز أذي (والفلز) جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس [٢].

﴿**وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ**﴾: العهن: الصوف المصبوغ ألواناً، وقيل كل صوف عهن، والقطعة منه عِهنة والجمع عهون، وقيل العهن إذا كان مصبوغاً وإلا فهو صوف [٣].

﴿**وَفَصِيلَتِهِ**﴾: أصغر آبائه الذي إليه ينتمي وقيل عشيرته الأدنون [٤].

﴿**نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**﴾: الشوى: جمع شواة وهي جلدة الرأس، والشوى يطلق أيضاً على اليدان والرجلان والأطراف [٥].

ثانياً: أسباب النزول:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (٣٠٤/٤)، تفسير غريب القرآن، للكواري، (٣/٧٠).

(٢) مختار الصحاح، (٣٠٠/١)، لسان العرب، (٦٣٤/١١)، غريب القرآن لابن قتيبة، (٤١٤/١).

(٣) مختار الصحاح، (٢٢٠/١)، لسان العرب، (٢٩٧/١٣)، غريب القرآن، لابن قتيبة، (٤١٤/١)، الكليات، (٦٥٨/١).

(٤) معاني القرآن، للفراء، (١٨٤/٣)، غريب القرآن، لابن قتيبة، (٤١٤/١).

(٥) مختار الصحاح، (١٧١/١)، القاموس المحيط، (١٣٠١/١).

[**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**] نزلت في النضر بن الحارث عندما قال: [**وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**] {الأنفال:٣٢}، وقد سأل العذاب استهزاءً وسخرية وعناداً، ودعا على نفسه بطراً وكبراً فقتل يوم بدر وكان يحمل لواء المشركين [١].

ثالثاً: القراءات:

[**سَأَلَ سَائِلٌ**] سأل سائل: قرأ المدنيان [٢] والشامي [٣] "سأل" بألف بدلاً من الهمزة مثل قال، والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين، ويقف عليه حمزة [٤] بالتسهيل فقط [٥].

وحجة من قرأ بالهمز أنه أتى به على الأصل، وحجة من ترك الهمز أنه أراد التخفيف، ويحتمل أن يكون أراد الفعل الماضي من السيل فلم يهمزه، ويكون المعنى بقراءة من همز سأل سائل عن عذاب واقع، الباء بعذاب بمعنى عن، ويكون المعنى بقراء من ترك الهمز، سال سائل بعذاب، أما "سائل" فالجميع على همزها [٦].

رابعاً: التفسير الاجمالي:

[**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**] استخبر مستخبر استفهم مستفهم عن العذاب أو دعا داع أن يقع العذاب أو طلب طالب وكل هذه المعاني على سبيل السخرية والاستهزاء والتكذيب والسائل والطالب والمستخبر عن هذا العذاب هو النضر بن الحارث، أو أنه أبو جهل أو أن السائل جماعة من قريش [٧].

---

(١) ينظر: أسباب النزول للواحدي، ص٣٨٠، أسباب النزول للسيوطي، ص٤٣١، السنن الكبرى، للنسائي، (٣١٢/١٠)، المستدرك على الصحيحين للحاكم وقال هو النضر بن الحارث وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، (٥٤٥/٢).

(٢) المدنيان هم: نافع بن عبد الرحمن أحد القراء السبعة الأعلام، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي أحد القراء العشرة، تابعي مشهور وشيخ الإمام نافع، أُتي به إلى أم سلمة أم المؤمنين وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة، مقدمات في علم القراءات، (١٠١/١).

(٣) الشامي: عبد الله بن عامر اليحصبي إمام أهل الشام في القرآن، المبسوط في القراءات العشر، (٣٨/١).

(٤) حمزة: حمزة الزيات أحد القراء السبعة كان يجلب الزين من الكوفة إلى حلوان، توفي ٥٦هـ، الطبقات الكبرى، (٣٨٥/١).

(٥) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (٣٣٨/١).

(٦) ينظر: الحجة في القراءات السبعة، لابن خالويه، (٣٥٣/١).

(٧) ينظر: تفسير الماوردي، (٩٠/٦)، الوجيز للواحدي، (١١٣١/١)، تفسير ابن عطية، (٣٦٤/٥).

[**بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**] بالكفار يوم القيامة، وواقع بهم في الدنيا، وكان ذلك يوم بدر حيث قُتل صناديد الكفر وعبر ﷻ "بعذاب واقع" ولم يقل سيقع للإشارة إلى تحقق وقوعه في الدنيا والآخرة [١].

ومن قرأ بدون همز فإما أن يكون بمعنى سأل المهموزة فتكون لغة وهي لغة قريش يقولون سلت تسأل، والصحيح أنه من السؤال بالهمز أو بالتخفيف لغةً [٢]، وسؤالهم للنبي ﷺ على سبيل الاستهزاء والسخرية عندما هددهم بالعذاب، فسألوه على من يقع ومتى يقع فأجاب الله عنه للكافرين أي واقع عليهم لا يستطيع أحد دفعه عنهم [٣].

[**مِنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ**] هذا العذاب واقع على الكافرين من عند الله ذا العلو، وذا العظمة وذا السموات وصاحب النعم والفضائل فهي تكون درجات متفاضلة ومراتب مختلفة [٤].

[**تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**] هذا اليوم هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين سنة وفي هذا اليوم تصعد الملائكة والروح وهو جبريل عليه السلام وخصه بالذكر تشريفاً له إلى الله ﷻ وأخرج بن جرير بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: **(والذي نفسي بيده أنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا)** [٥].

[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفّحت له صفائح من نار، فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)** [٦]، وقيل خمسين ألف سنة هو عُمر الدنيا

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، (٦٣٨/٣٠)، التفسير الوسيط لطنطاوي، (٩٣/١٥).

(٢) ينظر: الكشاف، (٦٠٨/٤)، ابن عطية، (٣٦٥/٥)، مفاتيح الغيب، (٦٣٧/٣٠)، تفسير ابن كثير، (٢٢٠/٨).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، (٦٣٨/٣٠)، تفسير المراغي، (٦٦/٢٩)، التفسير الوسيط لطنطاوي، (٩٢/١٥).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، (٦٠٠/٢٣)، تفسير القرطبي، (٢٨١/١٨)، التفسير المنير للزحيلي، (١١٢/٢٩)، تفسير المراغي، (٦٦/٢٩).

(٥) مسند الإمام أحمد، (٢٤٦/١٨)، شعب الإيمان للبيهقي، (٥٥٦/١)، صحيح ابن حبان، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط بقوله: إسناده ضعيف. (٣٢٩/١٦).

(٦) رواه مسلم في صحيحه، باب إثم مانع الزكاة، (٦٨٠/٢)، صحيح بن خزيمة، (٣١/٤)، صحيح بن حبان، (٤٥/٨).

من أولها إلى آخرها لا يدري أحد كم مضى ولا كم بقي إلا الله ﷻ [1]، والراجح أن هذا اليوم هو يوم القيامة الذي يقضي فيه الله ﷻ بين الخلائق فالمراد الوقوف للحساب حتى يستقر أهل الدارين[2]، وقد ذكر ﷻ : [**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**] {السجدة:٥}، وقوله تعالى: [**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**] {الحج:٤٧}، قيل المقصود بها يوم القيامة، وقيل أن آية سورة الحج هي أحد الأيام السنة التي خلق الله فيها السموات والأرض، وأن سورة السجدة مقدار سير الأمر وعروجه إليه ﷻ أما آية المعارج فهي خمسون ألف سنة هي يوم القيامة [3].

[**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا**] هذه دعوة للنبي للصبر على أذى قومه والصبر الجميل لا جزع فيه ولا شكوى إلا لله، سؤال المشركين عن العذاب ساخرين مستهزئين كان يؤذي النبي نفسياً زيادةً على أذاهم الجسدي للقلة المؤمنة معه، فلزم الأمر الدعوة والتمسك بالصبر لأن عذاب الكفار أمر محقق لا دافع له ولا مانع فهم يرونه بعيداً غير ممكن لكنه غير بعيد وعندها سيتمنون أن يكونوا تراباً يُداس عليه لما يعانوه من ذلٍ وهوان [4].

[**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ * وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا**] وهذا العذاب سيقع عند حدوث تغيرات في الكون كمقدمة وبدايات ليوم القيامة حيث تكون السماء كأنها عكر الزيت أو كمذاب النحاس والفضة والمراد يوضحه قوله تعالى: [**وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ**] {الحاقَّة:١٦}، فالسماء متفككة ضعيفة غير متماسكة وتصبح الجبال كالصوف المصبوغ لأن الجبال منها جُدد بيض ومنها حُمرٌ ومنها غرابيب سود، بعد أن كانت شامخةً شديدة [5].

ولا يسأل الصديق صديقه ولا القريب قريبه بكيف حالك ولا بكلمة، لأن بكل أحد ما يشغله فلكل امريء منهم شأن يغنيه [6].

[**يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ المُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ**] وفي هذا الموقف العظيم يبصر الأصدقاء بعضهم البعض ويبصر المؤمنون الكافرون، ويبصر الكافرون الذين أضلوهم في النار، ويبصر المظلوم

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، (٢٢٢/٨).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي، (٢٨٢/١٨)، التفسير الوسيط لطنطاوي، (٩٤/١٥).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، (٩٥/١٥).

(٤) ينظر: تفسير المراغي، (٦٧/٢٩).

(٥) ينظر: تفسير الماوردي، (٩٢/٦)، الكشاف، (٦٠٩/٤).

(٦) ينظر: الكشاف، (٦٠٩/٤)، تفسير المراغي، (٦٨/٢٩).

ظالمه، والمقتول قاتله، ويتمنى الكافر أن يفتدى من هذا العذاب بأعز ما كان يملك في الدنيا من أولاد وزوجة وأخوة، وعشيرته التي كان يُنسب إليها ويأوي إليها في خوفه ونوائبه ويتمنى لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده ويذلهم في فداء نفسه [١]، ثم يأتي الرد من الله على هذه الودادة التي تمناها هذا الكافر.

[**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى**] ولظى علم للنار من اللظى وهو اللهب تنزع الشواة وهي جلدة الرأس، وتنزع الأطراف وتقطعها، ثم تعود الأطراف وجلدة الرأس بعد القطع مكانها ويستثمر العذاب وهذا مثل قوله تعالى: [**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**] {النساء:٥٦} ، وتنادي النار على الكافرين والمنافقين إليّ إليّ يا من أدبرتم عن الحق وتوليتم عنه، ويا من جمعتم المال وكنزتموه في أوعية ولم تؤدوا الحقوق الواجبة فيه وتشاغلتم بجمعه عن الدين ونسيتم هذا اليوم العظيم [٢].

خامساً: أوجه البلاغة:

١- الطباق بعيداً وقريباً [٣].

٢- **تعرج الملائكة والروح:** عطف الروح وهو جبريل عليه السلام على الملائكة من باب عطف الخاص على العام للتنبيه على شرفه وفضله [٤].

٣- من بلاغة القرآن تعدى الفعل سأل بحرف (الباء) في قوله "بعذاب" ليصلح لمعنى الاستفهام الانكاري، وأيضاً لمعنى الدعاء والاستعجال، بمعنى أنه سأل سائل النبي ﷺ سؤال تهكم وإنكار عن العذاب الذي توعد الكفار به [٥].

٤- قوله تعالى: [**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ**] {المعارج:٨-٩}، تشبيه مرسل مجمل لحذف وجه الشبه، ووجه الشبه بين تشبيه السماء والجبال أن السماء تكون في هذا اليوم في انحلال أجزائها وضعفها وعدم تماسكها كبقايا الزيت في قعر الإناء، والجبال في

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي، (٩٣/٦)، الكشاف، (٦١٠/٤).
(٢) ينظر: الكشاف، (٦١١/٤)، تفسير السعدي، (٨٨٦/١).
(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي، (١١١/٢٩).
(٤) التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٩٣/١٥).
(٥) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (٩٢/١٥).

تناثر وتفرق أجزائها كالصوف المصبوغ الذي تناثر في الجو، فالتطاير والتناثر هو وجه الشبه[1].

٥- قوله تعالى: [**تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى**] {المعارج:١٧} استعارة مكنية، أو مجاز عقلي حيث شبه النار بأنها تدعوهم بتحضرهم [2].

سادساً: استنباط بعض الهدايات من هذا المقطع:

١- تظهر الآيات الكريمة مدى عناد الكفار والحقد الأعمى لهذا الدين ومن جاء به وأن أسئلتهم واستفساراتهم لم تكن من أجل الوصول إلى الحق، فلو كان هدفهم الحق لوصلوا إليه، ولقالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، لكنهم سألوا واستعجلوا العذاب مستهزئين ومنكرين لهذا العذاب.

٢- تُبرر الآيات عن حقائق عظيمة وأحداث خطيرة قد لا يستطيع العقل تصورها فهذه الأرقام خمسين ألف سنة، وفي مواطن أخرى ألف سنة مما تعدون إنها أرقام تحتاج إلى تدبر عميق، وفكر دقيق لتصور عظمة هذا اليوم، الذي تنشق فيه السماء وتصبح واهية، وهذه الأوتاد التي تمسك الأرض تصبح سراباً، هذه الأحداث لابد لمن يقرأها أن يقشعر جلده، ويخشع قلبه ويتصدع فؤاده، من خشية الله، وهذه القشعريرة وتلك الخشية وذاك التصدع يجب أن يحدث للقارئ والسامع عند ذكر أي اسم من أسماء هذا اليوم العظيم، أو أي حدث من أحداثه، أو أي مشهد من مشاهده.

٣- ترشد الآيات الدعاة إلى الصبر وأهميته وتحمل الأذى وإن كثر ولنا في رسول الله أسوة حسنة تحمل أذى المشركين واستهزائهم وتكذيبهم فما أحوج الأمة اليوم إلى الصبر الذي هو الانطلاقة الصحيحة لكل أمر، فبدون الصبر لن يتغير شيء إلى الأحسن، ولن يتقدم شيء إلى الأمام.

٤- تُبين الآيات بصورة جلية فتنة المال الذي يجمعه الناس ففي الحديث الشريف أن المال سؤاله سؤلين كيف حصلت عليه؟ وأين أنفقته؟ عن أبي بَرْزَة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، (٩٥/١٥)، التفسير المنير للزحيلي، (١١١/٢٩)، إعراب القرآن وبيانه، (٢١١/١٠).

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (٢١٣/١٠).

(لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة: عن جسده فيما أبلاه، وعمره فيما أفناه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه) [1].

٥- وهذه الأعداد التي ذكرتها الآيات (خمسين ألف سنة) وفي آيات أخرى (ألف سنة) تدل على شدة هذا اليوم على الكافرين، فالعرب تصف أيام الشدة بالطول، وتصف أيام الفرح بالقِصَر كما قال الشاعر:

إن الليالي للأنام مناهل تطوي وتنشر بينها الأعمارا

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن من السرور قصارا [2]

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان وعلاج القرآن لها:

قال تعالى: [**إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا المُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ**] {المعارج:١٩-٣٥}.

أولاً: التحليل اللغوي:

هلوعاً: الهلع الحرص وقيل الجزع وقلة الصبر وقيل هو أسوء الجزء وأفحشه والهلوع الضجور الذي يفزع ويجزع من الشر، ورجل هلوع إذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل في كل واحد منهما غير الحق [3].

جزوعاً: الجزع ضد الصبر، يقال جزع من الشيء، وأجزعه غيره جَزَع وجُزوعاً فهو جازعٌ وجَزِع [4].

---

(١) سنن الدارمي باب من كره الشهرة والمعرفة، وعلق المحقق حسين الداراني على الحديث بقوله إسناده حسن من أجل أبي بكر بن عياش، والحديث صحيح، (٤٥٢/١)، المعجم الوسيط للطبراني، (٣٤٨/٢)، شعب الإيمان بألفاظ متقاربة، (٢٧٧/٣)، صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني، وحكم عليه بالصحة، (١٢٢١/٢).

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، لابن الأثير، (٢٦٢/١)، خزانة الأدب وغاية الإرب، لابن حجة الحموي، (٣٥٥/١)، والبيتان للشاعر عتاب بن ورقاء الشيباني.

(٣) لسان العرب، (٣٧٥/٨)، مختار الصحاح، (٣٢٧/١).

(٤) مختار الصحاح، (٥٧/١)، القاموس المحيط، (٧٠٩/١).

الذين هم من عذاب ربهم مشفقون: الشفق والشفقة: الخيفة، شفق شفقاً فهو شفق والجمع شفقون وأشفقت منه بمعنى حذرته، والمشفق: الخائف [١].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن وصف لنا ﷻ يوم القيامة، ووصف هذه التغيرات العظيمة في السماء والجبال، ذكر في هذه الآيات طبائع وحقائق عن النفس البشرية ووصفها بالهلع والجزع ومنع الخير، ثم ذكر لهذه الأمراض العلاج المناسب للتغلب على الصفات الذميمة، ويتمثل العلاج في عشر جرعات حتى يكون الشفاء تاماً من الهلع والجزع ومنع الخير، وسنتحدث عن هذه الجرعات في التفسير الإجمالي للآيات [٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

يبين لنا الحق ﷻ أن الإنسان (وأريد بالإنسان الناس لذلك استثنى المصلين فالمقصود جنس الإنسان) جُبل على الضجر وشدة الحرص والجزع وقلة الصبر فقليل هم الصابرون وكذلك الشاكرون، ولكن الذي خلق هذا الإنسان هو أعلم بما يصلحه من الداخل والخارج [٣]، فوصف العلاج المتمثل في عشر صفات، وكأنه يقول لهذا الإنسان إذا أردت أن تسلم الهلع وآثاره وهو الجزع وتسلم من الضجر والشح، ومنع الخير عند السعة فتمسك بهذه الأعمال العشرة.

١- **أداء الصلاة:** فقد استثنى من تلك الأمراض المصلين الذين وفقهم الله على المداومة والمحافظة على الصلاة وموافيتها ويكثرون من فعل التطوع منها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل[٤].

٢- **المداومة على الصلاة:** [**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**] أي مواظبون لا يملون في وقت من الأوقات فيتركونها وهذا في المكتوبة، لأن الدوام يعني عدم الترك أما النافلة فيكثرون منها حسب الاستطاعة [٥].

٣- **إخراج الزكاة:** [**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ**] الحق المعلوم الزكاة المفروضة، وقيل هي سوى الزكاة، والأصح أنها الزكاة لأن ما سوى الزكاة ليس بمعلوم ولم

---

(١) لسان العرب، (١٨١/١).

(٢) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (١٢١/٢٩).

(٣) ينظر: الكشاف، (٦١٢/٤)، التحرير والتنوير، (١٦٦/٢٩).

(٤) ينظر: تفسير الماوردي، (٩٥/٦)، الكشاف، (٦١٢/٤).

(٥) ينظر: تفسير ابن عطية، (٣٦٨/٥)، التفسير المنير للزحيلي، (١٢١/٢٩)، التحرير والتنوير، (١٧١/٢٩).

يمنع أن السورة مكية فقد يكون أصل المشروعية في مكة ثم يأتي التفصيل في المدينة والسائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي لا يسأل فيظن أنه غني فلا يتفطن له كثير من الناس [1].

٤- **الإيمان بيوم القيامة:** والذي تصور لنا السورة الكريمة بعض أحداثه ومقدماته [**وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**] والمعنى يوقنون بالمعاد والحساب [2].

٥- **الخوف من الله:** [**وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ**] خائفون وجلون من تركهم للواجبات، وأقدامهم على المحظورات، فهم حريصون على القيام بما كلفوا به [**إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ**] فما أحد يدري ما الله صانع به أهو من أهل الجنة أم لا [3].

٦- **البعد عن الفواحش وحفظ الفروج:** [**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ**] وهذه تمثل صفة العفة، وإمساك الشهوة إلا فيما أحله الله لهم [4][**إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**].

٧- **أداء الأمانات والوفاء بالعهود:** [**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**] فإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا [5].

٨- **القيام بشهادة الحق:** [**وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ**] القيام بالشهادة الاهتمام بها وحفظها وأدائها، فهي من ضمن الأمانات التي يجب أن تحفظ وتؤدى على الوجه الذي يُرضي الله ورسوله فهم يشهدون بالحق على القريب والبعيد [6].

٩- **المحافظة التامة على مواقيت الصلاة وأركانها وواجباتها ومستحباتها،** ويكملوها بسنتها وآدابها ولا يفعلون بعدها ما يتناقض أو يتعارض معها، فتبطل ثوابها ويضيع أجرها، وذكر في بداية الأعمال المداومة وفي نهاية الأعمال المحافظة لأن الدوام يرجع إلى الصلاة نفسها، أما المحافظة فترجع إلى أحوالها [7].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي، (٢٩١/١٨)، تفسير أبي السعود، (٣٣/٩)، تفسير المراغي، (٧٠/٢٩)، أضواء البيان، (٢٧٠/٨).

(٢) ينظر: تفسير المراغي، (٧٢/٢٩).

(٣) ينظر: تفسير المراغي، (٧٢/٢٩)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٨٠/١٥).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٠٢/١٥).

(٥) ينظر: في رحاب التفسير، للشيخ كشك، (٧٤٣٣/٢٩).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، (١٧٤/٩)، التفسير الواضح الميسر، للصابوني، ص١٤٦٩.

(٧) ينظر: الكشاف، (٦١٣/٤)، التفسير المنير للزحيلي، (١٢١/٢٩)، تفسير المراغي، (٧٠/٢٩).

فمن تمسك بهذه الأعمال واتصف بها فإنه يطهر نفسه من خلق الهلع والجزع وينجو من أهوال وعذابات هذا اليوم العظيم التي وصفت لنا السورة بعضاً منها فهذه النار الموقدة التي تنزع الأطراف والرؤوس، ثم يظهر لنا ﷻ الصورة المقابلة صورة المؤمن يستقر في الجنة خالداً وذلك هو الفوز العظيم، [**أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ**] أكرمهم الله تعالى برحمته لاستقامتهم على طريق الحق وتمسكهم بما أمر وثباتهم على تلك الصفات العشرة التي بينتها الآيات السابقة [١].

رابعاً: أوجه البلاغة:

١- المقابلة بين [**إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا**] [**وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا**] والمقابلة تظهر المعنى وتجليه وتبرزه بصورة ساطعة، فإذا رأيت ثوباً أسوداً بجانب آخر أبيض سوف ترى اللونين بصورة أوضح [٢].

٢- قوله تعالى [**عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**] إضافة (الصلاة) إلى ضمير المصلين تنويه بشأنهم وإشعار باختصاصها بهم، فهم أصحابها الملازمون لها، وفي تكرير الصلاة مبالغة في الاهتمام بشأنها وتنويهاً بفضلها وتصدير الجملة بالضمير (هم) وتقديم الجار والمجرور (على صلاتهم) على الفعل، فالجملة الإسمية تفيد الدوام والاستمرار، وتفيد الجملة الفعلية التجدد مع الاستمرار [٣].

خامساً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد:

١- تظهر الآيات الكريمة حقيقة الإنسان التي خُلق وجُبل عليها من هلع وجزع ومنع للخير، وهذه الصور تكررت في القرآن بألفاظ ومعاني متقاربة مثل قوله تعالى: [**إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**] {العاديات:٦} .

٢- إن هذه الصفات الذميمة في الإنسان وضع ﷻ لها علاج وضوابط تضبط تصرف هذا الإنسان حتى تتكمش هذه الصفات الذميمة وتظهر صفات حميدة يظهر آثارها على الإنسان، وأول جرعة في العلاج هي الصلاة وآخر جرعة الصلاة، وكان المصلي الذي يداوم على صلاته ويحافظ عليها لابد أن تظهر فيه باقي الصفات المذكورة في الآية من زكاة وإيمان باليوم الآخر والخوف من الله، والعفة، وأداء الأمانة والوفاء بالعهود، والصدق عند الشهادة.

---

(١) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن، (٣٧٦٥/٧)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٨٧/١٥).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي، (١٢٠/٢٩).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، (١٠٠/١٥)، إعراب القرآن وبيانه، (٢١٦/١٠).

٣- تبين الآيات أهمية الصلاة ومدى تأثيرها على الإنسان فالإنسان المصلي مرتبط بالله كلما شغلته الدنيا وما فيها نادته الصلاة لأنه مداوم عليها ومحافظ على القيام بها على خير وجه.

٤- تشير الآيات التي استثنت المصلين من بين الناس الذين يتصفون بالهلع والجزع أنهم سلموا من هذه الصفات الذميمة بسبب إيمانهم باليوم الآخر وخوفهم من عذاب ربهم، وهذا هو محور السورة، وما تدور حوله مشاهد السورة، فلو قال قائل أن سورة المعارج هي سورة المصلين لأومئنا برؤوسنا موافقون على قوله.

٥- تلفت الآيات النظر وتهز القلب، وترشد العقل إلى أن يتذوق الآيات ليرى من هم أولئك الذي هم في جنات مكرمون في هذا اليوم العظيم الذي لا يسأل الصديق الحميم عند صديقه وتتبدل فيه الأرض والسماوات والجبال، وهذه النار التي تتخطف الناس من رؤوسهم وأطرافهم، فيوم فيه هذه الأهوال والشدائد ويكون فيه فئة مكرمة، لابد من البحث عن سر هؤلاء المكرمون سيجد العقل وسترى العين ويهتدي القلب إلى سر أولئك الناجون من الفزع والهول، بأن هذا السر هو الصلاة التي داوموا وحافظوا عليها فجعلت صلتهم بالله قوية.

المطلب الثالث: أحوال المكذبين ونهايتهم (الآيات ٣٦-٤٤):

قال تعالى: [**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**] {المعارج:٣٦-٤٤}.

أولاً: التحليل اللغوي:

مهطعين: هطع يهطع هطوعاً، وأهطع: أقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه، والمهطع الذي ينظر في ذل وخشوع، ومهطعين تعني إدامة النظر مع فتح العينين [١].

عزين: العزين بمعنى حلقاً حلقاً، وجماعة وجماعة، يقال: عزين هي الحلقة المجتمعة من الناس، كأن كل جماعة اعتزاؤها أي انتسابها واحد، وأصلها عِزوة [٢]، والعزون حلق الرفاف وهذه من

---

(١) ينظر: لسان العرب، (٣٧٢/٨).

(٢) لسان العرب، (٥٣/١٥).

مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس ﷺ عندما سأل نافع ابن عباس وهل تعرف العرب ذلك؟ فأجاب ابن عباس ﷺ أما سمعت عبيد بن الأبرص [١]، يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا [٢]

فذرهم يخوضوا: خوض: الخاء والواو والضاد أصل واحد يدل على توسط شيء ودخول وتخاوضوا في الحديث والأمر أي تفاوضوا وتداخل كلامهم [٣].

الأجداث- الجَدَثُ: القبر وجمعه (أَجْدُثْ) و(أجداث) [٤].

كأنهم إلى نصب يوفضون: النَصْب والنُصْبُ: بفتح النون وضمها وإسكان الصاد وضمها هو ما نصب فقبل من دون الله، والنُصْب أيضاً أحجار تنصب ويذبح عندها [٥].

يوفضون: يسرعون، والإيفاض الإسراع [٦].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن وصف ﷻ عبارة الذين أكرمهم بالجنات والنعيم المقيم أردف ذلك بذكر أحوال الكفار في الدنيا والآخرة، فحالهم في الدنيا الإسراع إلى الكفر، والعناد والصد عن سبيل الله، وحالهم في الآخرة حين يخرجون من قبورهم مسرعين إلى ما كانوا يعبدون، وأبصارهم الذليلة حين تغشاهم المذلة لأنهم كانوا يكذبون بهذا اليوم [٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

[**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ**] عن اليمين وعن الشمال عزين (جماعات)، تصور الآيات حال الكفار العجيب وهم مسرعين في التكذيب ناظرين للنبي ﷺ نظرةً لا تطرف رموشهم، وهم معرضين عن الحق متفرقين حلقاً وجماعات وهذا الإعراض والعناد رغم شاهدتهم ما أرسله الله به من الهدى

---

(١) شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، أحد أصحاب المجمهرات المعروفة طبقة ثانية بعد المعلقات عاصر امرأ القيس وله معه مناظرات، الأعلام، للزركلي، (١٨٨/٤)، معجم الشعراء العرب، (١٦٧٧/١).

(٢) التفسير والمفسرون للذهب، (٥٧/١)، كتاب مسائل نافع بن الأزرق= غريب القرآن في شعر العرب، (٢٨/١).

(٣) مقاييس اللغة، (٢٢٩/٢)، مختار الصحاح، (٩٨/١).

(٤) مختار الصحاح، (٥٤/١).

(٥) لسان العرب، (٧٥٨/١)، مختار الصحاح، (٣١١/١)، غريب القرآن لابن تثنية، (٤١٥/١).

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء، (١٨٦/٣)، تفسير غريب القرآن الكواري، (٤٣/٧٠).

(٧) ينظر: التفسير المنير للزحيلي، (١٢٨/٢٩)، تفسير المراغي، (٧٤/٢٩).

وما أيده به من المعجزات الباهرة الدالة على صدقه وصدق ما جاء به، فبدلاً من الإيمان لهذا الحق فرّوا وتفرقوا وأعرضوا شاردين كأنهم حُمرٌ وحشية فرَّت من الأسد يميناً وشمالاً غير مهتدين للطريق المستقيم [١].

[**أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ**] كان بعض الكفار يقولون إن كانت ثم آخرة فنحن أهلها وفيها، فنزل القرآن منكراً لمقولتهم، كيف يطمعون في دخول الجنة وحالهم الإعراض والفرار عن الرسول ﷺ وما جاء به، فجاء الرد "كلا" ردعٌ لهم عن طمعهم في دخول الجنة بل مأواهم ما يستحقون من عذاب لإعراضهم وكفرهم، فلا مطمع لهم في دخول الجنة على ما هم عليه [٢].

وبعد إثبات الجزاء لهم بدأت الآيات في الاحتجاج على إمكان البعث إبطالاً لشبهاتهم التي جعلتهم ينكرونه، فاحتج عليهم بالنشأة الأولى ومثال ذلك قوله تعالى: [**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ**] {الواقعة:٦٢} ، وقوله أيضاً [**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ**] {يس:٧٨} ، فكما خلقنا الإنسان مما يعلمونه من نطفة ثم أصبحت إنساناً عاقلاً فكذلك نعيد خلقه بكيفية لا يعلمونها[٣].

[**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**] ليس الأمر كما يزعمون أن لا حساب ولا معاد ولا بعث بل كل ذلك واقع لاشك فيه بمجيئه، وهذا رد على زعمهم الفاسد وهو نفي يوم القيامة وما فيها من أحداث فالأمر ليس كما يزعمون أقسم برب المشارق والمغارب أي بمشارق والقمر وسائر الكواكب إنا لقادرون على إهلاكهم والمجيء بخير منهم في الفضل والطوع والإيمان والتصديق ولا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر وأقسم بهذه الأشياء حتى يلفت النظر لعظمتها وعظمة خالقها وقدرته تعالى على كل شيء [٤].

[**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**] أي دعهم في كفرهم وعنادهم وباطلهم حتى تفاجئهم القيامة بما فيها من بعث وحساب فاتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا ما توعدناهم به وهذا تهديد ووعيد خفي [٥].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٦١٩/٢٣)، تفسير الماوردي، (٩٦/٦)، تفسير ابن كثير، (٢٢٨/٨)، فتح القدير، (٣٥١/٥)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٠٥/١٥).

(٢) ينظر: الكشاف، (٦١٤/٤)، تفسير ابن عطية، (٣٧٠/٥)، ينظر: تفسير ابن كثير، (٢٢٩/٨)، تفسير المراغي، (٧٦/٢٩)، التحرير والتنوير، (١٧٥/٢٩).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، (١٧٨/٢٩)، الكشاف، (٦١٤/٤).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير، (٢٢٩/٨)، تفسير القرطبي، (٣٩٥/١٨)، أوضح التفاسير، (٧١٠/١).

(٥) ينظر: تفسير ابن عطية، (٣٧١/٥)، الموسوعة القرآنية، (٣٧٤/١١)، أوضح التفاسير، (٧١٠/١).

[**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**] وبعد التهديد الخفي في قوله ﷻ اتركهم يا محمد في لهوهم ولعبهم وباطلهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون شرع ﷻ في وصف حالهم في هذا اليوم عند خروجهم من قبورهم مسرعين إلى راية أو علم وأبصارهم ذليلة من الخوف والفزع تغشاهم ذلةٌ عظيمة، هذا اليوم كانوا يوعدون بالعذاب فيه وهم منكرون له مستهزؤن به مكذبون لمن يوعدهم بذلك [١].

وهذا ختام بديع رائع للسورة فبعد الرد على سؤالهم عن العذاب (سأل سائل) وبعد وصف لطبيعة الإنسان وبيان العلاج الذي يصلحها ختم السورة ببيان حال المكذبين ونهايتهم، فافتتاح السورة وختامها يثبتان أن يوم القيامة وما فيه من بعث وحساب حق لاريب فيه ولا شك وما بين الافتتاح والخاتمة بعضاً من هذه الأحداث والمشاهد وهكذا يلتئم المطلع والختام في قضية البعث والجزاء فالعذاب الذي سألوه له يوم كانوا يوعدون به [٢].

رابعاً: أوجه البلاغة:

قال تعالى: [**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ**] استفهام انكاري تعجبي من تجمع المشركين إلى النبي ﷺ يسمعون وعد المؤمنين بالجنة ووعيد الكفار بالنار ومع ذلك يستهزئون بما يسمعون ويشاهدون، فعجباً لهؤلاء الكفار وتصرفاتهم التي تدل على منتهى جهلهم وغفلتهم [٣].

قوله تعالى: [**أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ**] هذا الاستفهام للنفي والإنكار والتقريع بمعنى أنهم لن يدخلوها على ما هم عليه من الكفر والعناد وجاء بعد الاستفهام بـ (كلا) لردعهم وزجرهم عند هذا الطمع [٤].

[**ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**] التعبير عن ذلك اليوم بلفظ الماضي (كانوا) ليؤكد أن ما وعد الله آتياً لا محالة [٥].

قوله تعالى: [**إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ**] كناية عن المنّى، وهذا فيه نزاهة في التعبير، وحسن التذكير [٦].

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير، للجزائري، (٤٣٧/٥)، التفسير المنير، للزحيلي، (١٣١/٢٩).
(٢) ينظر: التفسير الواضح، (٧٤٩/٣)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٠٧/١٥)، في ظلال القرآن، (٣٧٠٤/٦)
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، (١٧٥/٢٩)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٠٤/١٥).
(٤) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٠٥/١٥).
(٥) ينظر: التفسير الميسر، للزحيلي، (١٣١/٢٩).
(٦) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (١٢٧/٢٩).

خامساً: استنباط بعض المقاصد والهدايات من الآيات:

١- ترشد الآيات إلى اعمال العقل وعدم الوقوع في التناقض فأمر الكفار متناقض عجيب كيف يطمعون في دخول الجنة، وهم يكفرون بخالقها، ولا يأتمرون بأمره، وأمر رسوله الذي أرسله لهدايتهم.

٢- تبرز الآيات عظمة الخالق ﷻ فعندما قال ﷻ [**بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ**] دلالة على هذا الكون الفسيح فهذه مشارق الشمس والنجوم والكواكب تتوالى في كل لحظة، ففي كل لحظة أثناء دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس يطلع مشرق ويختفي مغرب، فيجب علينا أن نتفكر في هذا الكون، الذي لا يعلم منتهاه إلا الله والعقل يفكر واللسان ينطق، [**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**] {آل عمران:١٩١} (١).

٣- تظهر الآيات مدى قِصر هذه الدنيا فبعد التهديد الخفي في قوله تعالى: [**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا**]، ذكر ﷻ [**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا**] فالآيات توحي بالسرعة وقصر الزمن بين الخوض واللعب في الدنيا وبين الخروج للحساب.

٤- وهكذا تنتهي هذه السورة الكريمة وما فيها من قضايا مهمة تدور حول يوم القيامة، وكذلك تذكير الناس بقدرة الخالق فالذي بدأ الخلق ﷻ قادر على إعادته، فأحداث يوم القيامة أحداث عظيمة لابد لها من قدرة وقوة، فالسورة الكريمة فيها الإشارات الكافية ليستدل بها كل ذي عقل على هذه القدرة وتلك العظمة فهذه الملائكة تعرج في يوم مقداره خمسين ألف سنة، وأيّ قدرة تجعل السماء المحكمة كالشيء المنصهر، وهذه الجبال الراسخة التي تمسك الأرض تصبح كالصوف المتناثر، فلا يجد العقل السليم جواباً لهذه المشاهد ولا يجد طريقاً إلا الاهتداء والإيمان بالخالق ﷻ.

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٧٠٣/٦).

الفصل الخامس

تعريف عام بسورة (نوح) وبيان المقاصد والأهداف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة نوح.

المبحث الثاني: بيان مقاصد السورة وأهدافها .

المبحث الأول

تعريف عام بسورة نوح

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.

المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه.

المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس.

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة الكريمة.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها:

١- سميت السورة بسورة "نوح" لذكر نبي الله نوح في افتتاحها [**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا**] {نوح:١} ، وكذلك في خاتمتها [**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**] {نوح:٢٦} ، فهي اشتملت على تفاصيل دعوته وأدعيته. ويرى الباحث أننا نستطيع أن نطلق عليها اسم (أساليب الدعوة والصبر عليها).

٢- ترتيب السورة في المصحف هي السورة الحادية والسبعون قبلها سورة المعارج وبعدها سورة الجن، أما ترتيبها من حيث النزول فهي نزلت بعد سورة النحل، ونزل بعدها سورة الطور، وهي من أواخر ما نزل بمكة حيث نزل بعدها اثنا عشر سورة [١].

٣- عدد آياتها ثلاثون آية وقيل إلا آية وقيل إلا آيتين فهي ثمان وعشرون آية عند الكوفيين، وتسع وعشرون عند البصريين والشاميين وثلاثون آية عند الباقين [٢]، أما عدد كلماتها فمئتان وأربع وعشرون، وحروفها تسعمائة وتسع وخمسون [٣].

المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه:

زمان ومكان نزول السورة: يقول ابن عطية رحمه الله: "السورة مكية بإجماع من المتأولين"[٤]، ويقول ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم" [٥]، وأما زمانها فهي من السور التي نزلت في أواخر العهد المكي حيث نزل بعدها اثنا عشر سورة [٦].

الجو الذي نزلت فيه سورة نوح:

إن الذي يتأمل آيات السورة يلمس المعاناة والجهد المرير المضني الذي يبذله أهل الحق، ويرى الإصرار والعناد يقف أمام هذه الدعوة بكل قواه، فهذه الفترة المكية كان إيذاء مشركي مكة

---

(١) ينظر: الكشاف، (٦١٥/٤)، تفسير المراغي، (٧٨/٢٩)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٩٢/١٥)، الإتقان في علوم القرآن، (٩٧/١).

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، (٢٣٨/١)، مجمع البيان، للطبرس، (١١٥/١٠)، التفسير الوسيط لطنطاوي، (١٠٩/١٥).

(٣) ينظر: في رحاب التفسير، (٧٤٤١/٢٩)، التفسير القرآني للقرآن، (١١٩٢/١٥).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣٧٢/٥).

(٥) زاد المسير في علم التفسير، (٣٤١/٤).

(٦) ينظر: الإتقان، (٩٧/١).

للنبي ﷺ وأتباعه قد بلغ ذروته من تهديد وتعذيب فقط لأنهم قالوا ربنا الله، فهذه السورة الكريمة جاءت لتُطمئن القلة المؤمنة ليكونوا على ثقة وثبات، ولا يغيرهم الكفر وانتفاشه، ولا يستعجلون قطف الثمار فبعد ألف سنة إلا خمسين عاماً من الدعوة والثقة بنصر الله في هذا الظلام والظلم المطبق، والعناد المستشري، والصد عن الحق المتأصل في النفوس [١].

المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس:

١- **فضائل السورة:** ذكر ابن عطية والزمخشري في تفسيرهما وكثير من المفسرين في فضلها حديث عن أبي بن كعب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح)** [٢]، ولكن لم أجد الحديث في السنن لكننا نستطيع القول أن من قرأ سورة نوح فله تسعمائة وتسع وخمسون حسنة بإذن الله، على عدد حروفها، لحديث النبي ﷺ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)**[٣].

٢- **محورها الرئيس:** دعوة نوح عليه السلام قومه، وما لاقاه من إصرار واستكبار وعناد وتنوع هذه الدعوة بالسر والجهر والليل والنهار لكنهم أبوا إلا الضلال والعصيان وتستمر الدعوة وأحداثها ما يقارب قرن من الزمن في جدال مع قومه وما آمن معه إلا القليل وتظهر الأساليب في الدعوة من ترهيب وترغيب هذا الترغيب الذي ظهر واضحاً عند دعوته لهم بالاستغفار حتى تنزل البركة من السماء وتزداد أموالهم وأولادهم وبساتينهم [٤]، فالسورة من أولها إلى آخرها تحكي دعوة نوح لقومه وما ردّوا به عليه ونجد في خاتمة السورة دعوته عليهم بالاستئصال **[وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا]** {نوح:٢٦} .

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة الكريمة:

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن، (٣٧٠٦/٦).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣٧٢/٥)، الكشاف، (٦٢٢/٤).

(٣) سنن الترمذي، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن، (٢٥/٥)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وقال عنه الألباني حديث حسن صحيح، (٢٦٣/٢).

(٤) ينظر: في رحاب التفسير، (٧٤٤١/٢٩)، التفسير المنير للزحيلي، (١٣٤/٢٩)، التفسير الوسيط لطنطاوي، (١٠٩/١٥).

اشتملت السورة على دعوة نوح ﷺ لقومه، وردهم عليه، واشتملت أيضاً على قضايا هامة، منها:

١- الترغيب والترهيب في أساليب الدعوة الهامة التي ينبغي على الدعاة الاهتمام بها.

٢- التأمل والتفكر في نعم الله تعالى فهذه السماء التي جعلها مدراراً، وهذه الأرض التي جعلها بساطاً، وهذه الأموال والبنين.

٣- التأمل والتفكر في خلق الإنسان والمراحل التي يمر بها من مرحلة تكوينه في بطن أمه إلى أن يصبح ذا عقل يفكر في هذه الأطوار والمراحل التي مر بها.

٤- تناولت السورة بعض ثمار الاستغفار والتي منها نزول البركات من السماء، والإمداد بالمال والبنين وسعة الرزق.

٥- ختمت السورة بدعاء نوح ﷺ على قومه بالهلاك والدمار بعد جهاد طويل مرير، وصبر جميل في دعوتهم فلم يزدهم ذلك إلا إصراراً وتمسكاً بعبادة الأصنام، فكان عقابهم شديد في الدنيا والآخرة.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

١- مناسبة السورة لما قبلها:

أ. لما ختمت السورة السابقة بتهديد وبإنذار الكفار بإبدالهم خيراً منهم، قال تعالى: [**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**] {المعارج: ٤٠-٤١} جاءت سورة نوح بأعظم عذاب في الدنيا والآخرة لمن كذب الرسل فكما صورت الصورة حالهم في الدنيا اغرقوا وفي الآخرة أدخلوا ناراً، قال تعالى: [**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا**] {نوح:٢٥} فكأنها وقعت موقع الاستدلال على القدرة لاستئصالهم

وإبدالهم بمن هو خير منهم [١].

ب. كذلك تتشابه سورة نوح وسابقتها في المطلع المشتمل على ذكر العذاب الذي وُعِد به الكفار، في سورة المعارج ذكر العذاب للكافرين بشكل عام وإن كان موجه لمن كفر بدعوة النبي الخاتم محمد ﷺ، وفي سورة نوح ذكر العذاب الموجه لقوم نوح [١].

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، (٢٨٠/١٠)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٤٢٣/٢٠)، تفسير المراغي، (٧٨/٢٩).

٢- **مناسبة السورة لما بعدها:** مناسبة سورة نوح بما بعدها وهي سورة "الجن" مناسبة واضحة تظهر في عدة مواضع:

أ. جاء في سورة نوح الدعوة إلى الاستغفار [**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ**] وجاء في سورة الجن صورة مشابهة لثمرة الاستغفار وهي [**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**] {الجنّ:١٦} (٢).

ب. ذكر في سورة نوح عاقبة الكافرين [**أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**] {نوح:٢٥} وفي سورة الجن [**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**] {الجنّ:٢٣} (٣).

ت. هناك مقابلة بين عالمين في السورتين الكريمتين، عالم الإنس وعالم الجن، ففي عالم الإنس (في سورة نوح) شراً كان حرياً أن يكون خيراً فقد مكث نوح قرابة قرن من الزمن ولم يؤمن إلا القليل لتغلغل الشر فيهم، وتوريث الكفر جيلاً بعد جيل، وفي سورة الجن تصوير لعالم الجن وإظهار جانب الخيرية فيه، والذي كان متوقعاً أن يكون شراً، ففي سورة الجن سورة للخير ينبت في منابت الشر، فمن عالم الجن العاصف بالشرور تظهر صورة جماعة مؤمنة آمنت بسماع القرآن من النبي ﷺ، ثم انقلبوا إلى أهلهم منذرين، فأصبحوا دعاة لهذا الدين، ويظهر هذا في مطلع سورة الجن عندما قالوا عن القرآن: [**يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**] {الجنّ:٢} (٤).

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي، (١٣٣/٢٩)، تفسير المراغي، (٧٨/٢٩).

(٢) ينظر: تفسير المراغي، (٩٢/٢٩)، التفسير المنير للزحيلي، (١٥٥/٢٩).

(٣) ينظر: تفسير المراغي، (٩٢/٢٩).

(٤) التفسير القرآني للقرآن، (١٢٠٨/١٥).

المبحث الثاني

بيان مقاصد السورة وأهدافها

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى التوحيد رسالة الأنبياء جميعاً .

المطلب الثاني: منهج نوح عليه السلام في دعوة قومه وموقفهم منه .

المطلب الثالث: ثمار الطاعة والاستغفار سعة الرزق، إكثار النسل ونعيم الجنة .

المطلب الرابع: الدليل العقلي على نعم الله وقدرته على البعث بعد الموت .

المطلب الخامس: مكر قوم نوح برسولهم .

المطلب السادس: دعوة نوح على قومه بالاستئصال والغرق .

المطلب السابع: الدعوة بالمغفرة للوالدين والمؤمنين والدعاء على الظالمين بالهلاك .

المطلب الأول: الدعوة إلى التوحيد رسالة الأنبياء جميعاً:

قال تعالى: [**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**] {نوح:١-٤}.

أولاً: التحليل اللغوي:

أرسلنا: أرسله في رسالة فهو "مُرسَل" و"رسول" والجمع "رُسْلٌ" و"رُسُل" بإسكان السين وضمها والإرسال قول في الأصل والمعنى قلنا لنوح أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم [١].

ويؤخركم إلى أجل مسمى: الأجل: مدة الشيء وغاية الوقت في الموت وحلول الدَّين ونحوه واستأجله فأجله إلى مدة والجمع آجال [٢].

أنذر قومك: ن ذ ر: الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف، والاسم: النُذُر بضمتين، ومنه قوله تعالى: [**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**] {القمر:١٦} بمعنى إنذاري، والنذير: المنذر، ويقع على كل شيء فيه إنذار [٣].

أن اعبدوا الله: عبد أصل العبودية الخضوع والتذلل، وتعبد الله العبد بالطاعة، أي استعبده، والعابد هو الخاضع لربه المستسلم والمنقاد لأمره [٤]. ويقول أبو البقاء الكفوي: "العبادة جميع ما ذكر في القرآن من العبادة فالمراد به التوحيد" [٥].

واتقوه: و ق ى: والتقوى بمعنى التقى، اتقى تقية وتقاء، والتقي هو المتقي، ويقال: ما أتقاه لله [٦]. والتقوى تجنب القبح خوفاً من الله، وأصلها الوقاية، والتقوى أيضاً التحرز بطاعة الله عن عقوبته، وصيانة النفس عما تستحق به العقوبة [٧].

ثانياً: التفسير الإجمالي:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٦٢٧/٢٣)، معاني القرآن للفراء، (١٨٧/٣)، مختار الصحاح، (١٢٢/١).
(٢) مختار الصحاح، (١٤/١)، لسان العرب، (١١/١١).
(٣) مختار الصحاح، (٣٠٨/١)، التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، (٣٢٣/١).
(٤) لسان العرب، (٢٧٤/٣).
(٥) الكليات، (٥٩٧/١).
(٦) مختار الصحاح، (٣٤٤/١).
(٧) التوقيف على مهمات التعاريف، (١٠٦/١).

[**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**] أرسلناه ليخوفهم عذاب الله وبأسه قبل أن يفاجئهم العذاب الأليم في الدنيا بإغراقهم بالطوفان، ويوم القيامة بالنيران، وبعد تكليف نوح عليه السلام بالمهمة [**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ**] ثم جاء الآيات توضح فحوى مضمون الرسالة التي أرسل بها نوح عليه السلام، وهي رسالة جميع الأنبياء لأقوامهم من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ إلا وهي [**أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**] عبادة الله وحده وطاعة الرسل الذي أرسلهم بالبينات والهدى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فقال لهم نوح اعبدوا الله وحده، واتقوه واحذروا عصيانه واتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه وأطيعوني فيما آمركم به وأنهاكم عنه [1] [2].

ثم توضح الآيات الأمور المترتبة على عبادة الله وحده وعلى التقوى وطاعة الرسل [**يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**] فهذه هي الثمرة وهي المغفرة للذنوب، والمد لهم في أعمارهم وفي هذه الآية تذكير بالمبادرة بالطاعة قبل حلول النقمة لأن أمر الله إذا جاء لا يؤخر، ولا يُرد عذابه عن القوم المجرمين [3]، وقوله تعالى: [**مِنْ ذُنُوبِكُمْ**] أي بعض الذنوب، وقيل المراد بالبعض ما لا يتعلق بحقوق العباد، وقيل يغفر لكم الذي استغفرتموه منها، وقيل بعض الذنوب التي وعدكم بالعقوبة عليها[4]، وذكر الزجاج أن "من" تختص الذنوب من سائر الأشياء ولم تدخل لتبعيض الذنوب [5].

القول الراجح والأقرب إلى الصواب أنها للتبعيض، لأنه لو قال ﷻ يغفر لكم ذنوبكم لعمَّ ذلك جميع ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة، والإسلام والإيمان بالرسل يجب ما قبله [6].

[**وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**] أن يمدُ في أعماركم إلى وقت معين عنده، ويبارك لكم فيها بأن يهيئ لكم الأعمال الصالحة، والحياة الطيبة، وهذا بمثابة وعدٌ من الله لمن أخلص له العبادة واتقاه وأطاع رسله أن يبارك لهم في أعمارهم وأوقاتهم [7].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٦٢٩/٢٣)، تفسير الماوردي، (٩٨/٦)، الوجيز للواحدي، (١١٣٥/١)، تفسير المراغي، (٧٩/٢٩).

(٢) ينظر: تفسير النسفي، (٥٤١/٣)، تفسير ابن كثير، (٢٣١/٨).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، (٢٣١/٨)، تفسير الطبري، (٦٣/٢٣).

(٤) تفسير أبي السعود، (٣٦/٩)، فتح القدير، (٣٥٦/٥)، تفسير الماوردي، (٩٩/٦)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، لطنطاوي، (١١٢/١٥).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٢٢٨/٥).

(٦) ينظر: تفسير ابن عطية، (٣٧٢/٥)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١١١/١٥)، التفسير المنير، للزحيلي، (١٣٦/٢٩).

(٧) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١١٢/١٥)، التفسير الواضح، (٧٥٣/٣).

الإعجاز البياني في الفاصلة:

جاء في الفاصلة القرآنية في قوله تعالى: [**يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**] {نوح:٤} تلخص للقارئ وتعلل ما جاء قبلها من معاني، فلو كان عند قوم نوح عليه السلام علم وفهم لعبدوا الله واتقوه، وأطاعوا رسوله، فلو أعملوا عقولهم بالفكر والتدبر لتيقنوا أن نوحاً مرسل من ربه، لكنهم حجروا على العقل ومنعوه من التفكير، وأحاطوا القلب بالاستكبار والإصرار على الكفر، فالفاصلة القرآنية المقصود بها بالدرجة الأولى هو المعنى وليس مراعاة الحروف لأنها قد تأتي مغايرة عن غيرها لأن المقصود هو المعنى [(١)].

ثالثاً: استنباط بعض الهدايات:

١- تظهر الآيات رحمة الله بعباده بإرسال الرسل لتذكيرهم وتخويفهم بعذاب الله وعقابه قبل أن يباغتهم العذاب.

٢- تبرز الآيات لطف نوح عليه السلام بقومه حيث ناداهم بأسلوب رقيق: يا قومِ تشعر بالشفقة التي كانت عند نوح عليه السلام والحرص على قومه من الوقوع في العذاب الأليم، فما أحوج الدعاة اليوم إلى التمسك بهذه الصفة مع الناس عند دعوتهم.

٣- تبين الآيات ثلاث أمور مهمة هي العبادة والتقوى والطاعة، فكثير من الناس من يعبد الله، ولكن هل كل من عبد الله متمسك بالتقوى؟ وهل من يعبد الله ويتقيه متمسك بالطاعة الكاملة لله ورسوله؟ إنها ثلاث قواعد مترابطة إذا قمنا بها حصلنا على مغفرة لذنوبنا وسعة في أرزاقنا وبركة في آجالنا.

٤- ينبه مطلع السورة بأن الأمر عظيم وخطير، فكلمة (أرسلنا) ترى فيها العظمة والقوة، فالإرسال من الله تعالى، وقوله تعالى: [**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ**] {نوح:٢} تأكيد آخر على هذا الإرسال، وكذلك أفعال الأمر: اعبدوا – اتقوا – أطيعون تظهر أن الأمر خطير وجسيم.

٥- تبين الآيات أن الله يمد أجل الإنسان دليل على زيادة العمر، إما زيادة حقيقية أو بمعنى أن الله يبارك لهذا الإنسان في عمره، قال تعالى: [**يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**] {نوح:٤} ، وفي الحديث الشريف عن أنس رضي الله عنه

---

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، (٢٢٣/١٠)، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، لفضل السامرائي، (٥٣٨/١).

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه)** [1].

مسألة: قوله تعالى: **[وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ]** {نوح:٤} يقول ابن بطال رحمه الله: "يريد أجلاً قد قضى به لكم إن أطعتم يؤخركم إليه؛ لأن أجل الله إذا جاء في حال معصيتكم لا يؤخر عنكم، وهذا كله من المكتوب في بطن أمه، أي الأجلين استحق لا يؤخر عنه" [2]، ويؤيد ذلك قوله تعالى: **[يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ]** {الرعد:٣٩} .

المطلب الثاني: منهج نوح عليه السلام في دعوة قومه وموقفهم منه:

قال تعالى: **[قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا]** {نوح:٥-٩}.

أولاً: التحليل اللغوي:

فراراً: فرَّ يفر فراراً بمعنى هرَب، ورجلٌ فرٌّ أي فارٌّ وتقال للاثنين والجمع، والفر والفرار: الروغان والهرب [3].

إصراراً: أصر على الشيء أقام عليه ودام وثبت عليه، وأصر على الأمر أي عزم وجد ومضى فيه ولا يرجع، وأكثر مما يستعمل في الشر والذنوب، يعني من اتبع الذنب الاستغفار فليس بمُصِر عليه وأن تكرر منه [4].

إسراراً: أسر الشي كتمه وأخفاه، وأعلنه وهو من الأضداد سررته كتمته وأعلنته وأسر إليه حديثاً أي أفضى إليه به، والسر يطلق على النكاح لأنه يكتم ويطلق أيضاً على الزنا، وسارّه في أذنه مسارةً وسراراً وتساوراً أي تناجوا [5].

واستكبروا استكباراً: التكبر والاستكبار: التعظم، واستكبار الكفار هو بمعنى أن لا يقولوا لا إله إلا الله، ومنه قوله تعالى: **[إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ]** {الصَّفات:٣٥}،

---

(١) صحيح البخاري، باب من أحب البسط في الرزق، (٥٦/٣)، وصحيح مسلم، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، (١٠٨٢/٤).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (٢٠٧/٦).

(٣) ينظر: مختار الصحاح، (٢٣٦/١)، القاموس المحيط، (٤٥٥/١).

(٤) مختار الصحاح، (١٧٥/١)، لسان العرب، (٤٥٣/٤).

(٥) ينظر: مختار الصحاح، (١٤٦/١)، لسان العرب، (٣٨٥/٤).

والاستكبار أيضاً: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً، وهذا ما دعاهم إليه نوح عليه السلام أن يقولوا لا إله إلا الله فاستكبروا استكباراً [1].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

هذه الآيات توضح بعض أساليب الدعوة التي سلكها نوح عليه السلام لينذر قومه وهذه الآيات منسجمة مع سابقتها التي جاء فيها [**أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ**] {نوح:١} وكان هذه الآيات إجابة عن سؤال كيف دعا نوح قومه بعد أن كلفه الله به، فقال عليه السلام إني لم أترك دعوتهم ليلاً أو نهاراً، ولكن قومه قابلوا هذه الدعوة بالإصرار على ما هم عليه من الكفر والاستكبار [2].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن بلَّغ نوح عليه السلام ما أمره الله به وهو عبادة الله وحده وأطاعه رسله وتحذيرهم من بأس الله وعذابه، وكان ردّهم الأدبار والهرب والإعراض عن تلك الدعوة [3]،[**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا**] وكان من فرارهم عن الحق أن يحذر الرجل ابنه من دعوة نوح ويقول لابنه لقد حذرني أبي كما أحذرك، فلا عجب أن يمكث فيهم هذا الزمن الطويل ولم يؤمن إلا القليل [4].

[**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**] رغم حرص نوح عليه السلام على هدايتهم وإيمانهم لكي يغفر الله لهم، إلا أنهم من شدة عنادهم كانوا يغلقون آذانهم حتى لا يسمعوا كلام نوح عليه السلام حتى ييأس منهم ويترك دعوتهم، بل زادوا في الإعراض بأن غطوا رؤوسهم وتنكروا وأصروا وتعمدوا الكفر وأقاموا عليه، وكذّبوا نوح عليه السلام وتركوا التوبة، ودعوة توحيد الله [5].

ومع هذا الإصرار منهم لم يترك نوح عليه السلام دعوتهم ونجد أنه عليه السلام بدأ بدعوتهم بالأهون وهي المناصحة بالسر، فلما رفضوا ثنى بالمجاهرة فلما أبوا إلا الكفر ثلَّث بالجمع بين الإسرار والإعلان [6]،[**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا**] فتارةً يدعوهم

---

(١) لسان العرب، (١٢٨/٥).

(٢) ينظر: في رحاب التفسير، (٧٤٤٣/٢٩).

(٣) ينظر: التفسير الطبري، (٦٣١/٢٣).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، (٦٣٢/٢٣)، تفسير الماوردي، (١٠٠/٦).

(٥) ينظر: تفسير الماوردي، (١٠٠/٦)، تفسير الرازي، (٦٥١/٣٠)، تفسير أبي السعود، (٣٧/٩).

(٦) ينظر: الكشاف، (٦١٦/٤)، الدر المصون، (٤٦٩/١٠)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١١٦/١٥).

بصوت عالٍ، وأخرى يدعوهم بينه وبينهم، ومع تنوع الأساليب واستمرارها إلا أنهم أبوا إلى الاستمرار في الكفر والمعاندة [١].

رابعاً: وجوه البلاغة:

١- الطباق بين ليلاً ونهاراً، وبين جهاراً وإسراراً [٢].

٢- قوله تعالى: [**جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ**] المراد رؤوس الأصابع وليس الأصبع فقد أطلق الكل وهو الأصبع وأراد الجزء وهو طرف الأصبع، فهذا مجاز مرسل علاقته بعضية حيث ذكر الكل وأراد البعض، وهذا فيه مبالغة في إرادة سد المسامع بحيث لو استطاعوا إدخال الأصابع كلها لفعلوا [٣].

٣- **واستغشوا ثيابهم:** "السين والتاء" في استغشوا للمبالغة في إعراضهم عما دعاهم إليه، ويجوز أن يكون الأمر من جعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب على حقيقته بأن تكون من عادات قوم نوح فعل ذلك لإظهار الكراهية والبغض الشديد لمن لا يرضون كلامه ويجوز أن يكون تمثيلاً وكناية على شدة الكراهية والإعراض عمن لا يريدون قبُول دعوته [٤].

٤- قوله تعالى: [**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا**] {نوح:٨} حرف العطف "ثم" يفيد التراخي، وتكرير الدعوة للبيان والتوكيد حيث أفادت "ثم" أن الدعوة السابقة كانت للإسرار، ولا يخفى التفاوت بين الجهر والإسرار السابق، وأفادت "ثم" الثانية في قوله تعالى: [**ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا**] {نوح:٩} أن الجمع بين الإعلان والإسرار أغلظ من إفراد كلٍ منهما [٥].

٥- التعبير القرآني باستخدام المصادر (استكباراً وإسراراً) وهذه المصادر للتأكيد، حيث تؤكد استكبار قوم نوح عليه السلام عن دعوة نبيهم، وتمسكهم بعبادة الأصنام، كما يؤكد المصدر إسراراً استمرار دعوة نوح عليه السلام لقومه وعدم تركه لدعوتهم [٦].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، (٢٣٢/٨)، الدر المنثور، (٢٩٠/٨)، تفسير السعدي، (٨٨٨/١).

(٢) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (١٣٩/٢٩).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، (١١٤/١٥)، التفسير المنير، للزحيلي، (١٣٩/٢٩)، التحرير والتنوير، (١٩٥/٢٩).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، (١٩٦/٢٩).

(٥) ينظر: الكشاف، (٦١٦/٤)، إعراب القرآن وبيانه، (٢٢٤/١٠).

(٦) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (١٣٩/٢٩).

خامساً: استنباط بعض الهدايات من الآيات:

١- تظهر الآيات صبر الداعية إلى الله، وعدم الاهتمام للنتائج وعدم اليأس رغم كثرة الظلم والطغيان، فالداعية عليه النصح والإرشاد والتبليغ بالتي هي أحسن والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٢- الآيات تبرز أن الداعية إلى الله عليه أن يتمتع بالذكاء، والتجديد في دعوته، واستحداث أساليب جديدة ومتنوعة، فدعوة نوح عليه السلام لقومه ليلاً ونهاراً في السر وفي المحافل والمجالس، كلها أساليب متنوعة، فلا يظل الداعية يدعوا على وتيرةٍ واحدة، وطريقة لا يغيرها.

٣- توضح الآيات أن قلب الداعية إلى الله لا يعرف إلا الحب والرحمة بالمدعوين مهما صدر منهم من عداوة وبغض، فعلى الداعية أن يقابل هذا البغض وتلك الكراهية بكلمات من المحبة واللطف فلقد كان قوم نوح يغطوا وجوههم بالثياب ويغلقوا آذانهم حتى لا يسمعوا كلام نوح عليه السلام لشدة كراهيتهم وبغضهم له، ومع هذا لم يترك دعوتهم وذلك حرصاً عليهم وشفقة بهم.

٤- ترشد الآيات الكريمة إلى أهمية العقل وكيفية استخدامه فلماذا كان يغلق قوم نوح آذانهم؟ لماذا كانوا يغطوا وجوههم ولا يريدون حتى رؤية نوح عليه السلام؟ كل ذلك لأنهم أهملوا عقولهم وأقفلوا على أبواب العقل ومنافذه من سمعٍ وبصر فهذه التي تدخل المعلومات إلى العقل ليحللها، وينظر صحيحها من سقيمها لكنهم استخدموا الهوى بدلاً من العقل، وهذا قمة الضلال والجهل.

٥- توضح الآيات أهمية التدرج في الدعوة فيبدأ الداعية بالأهون والأسهل، ثم الترقي في الأشد فالأشد، وهذا مطلوب من كل داعية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حيث بدأ نوح عليه السلام بالمناصحة سراً، ثم بالمجاهرة، ثم بالجمع بين الطريقتين، فالدعوة جهراً أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما [١].

٦- تظهر الآيات أن قوم نوح عليه السلام عطلوا وسائل الإدراك عمداً، وأغلقوها ولم ينتفعوا بدعوة الحق فكان ذلك سبباً في هلاكهم، والأمة اليوم يجب عليها أن تسمع للعلماء والدعاة، وإن لم تسمع لهم ولنصحهم فسيكون ذلك سبباً في هلاكهم وتفرقهم شيعاً وأحزاباً ما أنزل الله بها من سلطان، فالدمار والهلاك نتيجة لعدم الإصغاء للحق وأهله.

المطلب الثالث:من ثمار الطاعة والاستغفار سعة الرزق، إكثار النسل ونعيم الجنة:

---

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، (٢٢٤/١٠).

قال تعالى: **[فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا]** {نوح:١٠-١٤}.

أولاً: التحليل اللغوي:

مدراراً: يقال سماء مدرار أي تُدرُّ إذا كثر مطرها، ويقال سحابه مدرار والدُّرة في الأمطار: أن يتبع بعضها بعضاً

والدَّرُ: اللبن، يقال "دَرَّ" الضرع يُدِر بالضم دروراً، والدِّرَّةُ كثرة اللبن وسيلانه وأدرت اناقة فهي مُدرٌّ، ويقال في الذم: لا دَرَّ دَرُّه أي لا كثر خيره، ويقال في المدح: لله دَره من رجل [(١)].

قوله تعالى: **[مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا] وقاراً:** وقر الرجل أي بجله، والتوقير: التعظيم والترزين والمعنى ما لكم لا تخافون لله عظمة ولا تعظمونه حق عظمته [(٢)].

أطواراً: حالاً بعد حال، نطفةً، ثم علقة، ثم مضغةً ثم عظماً، وما يحصل في كل طور من أحوال مختلفة، كقول النابغة [(٣)]، فإن آفاق لقد طالت عمايته والمرء يخلق طوراً بعد أطواراً [(٤)].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد مناجاة نوح ربه بأنه دعا قومه ليلاً ونهاراً بالسر تارة والعلانية أخرى وكلما دعاهم زاد نفورهم وإعراضهم وبالغو في البغض والكراهية لرسولهم فاستغشوا ثيابهم حتى لكأنهم أرادوا من الثياب أن تلفهم بداخلها حتى لا يرونه إطلاقاً، وجاءت هذه الآيات ترغبهم بأشياء يحبونها وهي الأموال والبنين لعلهم يستغفروا ويتوبوا ويعظموا الله الذي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، هذه الأطوار التي تحيطها عناية الله ورحمته، لماذا يمتنعون عن تعظيم الله ويفرون من قول لا إله إلا الله؟! [(٥)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

---

(١) مختار الصحاح، (١٠٣/١)، لسان العرب، (٢٧٩/٤).

(٢) ينظر: لسان العرب، (٣٩١/٥)، تفسير الطبري، (٦٣٤/٢٣).

(٣) هو النابغة الذبياني أحد شعراء المعلقات واسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب، وعندما سئل عمر ﷺ من أشعر الناس، قال: النابغة وشعره متميز في الاعتذار حتى قالوا خير من قال الشعر إذا رهب، شعراء النصرانية، (٦٤٠/٥).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء، (١٨٨/٣)، تفسير الطبري، (٦٣٥/٢٣)، تفسير غريب القرآني الكواري، (١٤/٧١).

(٥) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١١٥/١٥).

[**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**] قال لهم ناصحاً مرشداً همه هدايتهم حتى يغفر الله لهم، فطلب منهم أن يتوبوا ويقلعوا عن كفرهم ومسوقهم، فإن الله ﷻ غفاراً لمن يستغفر ويتوب ورغبهم بنتيجة هي الاستغفار وتلك التوبة بأن يرسل الله عليهم المطر المتتابع التي تنفعهم في شئون حياتهم فهذا وعدٌ بخير الآخرة وهو المغفرة، وخير الدنيا وهي المطر المتتابع النافع لأرضهم ومزارعهم [١].

[**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**] وليس الوعد مقتصر على الأمطار، بل وزيادة الأولاد والنسل أيضاً، وكذلك بساتين عامرة، وأنها جارية يكثر حولها الخصب والزرع بمختلف أشكاله [٢].

[**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**] ما وجه لهم نوحٌ عليه السلام قوله مالكم لا تخافون عظمة الله ولا تعظمونه وقد خلقكم على أحوال ومراحل مختلفة فكنتم نطفة في الأرحام ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسا العظام لحماً، إن هذه الأطوار إذا قابلها العقل بالتدبر والفكر فسوف ينطق اللسان تبارك الله أحسن الخالقين [٣]، فيا عجباً لأمرهم وشدة عنادهم وبعدهم عن الحق، فلوا فكروا لحظةً في هذه الأطوار لرأوا ولعلموا عظمة الله وقدرته ورحمته.

رابعاً: أوجه البلاغة:

١- قوله تعالى: [**إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**] أفاد ثبوت الصفة لله بذكر فعل "كان" كما أفاد كمال غفرانه لصيغة المبالغة "غفاراً" [٤].

٢- قوله تعالى: [**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**] الإرسال مستعار للإيصال والإعطاء، وتعديته بـ "عليكم" لأنه إيصال من علو، وفيه مجاز مرسل علاقته المحلية حيث أراد بالسماء المطر لأنه ينزل منها [٥]، والعرب تقول للمطر سماء، يقول جرير:

إذا نزل السماء بأرض قومٍ رعيناه وإن كانوا غضابا [١]

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، (١٩٨/٢٩)، التفسير الوسيط لطنطاوي، (١١٦/١٥).

(٢) ينظر: تفسير المراغي، (٨٤/٢٩).

(٣) ينظر: تفسير المراغي، (٨٤/٢٩).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، (١٩٧/٢٩).

(٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، (٢٢٩/١٠)، علوم البلاغة (البيان – المعاني – البديع)، لأحمد مصطفى المراغي، (٢٥٦/١).

٣- التعبير القرآني باستخدام المصادر (استكباراً، إسراراً، إخراجاً) هذه المصادر للتأكيد [٢].

٤- قوله تعالى: [**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**]، استفهام القصد منه توبيخهم والتعجب من حالهم وإنكار ما هم عليه من استهزاء واستخفاف بما يدعوهم إليه نوح عليه السلام، وفيه لفتة لطيفة أن القوم كانوا يبالغون بالاستهزاء برسول الله نوح عليه السلام لأن من يوقر ويحترم رسل الله فإن ذلك فيه طاعة لله، ومن يستهزئ برسله فهذا عصيان وكفر [٣].

خامساً: استنباط بعض الهدايات من الآيات:

١- تبرز الآيات وتظهر أهمية ثمرة الاستغفار، فهذه السماء تصبح مدراراً وهذا المدد بالأموال والأولاد، وهذه الجنات والأنهار، فلو قلنا نعيم الدنيا كله في الاستغفار لم نكن مبالغين في هذه العبارة، ولنا أسوة حسنة في رسولنا الحبيب الذي كان يستغفر الله ويتوب إليه أكثر من سبعين مرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)** [٤]، فما أحوج الأمة اليوم إلى الاستغفار لكي تنزل علينا بركات من السماء، وتخرج لنا بركات من الأرض، ونزداد قوة إلى قوتنا، فيتغير حال الأمة إلى الأفضل، قال تعالى: [**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**] {هود:٥٢} إن حاجتنا إلى الاستغفار يجب أن نكون أكثر من حاجتنا إلى الأموال والبنين والبساتين، والأحاديث في الاستغفار وفضله وثمرته لا يمكن استقصاؤها لكثرتها وانتشارها في كتب السنن، ولكن حديث سيد الاستغفار يَشُدّ الانتباه لما له من علاقة بينه وبين قصة نوح عليه السلام مع قومه، عن شداد بن أوس، عن النبي ﷺ قال: **(سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت،**

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لأبي الفتح العباسي، (٢/٢٦٠).

(٢) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٢٩/١٣٩).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٥/١١٨)، إعراب القرآن وبيانه، (١٠/٢٣٠).

(٤) صحيح البخاري باب استغفار النبي ﷺ، (٨/٦٧).

أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا انت) [1]. فهذا الحديث بدأ بما دعا نوح عليه السلام قومه وهو قول "لا إله إلا الله" وختم بطلب المغفرة، وبين بداية الحديث ونهايته اعتراف بنعمة الله واعتراف بالذنوب، كل هذه الأمور كان يقابلها قوم نوح بصورة معكوسة عما في الحديث، فرفضوا قول كلمة التوحيد، واصروا واستكبروا عن الاستغفار.

٢- توضح الآيات وتنبه على شكر المنعم، فالخالق بقدرته المطلقة ورحمته الواسعة لهذا الإنسان في مراحل خلقه كلها المحفوفة بالعناية التامة بداية من طور النطفة وحتى الولادة وما بعدها، ألا تحتاج إلى شكر الله؟! أن من يسدى إليك شيئاً تشكره عليه، لماذا تُغلق الأعين، وتغفل القلوب عن التفكر في هذه الأطوار وهذه المراحل من حياة الإنسان.

٣- من القضايا المهمة التي تلفت الآيات النظر إليها أن الاشتغال بطاعة الله سبب يوجب زيادة البركة والنماء وفتح أبواب الخيرات المتنوعة من أمطار وثمار وزيادة في الأموال والأولاد، فتكون بركات السماء والأرض لأهل الطاعة والإيمان ألم يقل ﷻ: **[وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ]** {الأعراف:٩٦}، فالقضية واضحة إيمان بالله ورسله ثماره بركات تنزل من السماء وتخرج من الأرض، أما الاستكبار والكفر فعاقبته العذاب في الدنيا والآخرة، وهذه القضية صورتها لنا سورة "نوح" بوضوح تام، وقد رأينا القلة المؤمنة تنجوا، ورأينا الطوفان يغرق ويهلك الظالمين لأنفسهم بالكفر.

---

(١) صحيح البخاري، باب أفضل الاستغفار، وتكملة الحديث قال: (ومن قالها من النار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة، (٦٧/٨).

المطلب الرابع: الدليل العقلي على نعم الله وقدرته على البعث بعد الموت:

قال تعالى: [**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا**] {نوح:١٥-٢٠}.

أولاً: التحليل اللغوي:

طباقاً: طبقه فوق طبقه أو طبق فوق طبق، والطبق الغطاء، ويقال طابق الغطاء الإناء وانطبق عليه وتطبق، ومن المجاز مطر طبق الأرض، وجراء طبق البلاد، بمعنى عظاها وحللها بكثرته والسماوات طباق، أي بعضها فوق بعض، والطبق أصله شيء على مقدر شيء مطبق عليه من جميع جوانبه كالغطاء له(١).

والله أنبتكم من الأرض نباتاً: نبت، أنبته الله فهو منبوت وكل ما أنبت الله في الأرض فهو نَبْتٌ وجاء المصدر "نباتاً" على غير وزن الفعل "أنبت إنباتاً"، وله نظائر في اللغة (٢).

سبلاً فجاجاً: الفَج الطريق الواسع بين الجبلين والجمع فِجاج وأفجَّة، وهو أوسع من الشِعب أو هو الشِعب الواسع بين الجبلين، وقيل الفج ما انخفض من الطريق، وسبلاً: السبيل الطريق وما وضح منه، والمعنى طرقاً واضحة واسعة (٣).

خلق: الخلق والخليقة واحد، والجمع خلائق، والخالق: الصانع (٤)، والخلق في كلام العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يُسبق إليه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدؤه على غير مثال سُبق إليه، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله ﷻ، وخلق الله الشيء يخلقه خلقاً بمعنى أحدثه بعد أن لم يكن، وأصل الخلق التقدير، فكل شيء خلقه الله فهو وفق تقديره، قال تعالى: [**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ**] {المؤمنون:١٤} (٥).

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

---

(١) ينظر: أساس البلاغة، للزمخشري، (٥٩٤/١)، مختار الصحاح، (١٨٨/١)، التوقيف على مهمات التعاريف، (٢٣٥/١).

(٢) ينظر: لسان العرب، (٩٦/٢)، مختار الصحاح، (٣٠٣/١).

(٣) ينظر: لسان العرب، (٣٣٨/٢)، كتاب العين، (٢٤/٦).

(٤) كتاب العين، للفراهيدي، (١٥١/٤).

(٥) لسان العرب، (٨٥/١٠).

ذكرت الآيات السابقة أن نوحاً دعا قومه للاستغفار، وذكرت الآيات ثمرات الاستغفار فجاءت هذه الآيات كدليل عقلي على قدرة الله المطلقة التي تتجلى للناظر في خلق السموات والأرض والشمس والقمر، والتي تنبه العقل إلى قضية خلق الإنسان وموته ثم إخراجه وبعثه فالذي يرسل السماء مدراراً في الآيات السابقة هو الذي خلقها كما ذكرت هذه الآيات.

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

[**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا**] هذه الآيات دعوة للتأمل والنظر بالعقل والقلب، في هذه الأشياء التي تراها بصورة مستمرة فقد تابع نوح ﷺ مخاطبة قومه محتجاً عليهم بحجج الله في وحدانيته وقدرته ألا ترون هذه السموات بعضها فوق بعض فتعتبروا وتتعظوا وتنتهوا عما أنتم عليه من كُفْر وعناد، ألا ترون هذا القمر وتلك الشمس قمراً فيه نورٌ لأهل الأرض، وشمس هي كالمصباح كذلك وقيل أن ضياء القمر والشمس لأهل الأرض وأهل السماء [(١)].

[**وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا**] والإنبات من الأرض استعارة من حيث أخذ آدم ﷺ أبو البشرية من الأرض ثم صارح الجميع نباتاً منه، والإعادة يعني الدفن بعد الموت في القبور والإخراج هي البعث يوم القيامة للحساب والتأكيد بالمصدر "إخراجاً" كأنه قال: يخرجكم حقاً ولا محالة [(٢)].

ثم تابع نوح لفت أنظارهم إلى نعمة الأرض التي يعيشون فوقها، [**وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا**] فالأرض كالفراش المبسوط تتقلبون عليها كما تتقلبون على بُسطكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيا أين شئتم من أقطارها ونواحيها [(٣)].

رابعاً: أوجه البلاغة:

قوله تعالى: [**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ**] الاستفهام للتقرير والرؤية بصرية وعلمية بمعنى أنهم يشاهدون هذه المخلوقات ويعلمون أنه هو الخالق لهذه الأشياء[(٤)]، يقول تعالى: [**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**] {لقمان:٢٥}، وقوله تعالى: [**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ**

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٦٣٦/٢٣)، تفسير الماوردي، (١٠٢/٦)، في رحاب التفسير، (٧٤٤٥/٢٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية، (٣٧٥/٥)، الكشاف، (٦١٨/٤)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٢٠/١٥)، تفسير المراغي، (٨٥/٢٩).

(٣) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (٣٥٨/٥)، تفسير المراغي، (٨٦/٢٩).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١١٩/١٥).

مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ] {الزُّخرف:٩}، وقوله تعالى: **[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ]** {الزُّخرف:٨٧}.

قوله تعالى: **[وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ]** استعارة حيث استعير بالإنبات للإنشاء للمشابهة بين إنبات النبات وإنشاء الإنسان حيث أن كل من الإنسان والنبات تدلان على قدرته وحكمته، فالإنسان يموت ثم يبعث إلى حياة جديدة، وكذلك النبات يحصد ثم يعود إلى الحياة مرة أخرى بعد زراعة بذوره من جديد [١].

قوله تعالى: **[وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا]** ولم يقل: أنبتكم إنباتاً، وهذه دلالة واضحة على التغاير في كيفية التكاثر بين الإنسان والنبات، وإن تشابهت في بعض المراحل من حيث القوة والضعف، فالنبات يبدأ ضعيفاً ثم ينمو بقوة ثم يكون في نهايته ضعيفاً، وهذه تشبه مراحل الإنسان، قال تعالى: **[اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ]** {الرُّوم:٥٤} [٢].

قوله تعالى: **[وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا]** الأرض بساطاً تشبيه بليغ بمعنى الأرض كالبساط مذللة سهلة فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، وهذا أبلغ من قوله الأرض كالبساط [٣].

خامساً: استنباط بعض المقاصد والهدايات من الآيات:

١- تظهر الآيات بوضوح أهمية العقل فهذه الآيات توجه العقل ليتفكر وترشد العقل ليتدبر، والعينين لتنظر، وتنبه الجوارح كلها لتخرج بعبارة أولو الألباب، وهي قوله تعالى: **[رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]** {آل عمران:١٩١}.

٢- تبرز الآيات الإعجاز في خلق الكون، وترشد إلى البحث في أسرارها فهذه سبع سماوات طباقاً، القمر نور والشمس سراج، لماذا عبر بكلمة نور للقمر، وسراج للشمس، فهذا إشارة إلى أن ضوء القمر ليس من ذاته فهو جسم مظلم وإنما يستضيء بانعكاس أشعة الشمس عليه، والشمس جسم ملتهب أنوارها ذاتية تضيء الأرض والقمر[٤]، وهكذا ما كشفه العلم حقيقة، فعلينا أن نغوص في أعماق الظواهر والمخلوقات لكشف أسرارها والاستفادة منها وللأسف هذا ما يفعله أعداؤنا فيتقدمون ونتأخر، وتتبصرون ونتقهقر.

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٢٠/١٥).

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، (٢٢٩/١٠).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٢١/١٥).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٢٠/١٥).

٣- تظهر الآيات مشهد عظيم وصورة رائعة في كيفية الخلق [**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ**] لوحة فنية ذات ألون بهيجة ملونة بلون النبات بجميع ألوانه وأزهاره، ولوحةٌ أخرى مقابلة لهذه اللوحة الأولى ليكتمل المشهد [**ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا**] لوحة رمادية الألوان يحيطها الغموض والظلام، ولوحة ثالثة [**وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا**] لوحة ألوانها مزدوجة ومتقابلة إما جنة وإما نار، فهذه اللوحات الثلاثة لا بد من رؤيتها والمرور من أمامها، أنها لوحات تشد العقل والقلب إلى خالقه بلحظة تأمل وتدبر.

المطلب الخامس: مكر قوم نوح برسولهم عليه السلام:

قال تعالى: [**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا**] {نوح:٢١-٢٤}.

أولاً: التحليل اللغوي:

مكراً كباراً: كبيراً والعرب تحول لفظ كبير إلى كبَّار ليكون أشد مثل جُمَّال وجميل فالمثقل بالتشديد أشد مبالغة، ويقال: رجل كبير وكُبار وكُبَّارٌ [(١)].

والمكر: احتيال في خفية وخديعة، ورجل مكار ومَكُورٌ وماكر وأصل المكر الخداع [(٢)]، والمكر إعمال الخديعة والحيلة، فالمكر هو الخديعة، وهو احتيال في خفية وخديعة، ورجل مكار ومكور وماكر. وأصل المكر الخداع، وهو إيصال المكروه والضرر إلى إنسان وهو لا يدري [(٣)].

عصوني: العصيان: خلاف الطاعة، عصاه يعصيه عصياً ومعصية، وعصى العبد ربه: إذا خالف أمره ولم يطعه فهو عاصٍ وعَصَيٌّ ويقال للجماعة إذا خرجت عن طاعة السلطان: قد استعصت عليه [(٤)]، والعصيان مخالفة الأمر قصداً [(٥)].

الظالمين: الظلم لغة: وضع الشيء في غير موضعه، يقال: ظلم الشعر إذا ابيض في غير أوانه. **والظلم اصطلاحاً:** التعدي على الحق إلى الباطل، وهو الجور [(٦)].

---

(١) ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة، (٢٧١/٢)، معاني القرآن للفراء، (١٨٩/٣)، لسان العرب، (١٢٩/٥).
(٢) ينظر: لسان العرب، (١٨٣/٥).
(٣) التعريفات، للجرجاني، (٢٢٧/١).
(٤) ينظر: القاموس المحيط، (١٣١٢/١)، لسان العرب، (٦٧/١٥).
(٥) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لزكريا بن محمد الأنصاري، (٧٧/١).
(٦) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، (٧٣/١).

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن سلك نوح مع قومه مسالك متعددة لإقناعهم بصدق ما يدعوهم إليه وحثهم على الطاعة، والإيمان بالله، لقد دعاهم سراً وعلانية بالليل والنهار لم يترد دعوتهم لحظة وهو مشفق عليهم وناصح لهم، ورغبهم بخيري الدنيا والآخرة، وذكرهم بخلقهم وخلق ما يرون من شمس وقمر وسماوات وذكرهم بعودتهم من الأرض التي أنشأ الله آدم منها، وأنهم فيها سيقبرون، كل هذه المحاولات بشتى الأساليب الحكيمة والتوجيهات السليمة ملفوفة بصبر طويل جميل وقلب ناصح لهم، بعد كل هذا [**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ...**] جاءت الآيات تُبين مكر قومه واتباع الطريق التي توصلهم إلى الخسارة في الدنيا والآخرة، بإصرارهم على عبادة الأوثان، وسلوك طريق الشيطان [1].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

[**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا**] لقد توجه نوح ﷺ بالشكوى لربه على ما لاقاه من قومه بعد هذا الجهد وتلك الحقبة الطويلة لقد قابلوا دعوته بالإعراض الشديد، بل واتبعوا الطريق المعاكس لدعوته تماماً، واستمروا وأصروا على عصيانه وعدم طاعته وأطاعوا رؤساءهم، وأهل الثروة الذين لم يزدهم المال والولد إلا ضلالاً في الدنيا، وعذاباً في الآخرة وذلك هو الخسران المبين، فبدلاً من استخدام نعمة الله في طاعته استعملوها في معصيته بل وفي الصدِّ عن سبيله [2]، ثم استطرد نوح ﷺ في أعمال قومه القبيحة من مكر، والاتفاق فيما بينهم على عدم ترك الأصنام.

[**وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آَلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا**] ومكر مكراً حيث تمثل ذلك في احتيالهم وكيدهم لنوح، والتدبير في خفاء لإنزال السوء والأذى به، وتحريض الناس وصدهم عن دعوة نوح بشتى الوسائل لديهم، وهذا المكر ليس كيداً فحسب بل درجة فوق الكيد، قال تعالى: [**وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ**] {إبراهيم:٤٦}، وهذا يدل على شدة كفرهم وجحودهم، وتمسكهم وإصرارهم على الاستمرار على عبادة الأصنام وداً وسواعاً ويعوق ونسرا كل قبيلة لها صنم تعبُده وتقدسه، وكانت هذه الأسماء لرجال صالحين من قوم نوح وبعد موتهم زين الشيطان لقوم نوح أن انصبوا في مجالسكم انصاباً لهؤلاء الصالحين وسموها بأسمائهم وبعد أن

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٢١/١٥).

(٢) ينظر: فتح القدير، (٣٥٩/٥)، التفسير القرآني للقرآن، (١٢٠١/١٥)، الكشاف، (٦١٩/٤)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٢٢/١٥).

توالت الأجيال عبدت هذه الأنصاب وقد ضل بسبب هذه الأصنام وهؤلاء الرؤساء كثير من الناس الذين عبدوا هذه الأصنام قروناً.

ثم دعا نوح ربه قائلاً [**وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا**] لأنه رأى أنه لم يبق محل لنجاحهم ولا لصلاحهم فهم مصممون على الكفر ووقع اليأس من إيمانهم وأخبره ﷻ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن [1].

رابعاً: أوجه البلاغة:

١- قوله تعالى: [**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**] ذكر في الآية الآلهة بصورة عامة ثم أخذ يذكر أسماء تلك الآلهة وهذا من باب ذكر الخاص بعد العام[2].

٢- قوله تعالى: [**مَكْرًا كُبَّارًا**] مبالغة في شدة المكر فهو مكرٌ كبير جداً لا تحيط بحجمه العبارة، فهو مكر عظيم تكاد تزول من شدته الجبال[3].

خامساً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من الآيات:

١- تبرز الآيات أهمية المال والولد كما تبين الكيفية في إنفاقها وتوجيهها، فهذه النعم عبارة عن أمانة استأمنك الله عليها، فاحفظها وسخرها في طاعته وما يرضيه، والعجيب الذي لا يقبله العقل، استخدام نعم الله في ما يغضبه، وتسخير المال والولد في الصدّ عن سبيل الله وإيذاء المؤمنين، وهذا قمة الجهل والضلال.

٢- توضح الآيات أن قوم نوح تمسكوا بعبادة الأصنام عناداً وكرهاً لنوح عليه السلام ودعوته وكانوا يشجعون بعضهم بعضاً على عدم ترك الآلهة وعدم اتباع دعوة نوح، من هنا تبرز أهمية الصحبة، ألم يقل حبيبنا المصطفى ﷺ: **(المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)** [4]،

---

(١) ينظر: الكشاف، (٦١٩/٤)، تفسير ابن كثير، (٢٣٥/٨)، تفسير المراغي، (٨٨/٢٩)، تفسير السعدي، (٨٨٩/١)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٢٤/١٥).

(٢) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (١٤٨/٢٩).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٢٢/١٥)، إعراب القرآن وبيانه، (٢٣٢/١٠).

(٤) المستدرك على الصحيحين، وعلق عليه بصحيح ولم يخرجاه، (١٨٩/٤)، شعب الإيمان للبيهقي، (٤٤/١٢)، مسند الإمام أحمد وعنده (فلينظر أحدكم من يخالط)، (٣٩٨/١٣).

فهذه دعوة إلى اختيار الأصدقاء، فالصحبة الصالحة تعين على الطاعة أما قوم نوح وأمثالهم فصُحبتهم تغلق الأبواب وتضع المعوقات في طريق الحق.

٣- تبين الآيات مدى عطف نوح على قومه ورأفته بهم فقال عصوني ولم يقل عصوك يا رب وهذا لأنه يحبهم ويحب هدايتهم وعلى أمل منه أنهم يتبعوه، ولهذا كانت مهمته طويلة وشاقة، ليتهم عرفوا مدى حرصه على إنقاذهم من عذاب الله، لكنهم قابلوه الرحمة بالقسوة، واللطف بالعنف وإقباله عليهم بالفرار منه، فما أحوج الأمة اليوم للتمسك بأسلوب القرآن العظيم في المعاملة مع الناس ودعوتهم إلى الحق، بهذا الأسلوب الذي تفيض منه الرحمة والشفقة والمحبة.

٤- تشعر الآيات جواز الدعاء على الظالمين، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: **[وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا]** {نوح:٢٤} ، ويرى الباحث أن ذلك خاص بنوح عليه السلام، وأنه دعا على قومه بعد أن أوحى الله إليه أنه لن يؤمن أحد بعد ذلك منهم.

٥- المتأمل في الآيات يرى قوة تمسك قوم نوح عليه السلام بعبادة الأصنام، وحبهم لها، فالمحب للشيء دائماً يردد اسمه، ولهذا تواصى قوم نوح عليه السلام فيما بينهم بالتمسك بعدم ترك الأصنام التي سموها وداً وسواعاً ويغوث ويعق ونسرا، وكان يكفي أن يقولوا آلهتكم، لكنهم من شدة حبهم سموها وفصّلوا في ذكر أسمائها.

المطلب السادس: دعوة نوح على قومه بالاستئصال والغرق:

قال تعالى: **[مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا]** {نوح:٢٥-٢٧}.

أولاً: التحليل اللغوي:

[**لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ**] تذر من ذرا، يقال ذروت الشيء بمعنى طيرته وأذهبته، ومنه وذرت الريح التراب وغيره [١].

فاجراً: فَجَرَ: فسق وكذب والفاجر: المائل عن الحق، والساقط عن الطريق، وفجر الرجل بالمرأة: أي زنا، وفجرت المرأة: زنت، ورجل فاجر من قومٍ فجار وفجره، ورجل فجور من قومٍ فُجُرٍ [٢].

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بينت الآيات السابقة كيف عصى قوم نوح رسولهم ودبروا ومكروا وألحقوا به الأذى، واتبعوا رؤساءهم أصحاب المال والجاه، وكيف سخروا هذا المال والجاه للكيد لدعوة نوح عليه السلام، وتمسكوا بالأصنام التي ضل بسببها وسبب هؤلاء الرؤساء كثيراً من الناس، بعد كل هذا جاءت دعوة نوح عليهم بالاستئصال والغرق، لكن هذه الآيات وضحت أن غرقهم وهلاكهم كان بسبب خطيئاتهم الشنيعة وجرائمهم الفظيعة، فكان غرقهم في الدنيا، ويوم القيامة عذاب عظيم، ولن يجدوا أحداً ينصرهم أو يدفع عنهم عذاب ربهم [٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

[**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا**] أي بسبب خطيئاتهم أُغرقوا بالطوفان، ويوم القيامة يدخلون النار، وأكد هذا المعنى بزيادة "ما" والمعنى من كثرة ذنوبهم وإصرارهم على الكفر أغرقوا في تيارات الطوفان، فلم يكن لهم معين ولا مغيث ولا نصير ينقذهم من الطوفان ولا من عذاب يوم القيامة، ثم جاءت دعوة نوح باستئصالهم عن وجه الأرض.

[**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**] وقد دعا نوح بهذه الدعوة بعد أن أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومه أحد إلا من قد آمن وهذا في قوله تعالى: [**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**] {هود:٣٦} ، فدعا ربه ألا يبقي منهم أحداً على وجه الأرض [٤].

---

(١) ينظر: مختار الصحاح، (١١٢/١).

(٢) ينظر: لسان العرب، (٤٧/٥)، مختار الصحاح، (٢٣٤/١).

(٣) ينظر: الكشاف، (٦٢٠/٤)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (١٢٤/١٥).

(٤) ينظر: الكشاف، (٦٢٠/٤)، تفسير القرطبي، (٣١١/١٨)، تفسير ابن كثير، (٢٣٦/٨)، تفسير المراغي، (٨٩/٢٩)، في رحاب التفسير، (٧٤٥١/٢٩).

ودياراً بمعنى أحداً أو مأخوذ من الدار والمعنى من يسكن الدار [1]، وهناك سؤال كيف عرف نوح عليه السلام أن أولادهم يكفرون ويفجرون؟ ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً فوصفهم بما يصيرون إليه والجواب أنه لبث فيهم قرن من الزمان فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم فقد كان قومه يحذر الرجل ابنه وهو صغير من نوح ودعوته، ويقول لابنه لقد حذرني أبي وأنا صغير، وهكذا تتوالى الأجيال على ذلك، ثم أن ربه أخبره بأنه لن يؤمن منهم أحد بعد ذلك، وقد بين علة دعاءه بشيئين الأول: أنهم يضلوا عبادك والثاني لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً [2].

رابعاً: أوجه البلاغة:

قوله تعالى: [**وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**] مجاز مرسل علاقته ما يؤول إليه، حيث إنه لا يكونوا فجاراً وقت الولادة، بل بعدها بزمن، بمعنى أن حالهم يؤول إلى الفجور[3].

خامساً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد:

١- تبين الآيات مدى حب نوح عليه السلام لقومه، فعندما دعا عليهم تبيَّن لهم أن ما حدث لهم ليس بسبب دعوته عليهم، وإنما بسبب خطيئاتهم وذنوبهم، وقد دعا عليهم بعد أن أوحى إليه ربه بعدم إيمان أي أحد منهم بعد ذلك.

٢- تبرز الآيات أثر الآباء والأهل في تربية الأولاد، فقوله تعالى: [**وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**] أن خبرة نوح عليه السلام بهم ألف سنة جعلته يتوقع ما يصير عليه الأولاد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها جدعاء؟)** [4]، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: [**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**] {الرُّوم:٣٠} .

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني، (٦٠/٦)، الوجيز للواحدي، (١١٣٨/١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (٦٤٢/٢٣)، الكشاف، (٦٢١/٤)، تفسير المراغي، (٩٠/٢٩).

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، (٢٣٤/١٠).

(٤) صحيح البخاري، (باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه)، (٩٤/٢٠)، صحيح مسلم، (باب معنى كل مولود يولد على الفطرة)، (٢٠٤٧/٤).

المطلب السابع: الدعوة بالمغفرة للوالدين والمؤمنين والدعاء على الظالمين بالهلاك:

قال تعالى: [**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا**] {نوح:٢٨}.

أولاً: التحليلي اللغوي:

[**رَبِّ اغْفِرْ**]: الغفور والغفار جل ثناؤه، والمعنى: الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، وهي من صيغ المبالغة، والأصل الغفَر: التغطية والستر، غفر الله ذنوبه: أي سترها [١]. وغفر الله له ذنوبه، وغفر الله عنه ذنوبه: الجملة الأولى فصيحة، والثانية صحيحة، فالفعل غفر يتعدى بحرف الجر (اللام) على معنى غطى وستر، وإذا تعدى بحرف الجر (عن) فإنه بتضمين الفعل غفر معنى الفعل (حط أو وضع أو أزال) وكلٌ منها يتعدى بـ (عن) [٢].

[**وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا**]: الإيمان: التصديق، ومن أسماء الله الحسنى (المؤمن) لأنه آمن عباده من أن يظلمهم، والإيمان ضد الكفر، وإن كان بمعنى التصديق فضده التكذيب، يقال: آمن به قوم، وكذب به آخرون، والمؤمن هو المؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا شاك، ويرى أن أداء الفرائض واجب عليه، وأن الجهاد بالنفس والمال واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب [٣].

ثانياً: التفسير الإجمالي:

دعاء بالعفو والمغفرة وستر الذنوب بدعوة نوح ﷺ لنفسه ولوالديه ولمن دخل بيته أو مسجده ومصلاه مصلياً مؤمناً بالله وبرسله من المؤمنين والمؤمنات، وقيل من دخل سفينته ولا تزد الظالمين أنفسهم بالكفر إلا خساراً وهلاكاً وبعداً من رحمتك [٤].

وهكذا نرى خاتمة السورة تلخص وتجسد قصة نوح مع قومه طلب المغفرة للمؤمنين والهلاك للكافرين، إنها خاتمة جامعة لكل الأحداث التي وقعت في ألف سنة إلا خمسين عاماً قلةٌ مؤمنة نجت وفازت في الدنيا والآخرة، وكثرة كافرة خسرت وهلكت في الدنيا والآخرة.

---

(١) لسان العرب، (٢٥/٥).

(٢) معجم الصواب اللغوي، دليل المثقف العربي، للدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، (٥٦٣/١).

(٣) لسان العرب، (٢٣/١٣)، مختار الصحاح، (٢٢/١).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، (٦٤٢/٢٣)، زاد المسير في علم التفسير، (٣٤٥/٤)، تفسير المراغي، (٩٠/٢٩).

وتنتهي الألف سنة التي قضاها نوح مع قومه بما فيها من عذابات وصولات وجولات، ترسم لنا صورة جهاد نوح عليه السلام مع قومه وصبره على آذاهم، وحبه لهم، فمهما طال الزمن أو قصر لا بد من العودة إلى الأرض كما أنبتنا الله منها، ولابد من الخروج للجزاء والحساب.

ثالثاً: استنباط بعض المقاصد والهدايات من الآية:

١- ترشد الآية الكريمة إلى بر الوالدين والمداومة على الدعاء لهما بالخير لما لهما من حق وفضل، فالبر بهما هي المرتبة الثانية بعد عبادة الله ﷻ، قال تعالى: **[وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا]** {الإسراء:٢٣} .

٢- توضح الآية أن دعوة نوح عليه السلام والتي استمرت هذا الزمن الطويل كانت لتوحيد الله وحده، وعبادة الله تأتي مقرونة ببر الوالدين في آيات كثيرة، ففي ذكر الدعاء للوالدين في نهاية السورة دليل على هذا الاقتران والارتباط بين عبادة الله وبر الوالدين.

٣- الذي يتأمل في الآية ويرى هذه النهاية بنوح عليه السلام ومن آمن معه، والنجاة من الطوفان في الدنيا، والنجاة من العذاب يوم القيامة يشعر بالسعادة وينسى كل الصعاب والمتاعب التي لاقاها أثناء دعوته إلى الله مهما بلغت هذه المتاعب، ومهما تعددت تلك الصعاب حتى لو استمرت ألف سنة.

٤- تظهر الآية لكل متدبر للقرآن ومعتبر أن نهاية الظلم الهلاك، قال تعالى: **[وَتِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا]** {الكهف:٥٩} ، وقوله تعالى أيضاً: **[وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ]** {هود:١٠٢} .

٥- تبين الآية أن دعاء نوح عليه السلام على الظالمين بالهلاك جاء بعد جهاد مرير وزمن طويل من العناء، وبعد إيحاء الله إليه بعدم إيمان أحد منهم بعد ذلك، لذلك دعا عليهم، فقد رأى أن كبيرهم يوصي صغيرهم ويورثه التكذيب بدعوة نوح عليه السلام حتى توارثت الأجيال الكفر والعناد.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين صاحب الفضل والمنة الذي يسر وهيأ لنا الظروف للعودة إلى مجال التعليم، والحمد لله الذي وفقنا للالتحاق بهذه الجامعة الرائدة والدراسة فيها.

وبعد دراسة البكالوريوس وحصولي على الامتياز فيها حتى كنت معيداً في الجامعة شجعني ذلك على الالتحاق ببرنامج الماجستير بفضل الله وتوفيقه، وكان حظي أن تكون رسالتي: (مقاصد وأهداف الحزب السابع والخمسين المشتمل على سور: تبارك – القلم – الحاقة – المعارج – نوح)، وبعد دراسة هذا الحزب دراسة تحليلية موضوعية وبيان بعض المقاصد والأهداف توصل الباحث إلى بعض النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

١- علم بيان المقاصد والأهداف واستنباط بعض الهدايات علم يعين على فهم الآيات فهماً صحيحاً، والاستفادة منها في واقع الحياة.

٢- أن القرآن الكريم هو دستور عالمي يشمل كل مناحي الحياة، قال تعالى: [**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**] {الأنعام:٣٨} .

٣- استنطاق القرآن الكريم وقراءته بفهم صحيح لنكشف الحلول عن كل مشكلة، وكل مصيبة ألمت بهذه الأمة، وهذا يتأتى بالغوص العميق في الآيات، والفهم الدقيق، والنظر في الآيات، وإعمال العقل بصورة صحيحة.

٤- عرضت لنا سورة الملك بكل وضوح قدرة الله وعظمته في خلق هذا الكون الذي لا يعلم حدوده ومنتهاه إلى الله، فهو خالق الكون ومدبره بحكمة وإتقان، لم ولن ترى في أي شيء خلقه من تفاوت أو نقص أو عيب أو خلل.

٥- عرضت سورة القلم أخلاق النبي ﷺ وبعض أقوال الكافرين بحقه واتهامه بما هو برئ منه، وعرضت أيضاً قصة أصحاب البستان للعبرة والعظة من أخطاء الغير، وختمت السورة الدعوة إلى الصبر وعدم تعجل النتائج.

٦- عرضت سورة الحاقة والمعارج صوراً عن أهوال يوم القيامة والأحداث التي تحدث بين يدي الساعة من تطاير للصحف، وتمايز الناس إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، كما عرضت السورتان تهديداً للكفار بالإهلاك والاستبدال.

٧- وأخيراً عرضت لنا سورة نوح دعوة نوح عليه السلام إلى قومه حيث دعاهم ألف سنة ولم يؤمن معه إلا القليل، كما عرضت مواضيع أخرى مهمة مثل أهمية الاستغفار وثماره، والدعوة إلى بر الوالدين والدعاء لهما، كما صورت لنا في نهاية المطاف دعوة نوح عليه السلام على قومه بالهلاك.

٨- من النتائج المهمة أيضاً التي يراها الباحث أن على المؤمن أن يظل مستعداً للرحيل ويتذكر باستمرار اليوم الآخر، والتي شاهد بعض أحداثه وأهواله في السور الكريمة.

٩- الدعوة إلى إعمال العقل في كل شيء نراه، فسماء تحيط بنا، وأرض نمشي عليها، ونصول ونجول، وكواكب ونجوم تدعونا إلى التفكر فيها لنتعرف على خالقها ومدبرها.

١٠- من سنن الله في خلقه أنه لن يتخلى عن أوليائه، وسوف ينصرهم مهما بلغ عدوهم من قوة وسيطرة، فالعاقبة للمتقين، والهلاك والدمار على الظالمين المعتدين.

١١- إن الذي يقرأ القرآن له بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وهذا ثابت في أحاديث صحيحة لا مجال لإعادتها ثانية، ولكن نريد أن يرى الناس القرآن فينا، فإن أسوتنا وقدوتنا ورسولنا محمد ﷺ كان قرآناً يمشي على الأرض، لا نريد أن نسأل إنساناً كم ختمة قرأت؟ ولكن نريد أن نسأله: كم ختمة قرأ الناس فيه؟

١٢- لا بد أن يظهر فينا القرآن واضحاً في أفعالنا، وأقوالنا، ومعاملاتنا لكي نستفيد من القرآن في واقعنا وحياتنا، فقراءة القرآن نحصل منه على حسنات يوم القيامة، والعمل بما في الآيات من أوامر ونواهي نحصل منه على تغيير واقعنا إلى الأفضل كما ظهر هذا في سلفنا الصالح عندما تعلموا القرآن وطبقوه واقعاً عملياً في حياتهم فأصبحوا قادة للأمم، وفتحوا الشرق والغرب.

١٣- الاستغفار يجمع خيرات الدنيا والآخرة حيث يجمع بين المال والبنين والباقيات الصالحات، ومن أراد أن يزداد قوة فعليه بالاستغفار، قال تعالى: [**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**] {هود:٥٢} ، ومن أراد أن يتمتع متاعاً حسناً فعليه بالاستغفار، قال تعالى: [**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ**] {هود:٣} .

١٤- القرآن الكريم له خصوصية في قراءته فكلما قرأه الإنسان أكثر ازداد شوقاً وحباً لقراءته مرة أخرى بخلاف أي كتاب آخر، فلو قرأت كتاباً مرة أو مرتين سوف تمله في الثالثة أو الرابعة، أما القرآن الكريم فيزداد الإقبال عليه كلما قرأته مرة بعد مرة، وسوف تجد في كل مرة له حلاوة وطعم جديد.

١٥- المؤمن دائم الذكر ليوم القيامة وما فيه من أحداث وأهوال، وهذا يدفعه إلى العمل الصالح والبعد عما نهى الله عنه ورسوله.

١٦- إن الله لم يأمرنا بشيء لا نستطيعه، ولم ينهانا عن شيء إلا وفيه مصلحة لنا، فإن الأعمال يعود نفعها على الإنسان، والله هو الغني الحميد.

ثانياً: أهم التوصيات والمقترحات:

١- أوصي نفسي أولاً بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يكون العمل خالصاً لله تعالى، وبعد نفسي أوصي إخواني بذلك.

٢- أوصي بقراءة القرآن قراءة متعمقة حتى نخرج الدرر النفيسة من قاع هذا البحر الذي لا تنقضي عجائبه.

٣- أن نستنطق القرآن عند كل مشكلة تعرض لنا لنجد الحلول المناسبة لهذه المشكلات، وهذه المشكلات التي التفت حول الأمة الإسلامية مشكلات اقتصادية وسياسية وفكرية حتماً سنجد حلولاً لكل هذه المشكلات إذا فهمنا فهماً صحيحاً.

٤- أوصي نفسي وزملائي الباحثين بالاهتمام وكثرة المطالعة في الكتب القديمة، والتي هي أصل العلوم التي ينهل منها الباحثون.

٥- أوصي بالتحلي بالصبر لمن أراد الإقدام على أن عمل؛ لأن الصبر أساس كل عمل ناجح، وأن نغذي هذا الصبر بالاتصال بالله ﷻ لأن الإنسان خلق ضعيفاً، وصبره إذا لم يكن له مَدَدٌ من عند الله سينفد.

الفهـارس

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام المغمورين.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
١-	[الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ]	١-٢	٨
٢-	[خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ...]	٧	٣٦
٣-	[كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ...]	٢٨	٢٨
٤-	[فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ]	١٥٢	١٣٩
٥-	[إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]	١٥٣	١١٠
٦-	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]	١٥٣	١١٣
٧-	[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ...]	١٨٩	٣٩
٨-	[وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ...]	٢٢٤	٨٦
٩-	[اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ...]	٢٥٧	٨
١٠-	[لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ...]	٢٧٢	١١٣
سورة آل عمران			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
١١-	[وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]	١٢٣	٢٧
١٢-	[وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ...]	١٣٥	٩٦
١٣-	[إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ...]	١٦٠	٥٢
١٤-	[وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ...]	١٧٨	١٠٤
١٥-	[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ]	١٩٠	٣١
١٦-	[رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]	١٩١	١٦٢-

			١٨٢
١٧-	[لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ]	١٩٦-١٩٧	١٢٨
١٨-	[لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ]	١٩٦-١٩٧	٨٠
١٩-	[لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ]	١٩٦	١٠٨
سورة النساء			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**الصفحة**
٢٠-	[كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ...]	٥٦	١٥٢
سورة المائدة			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**الصفحة**
٢١-	[اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ...]	٣	٥٦
سورة الأنعام			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**الصفحة**
٢٢-	[قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ...]	٦٥	٤٥
٢٣-	[وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ...]	١٤١	٩٧
الأعراف			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**الصفحة**
٢٤-	[وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ ...]	٩٦	١٨٠
٢٥-	[خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ]	١٩٩	٧٧
سورة الأنفال			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**الصفحة**
٢٦-	[وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ]	٣٢	٥٥

سورة التوبة			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٧-	[وَسَفَرًا قَاصِدًا ...]	٤٢	٨
سورة يونس			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٨-	[وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ...]	١٨	٤٨
٢٩-	[وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ...]	٩٩	١١٣
سورة هود			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٣٠-	[وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ...]	٣٦	١٨٨
٣١-	[وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ]	٤٠	١٢٧
٣٢-	[تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ...]	٤٩	٩٠
٣٣-	[وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ...]	٥٢	١٧٩
٣٤-	[لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ]	١٠٦	٣٤
٣٥-	[وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ...]	١٢٠	٩٠
٣٦-	[وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ]	١٠٢	١٩١
سورة يوسف			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٣٧-	[نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ...]	٣	٨٩
٣٨-	[لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...]	١١١	٨٩
سورة الرعد			

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٣٩-	[وَإِنَّ رَبَّكَ لَذو مَغْفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ...]	٦	٣١
٤٠-	[إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ]	٧	١١٣
سورة إبراهيم			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٤١-	[الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلَمَاتِ إِلَى النُّورِ ...]	١	١١
٤٢-	[وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ...]	٧	١٠٩
٤٣-	[وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ ...]	٤٦	١٨٦
سورة الحجر			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٤٤-	[وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ ...]	٤٧	١٥١
٤٥-	[كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ]	٩٠	٩٠

سورة النحل			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٤٦-	[وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ...]	٩	٨
٤٧-	[وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ]	١٨	٤٣
٤٨-	[ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ...]	١٢٥	٥٦
سورة الإسراء			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٤٩-	[وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا]	١٥	٣٥
٥٠-	[وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...]	٢٣	١٩١

سورة الكهف			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٥١-	[وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا]	٥٩	١٩١
سورة الأنبياء			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٥٢-	[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ]	٢٥	٨٩
٥٣-	[فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ]	٧٦	١١١
٥٤-	[أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ]	٨٧	١١٠
٥٥-	[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ]	١٠٧	١١٣

سورة الحج			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٥٦-	[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا...]	٤٦	٤٨
سورة المؤمنون			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٥٧-	[ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ ...]	١٤	١٨١
سورة الفرقان			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٥٨-	[دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا]	١٣	١٣٤
٥٩-	[مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ]	٣٨	٨
٦٠-	[إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا]	٤٤	٤٨
سورة الشعراء			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة

٦١-	[يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ]	٨٨-٨٩	٣١
سورة النمل			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٢-	[وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ...]	١٤	١٠١
سورة الروم			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٣-	[اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ...]	٥٤	١٨٢

سورة لقمان			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٤-	[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ...]	٢٥	١٨٢
سورة السجدة			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٥-	[يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ...]	٥	١٥١
سورة سبأ			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٦-	[اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ...]	١٣	٩٧
٦٧-	[وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ]	٢٤	٥٦
سورة يس			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٨-	[وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ...]	٧٨	١٦٠
سورة الصافات			

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٩-	[إِلَّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ]	١٠	٣٣
٧٠-	[فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ]	١٤٣-١٤٤	١١١
سورة ص			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٧١-	[كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ]	٢٩	١١
سورة الزمر			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٧٢-	[إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ]	١٠	١١٠
سورة الشورى			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٧٣-	[لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ]	١١	٢٧
٧٤-	[يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ]	١١	٤٦
سورة الزخرف			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٧٥-	[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ]	٩	١٨٢
٧٦-	[وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ]	٤٤	
٧٧-	[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ]	٨٧	١٨٢
سورة الجاثية			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٧٨-	[هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ	٢٩	٧٦

	تَعْمَلُونَ]		
سورة محمد			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٧٩-	[أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] {محمد:٢٤}	٢٤	١١
سورة ق			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٨٠-	[وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ]	١٦	٤٦
٨١-	[فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ]	٣٩	١١٠
٨٢-	[نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ...]	٤٥	١٤٠
سورة الذاريات			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٨٣-	[وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ]	٢٢	٤٥
٨٤-	[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]	٥٦	١٠
سورة الطور			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٨٥-	[يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا]	٩	٤٠
٨٦-	[أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ]	٣٠	٥٥
سورة القمر			
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٨٧-	[فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ]	١٦	٧٠
٨٨-	[سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ]	٢٦	٧٧
سورة الواقعة			

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٨٩-	[وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ]	٦٢	١٦٠
	سورة الحديد		
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٩٠-	[وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ ...]	٢٠	٩٩
	سورة التحريم		
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٩١-	[وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ...]	٣	٢٢
	سورة الجن		
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٩٢-	[يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا]	٢	١٦٨
٩٣-	[وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا]	١٦	١٦٨
٩٤-	[وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا]	٢٣	١٦٨
	سورة المدثر		
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٩٥-	[ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا]	١١	١٠٤
٩٦-	[وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ...]	٣١	١٢٥
	سورة التكوير		
م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٩٧-	[وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ]	٥	٤٧
	سورة الانشقاق		
م	الآية	رقم الآية	الصفحة

٩٨-	[فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا]	٧-٨	١٣١
سورة الأعلى			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**الصفحة**
٩٩-	[سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى]	١٠	١٤٠
سورة الفجر			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**الصفحة**
١٠٠-	[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ]	٦-٨	١٢٥
سورة العلق			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**الصفحة**
١٠١-	[اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ]	١	٧٦
١٠٢-	[الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ]	٤-٥	٧٧
سورة الزلزلة			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**الصفحة**
١٠٣-	[فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ]	٧	١٤٤
١٠٤-	[وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ]	٨	١٤٤
سورة العاديات			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**الصفحة**
١٠٥-	[إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ]	٦	١٥٧
سورة الهمزة			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**الصفحة**
١٠٦-	[وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ]	١	٨١

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	الحديث	الكتاب	الحكم	الصفحة
١-	(اتق الله حيثما كنت واتبع الحسنة تمحها...)	سنن الترمذي	بمجموع طرقه حسن	٨٠
٢-	(أخبرني ما الإيمان: قال الإيمان بالله...)	صحيح البخاري، مسلم	صحيح	١٢٥
٣-	(إذا التقى المسلمان بسيفيهما...)	صحيح البخاري		٩٤
٤-	(إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها فإن عملها فاكتبوها سيئة...)	صحيح مسلم		٩٥
٥-	(إذن لي أن أحدث عن ملك...)	صحيح الجامع الصغير وزيادته	صحيح	١٣١
٦-	(اغتنم خمساً قبل خمس: شباب قبل هرمك...)	السنن الكبرى للنسائي	صحيح	١٠٨
٧-	(أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله وحسن الخلق...)	سنن الترمذي	صحيح غريب	٨٠
٨-	(ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا بلى...)	صحيح البخاري	صحيح	٨٤
٩-	(الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله)	المستدرك على الصحيحين	صحيح الإسناد	١١٠
١٠-	(العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر)	صحيح الجامع الصغير وزياداته	حسن	١١٢
١١-	(العين حق ونهى عن الوشم...)	صحيح البخاري ومسلم	صحيح	١١٢
١٢-	(الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس...)	صحيح البخاري		٨٧

١٣-	(المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)	المستدرك على الصحيحين	صحيح	١٨٧
١٤-	(إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم...)	المستدرك على الصحيحين	صحيح الإسناد	١٠٨
١٥-	(إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك...)	صحيح البخاري	صحيح	٩٧
١٦-	(إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه...)	صحيح البخاري	صحيح	١٠٦
١٧-	(أنا عند ظن عبدي بي أنا معه حين يذكرني...)	صحيح مسلم	صحيح	١٣٩
١٨-	(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق...)	السنن الكبرى للبيهقي	حسن	٧٩
١٩-	(أنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير...)	صحيح البخاري	صحيح	٨٤
٢٠-	(أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد...)	سنن الترمذي	حسن صحيح	٧٦
٢١-	(أي الأعمال أحب إلى الله...)	صحيح البخاري ومسلم	صحيح	١٠٨
٢٢-	(سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له...)	السنن الكبرى للنسائي	حسن	٢٠
٢٣-	(سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت...)	صحيح البخاري	صحيح	١٨٠
٢٤-	(عليك بالسجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله...)	سنن ابن ماجه	صححه الألباني	١٠٨
٢٥-	(عليك بكثرة السجود...)	صحيح مسلم	صحيح	١٠٩

٢٦-	(كان النبي لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل	المستدرك على	صحيح	

	السجدة وتبارك الذي بيده الملك...)	الصحيحين للحاكم		
٢٧-	(لا تزول قدما عبد حتى يسأل...)	سنن الدارمي، المعجم الوسيط للطبراني، صحيح الجامع الصغير	صحيح	١٥٤
٢٨-	(لا يدخل الجنة نمام...)	صحيح مسلم	صحيح	٨٤
٢٩-	(لو أنكم توكلتم على الله حق توكله...)	مسند الإمام أحمد	صحيح	٤٣
٣٠-	(ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها...)	صحيح مسلم	صحيح	١٥١
٣١-	(ما من مولود إلا يولد على الفطرة)	صحيح البخاري	صحيح	١٨٩
٣٢-	(ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس ابن متى...)	صحيح البخاري	صحيح	١١١
٣٣-	(من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب)	صحيح البخاري	صحيح	١١١
٣٤-	(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله بذلك حسنة...)	سنن الترمذي	حسن صحيح	١١
٣٥-	(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة...)	سنن الترمذي	حسن صحيح غريب	٦٧
٣٦-	(من قرأ حرفاً من كتاب الله...)	سنن الترمذي	حسن غريب	١٤٤
٣٧-	(من قرأ حرفاً من كتاب الله...)	سنن الترمذي	حسن صحيح	١٦٦
٣٨-	(من نوقش الحساب عُذب...)	صحيح البخاري	صحيح	١٣١
٣٩-	(من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة...)	صحيح مسلم	صحيح	٩٤
٤٠-	(هي المنجية تنجيه من عذاب القبر...)	سنن الترمذي	حسن	١٧

٤١-	(والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون...)	مسند الإمام أحمد، صحيح ابن حبان	إسناده ضعيف	١٥٠
٤٢-	(والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة...)	صحيح البخاري	صحيح	١٧٩
٤٣-	(يا رسول الله متى الساعة...)	صحيح البخاري ومسلم	صحيح	٣٩
٤٤-	(يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال...)	المستدرك على الصحيحين	صحيح الإسناد	٩٦
٤٥-	(يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك...)	سنن الترمذي	حسن صحيح	٣١
٤٦-	(يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد...)	صحيح البخاري	صحيح	١٠٥
٤٧-	(يؤتى الرجل في قبره فئوتي من قبل رجلين...)	الإحسان في تقريب صحيح بن حبان	حسن	٢٠
٤٨-	(يوشك أن تداعى عليكم الأمم...)	مسند الإمام أحمد	حسن	١٠

ثالثاً: فهرس الأعلام

م	الاسم	الصفحة
١-	ابن الأنباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار	٢٥
٢-	ابن الضُريس أبو عبد الله محمد بن أيوب الرازي الحافظ المحدث	١٨
٣-	ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الملك الإمام الكبير قدره المفسرين	٤٢
٤-	ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا القزويني	٨١
٥-	ابن مردويه أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني	١٨
٦-	ابن منظور الأفريقي أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء	٤١
٧-	أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي أحد القراء العشرة وشيخ الإمام نافع	١٤٩
٨-	أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي	٧٦
٩-	الإمام البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط أبو الحسن برهان الدين	١٠٠
١٠-	الإمام الكبير الواحدي النيسابوري، علي بن أحمد بن محمد	٧٥
١١-	الإمام نافع بن عبد الرحمن أحد القراء السبعة الأعلام	١٤٩
١٢-	حمزة الزيات أحد القراء السبعة	١٤٩
١٣-	الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج	٤٣
١٤-	السمين الحلبي شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الله الحلبي صاحب تفسير الدر المصون	١٣٢
١٥-	السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري، جلال الدين	٧٥
١٦-	الشيخ الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي	٦٤
١٧-	عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد	١٠٥

	بن الخطاب أبو محمد المشهور بالخطابي	
١٨-	علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري المعروف بالماوردي	٦٥
١٩-	علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني من كبار العلماء بالعربية	٩٨
٢٠-	عيسى بن محمد بن إسحاق أبو عمير النحاس	١٨
٢١-	فخر الدين الرازي العلامة الكبير صاحب التفسير الكبير الذي جمع فيه كل غريب وغريبة	١٠٠
٢٢-	الفيروز أبادي محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر أبو الطاهر من أئمة اللغة والأدب	٧٤
٢٣-	قطرب أبو علي محمد بن المستنير البصري النحوي صاحب التصانيف	٧٣
٢٤-	لبيد بن ربيعة بن مالك العامري أحد سفراء المعلقات	٣٧
٢٥-	محمد بن إبراهيم الشيحي علاء الدين المعروف بالخازن عالم بالتفسير والحديث	٥٤
٢٦-	محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإمام أبو عبد الله الأليبري المعروف بابن أبي زمنين	٤٩
٢٧-	محمد بن عمر نووي الجاوي التناري بلداً مفسر متصوف من فقهاء الشافعية صاحب تفسير سماه فراح لبيد	١٠١
٢٨-	محمد بن محمد بن أحمد زين الدين أبو حامد الغزالي الفقيه الشافعي	٥٨
٢٩-	محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي من أئمة علماء الكلام	١٣٠
٣٠-	محمد رشيد رضا التلموني الحسيني الوارث الأول لعلم الإمام محمد عبده	١١٢
٣١-	محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين مفسر ومحدث وأديب	٥٧
٣٢-	النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب بن خباب أحد سفراء المعلقات	١٧٧
٣٣-	الواحدي علي بن محمد بن أحمد أبو الحسن الواحدي	٤١

رابعاً: فهرس قائمة المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- أسباب النزول، الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المحقق: أيمن صالح شعبان، دار الحديث القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
- الأسماء والصفات للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، عام النشر ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- إعراب القرآن وبيانه، محي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد المرادي النحوي،(ت: ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس الزركلي الدمشقي، (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

- أنوار التنزيل وأشهر التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- الأهداف السلوكية، مهدي محمود سالم، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، (ت: ١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، رمضان ١٣٨٣هـ- فبراير ١٩٦٤هـ.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- بحر العلوم، أبو الليل نصر بن محمد السمرقندي، (ت: ٣٧٣هـ).
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم الغرناطي أبو جعفر، (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، (ت: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- بيان المعاني (مرتب حسب ترتيب النزول)، عبد القادر العاني، (ت: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ-١٩٦٥م.
- تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل بن قُطلُونبا السودوني، (ت: ٨٧٩هـ)، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: محمد حسن من المحققين، دار الهداية.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن المفضل بن محمد التنوفي المعري، (ت: ٤٤٢هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى، (ت: ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى الحلبي وشركاه، عدد الأجزاء ٢.
- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت، لبنان.
- التحرير والتنوير، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر،تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.
- تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، إعداد: د. محمد بن عبد الكريم بن عبيد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- التصور الفني في القرآن، سيد قطب، (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة.
- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذه من محفوظه، ابن حبان البستي، (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان الفارسي الحنفي، (ت: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات: محمد ناصر الدين الألباني، (ت: ١٤٢٠هـ)، دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة، ط١: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السلمي في مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، (ت: ٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.

- التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة ١٣٨٣هـ.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنن النشر، ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العزيز، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى المري، المعروف بابن أبي زمنين المالكي (ت: ٣٩٩هـ) المحقق: أبو عبدالله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، عدد الأجزاء ٥.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء ٨.
- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي، الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم، (ت: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، (ت: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- تفسير القرآن، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، (ت: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، (ت: ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، (ت: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء ١٠.
- تفسير الماوردي، النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي الشهير بالماوردي، (ت:٤٥٠هـ) المحقق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء ٦.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن.
- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- التفسير الواضح الميسر، الشيخ محمد علي الصابوني، الأفق للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- التفسير الواضح، الحجازي محمد محمود، دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤١٣هـ.
- التفسير الوسيط، للزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى.
- تفسير غريب القرآن، كاملة بنت محمد بن حاسم بن علي آل جهام الكواري، دار بن حزم، الطبعة الأولى ٢٠٠٨.
- تفسير مجمع البيان، أمين الإسلام أبي الفصل الطبرسي، المجمع العالمي لأهل البيت.
- التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، (ت: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة.
- تنزيه القرآن عن المطاعن، قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد، (ت: ٤١٥هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث.
- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، دار النشر، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهرى، (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨، عبد الخالق ثروت، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد ين كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء ٢٤.
- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير، (ت: ٦٣٧هـ)، المحقق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، د. إبراهيم طفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد المصري الشافعي أبو الحسن، علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطية، د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين السنيكي، (ت: ٩٢٦هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجر الحموي، (ت: ٨٣٧هـ)، المحقق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، (ت: ٧٥٦هـ)، المحقق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، عدد الأجزاء ٨.
- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخرساني أبو بكر البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٩٩م.
- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، (ت: ٨٣٢هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الأستانبولي الحنفي، المولى أبو الفداء، (ت: ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي بعد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- زبدة التفاسير، إمام الدعاة فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، أعده وعلق عليه وقدم له: عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، المكتبة التوفيقية.
- السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، (ت: ١٣٦٢هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الشافعي، (٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجه اسم أبيه يزيد، (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخرساني النسائي، (ت: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- سير إعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- شرح السنة، محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، (ت: ٥١٦هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخرساني أبو بكر البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- شعراء النصرانية، جمعه ووقف على طبعه وتصحيحه، رزق الله بن يوسف شيخو، (ت: ١٣٤٦هـ)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، (ت: ٥٧٣هـ)، المحقق: د. حسين بن عبد الله العمري، ويوسف محمد عبد الله وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البستي، (ت: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، (ت: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع–القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السبكي، (ت: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناجي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣.
- علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، أحمد بن مصطفى المراغي، (ت: ١٣٧١هـ).
- علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، (ت: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- غريب القرآن، لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ) المحقق: سعيد اللحام.
- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني النجاري القنّوجي، (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعه: خادم العلم عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت.
- فتح الرحمن في تفسير القرآن، عبد المنعم أحمد ثُعَيْلَب، دار السلام لطباعة والنشر.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، (ت: ١٢٠٤هـ)، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الفصيح، أحمد بن يحيى زيد الشيباني بالولاء المعروف بثعلب، (ت: ٢٩١هـ)، تحقيق ودراسة: د. عاطف مدكور، دار المعارف.
- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن حمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، (ت: ٩٢٠هـ)، دار ركامي للنشر، الغورية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.
- في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث، القاهرة.
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.
- القصة في القرآن الكريم، الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، (ت: ١٧٠هـ)، د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، (ت: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء ٤.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق، (ت:٤٢٧هـ) تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، عدد الأجزاء ١٠.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، (١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن(المتوفى٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منطور الإفريقي، (٧١١)، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- لطائف الإشارات، تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، (ت:٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.

- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون (٢٠٠٠).
- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن حسين بن مهران النيسابوري، (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، (ت: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة ١٣٨٣هـ.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، (ت: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية الأندلسي المحاربي، (ت: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.
- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر الجاوي، (ت: ١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن محمد أبو الحسن نور الدين الهرري، (ت: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس ﷺ= غريب القرآن في شعر العرب، عن الصحابي عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، (ت: ٦٨هـ).
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت: ٤٠٥هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

- المستطرف في كل فني مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الإبشيتي أبو الفتح، (ت: ٨٥٢هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي، (ت: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث–دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.
- مسند إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المروزي المعروف بابن راهويه، (ت: ٢٣٨هـ)، المحقق: محمد مختار ضرار المفتي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر بن عمرو العتكي المعروف بالبزار، (ت: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي السمرقندي، (ت: ٢٥٥هـ)، المحقق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغنى للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ–٢٠٠٠م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، (ت: ٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي أبو العباس، (ت: ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (ت: ٥١٠هـ) المحقق: محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، عدد الأجزاء ٨.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، (ت: ٣١١هـ) ، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م، عدد الأجزاء ٥.

- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، (ت: ٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن أبو الفتح العباس، (ت: ٩٦٣هـ)، المحقق: محمد محي الدين بن عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.
- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (ت: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- معجم الشيوخ، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، (ت: ٥٧١هـ)، المحقق: الدكتورة وفاء تقي الدين، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون، دار الدعوة.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا القزويني، (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة، وأحمد خالد شكري وآخرون، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
- المنتخب في تفسير القرآن الكريم، نخبة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، الطبعة الثامنة عشر، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

- المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد الكَشَى، (ت: ٢٤٩هـ)، المحقق: الشيخ مصطفى العدوي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، (ت: ١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب، الطبعة ١٤٠٥هـ.
- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء ٢٢.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، عدد الأجزاء ١.
- وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، ابن العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي الإربيلي، (ت: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

خامساً: فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
المقدمة	د
أولاً: أهمية الموضوع	د
ثانياً: أسباب اختيار الموضوع	هـ
ثالثاً: أهداف البحث	هـ
رابعاً: الدراسات السابقة	هـ
خامساً: منهج البحث	و
سادساً: خطة البحث	و
الفصل التمهيدي **مدخل لمقاصد وأهداف السور القرآنية**	١
المبحث الأول: مفهوم الدراسة التحليلية ومتطلباتها	٢
المطلب الأول: مفهوم الدراسة التحليلية	٣
المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية	٤
المبحث الثاني: مفهوم المقاصد والأهداف وأهميتها	٧
المطلب الأول: مقاصد وأهداف السور والآيات	٨
المطلب الثاني: الفرق بين المقاصد والأهداف	٩
المطلب الثالث: أهمية معرفة المقاصد والأهداف	١٠
المطلب الرابع: طرق معرفة المقاصد والأهداف	١٢

الفصل الأول **تعريف عام بسورة "الملك" وبيان المقاصد والأهداف**	١٤
المبحث الأول: تعريف عام بسورة الملك	١٥
المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها	١٦
المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه	١٨
المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس	١٩
المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة الكريمة	٢١
المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها	٢٢
المبحث الثاني: تعذيب الكفار، والمغفرة والأجر الكبير لمن خشي ربه	٢٤
المطلب الأول: مظاهر القدرة والعلم (الآيات ١-١٢)	٢٥
المقطع الأول (الآيات ١-٢٤)	٢٥
أولاً: التحليل اللغوي	٢٥
ثانياً: التفسير الإجمالي	٢٧
ثالثاً: وجوه البلاغة	٣٠
رابعاً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من الآيات	٣٠
المقطع الثاني (الآيات ٥-١٢)	٣١
أولاً: التحليل اللغوي	٣٢
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	٣٣
ثالثاً: التفسير الإجمالي	٣٣
رابعاً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من هذا المقطع	٣٧
المطلب الثاني: بعض مظاهر نعمة الله وقدرته وعلمه مع تهديد الكفار	٤٠
المقطع الأول (الآيات ١٣-١٧)	٤٠

أولاً: التحليل اللغوي	٤٠
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	٤١
ثالثاً: سبب نزول الآية	٤١
رابعاً: التفسير الإجمالي التحليلي	٤١
خامساً: وجوه البلاغة	٤٥
سادساً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من الآيات الكريمة	٤٥
المقطع الثاني (الآيات ١٧-٢٤)	٤٦
أولاً: التحليل اللغوي	٤٦
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	٤٧
ثالثاً: التفسير الإجمالي	٤٧
رابعاً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من هذا المقطع القرآني	٥١
المطلب الثالث: إثبات البعث وتهديد وبيان لبعض النعم (الآيات ٢٥-٣٠)	٥٢
مقدمة	٥٣
أولاً: التحليل اللغوي	٥٣
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	٥٣
ثالثاً: التفسير الإجمالي التحليلي	٥٤
رابعاً: وجوه البلاغة	٥٧
خامساً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من هذا المقطع القرآني	٥٨
سادساً: الخلاصة	٥٩
الفصل الثاني **تعريف عام بسورة "القلم" وبيان المقاصد والأهداف**	٦٠
المبحث الأول: تعريف عام بسورة القلم	٦١

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها	٦٢
أولاً: ترتيب السورة من حيث النزول	٦٢
ثانياً: ترتيب السورة في المصحف	٦٣
ثالثاً: عدد آياتها	٦٤
المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه	٦٤
أولاً: زمان ومكان نزول السورة	٦٤
ثانياً: الجو الذي نزلت فيه السورة	٦٦
المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس	٦٧
أولاً: فضائل السورة	٦٧
ثانياً: محور السورة الرئيس	٦٨
المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة الكريمة	٦٨
المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها	٦٩
المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها	٧١
المطلب الأول: محمد رسول الله أكرم الخلق على الله (الآيات ١-١٦)	٧٢
مقدمة	٧٢
المقطع الأول: كمال الدين والخلق عند النبي ﷺ (الآيات ١-٧)	٧٤
أولاً: التحليل اللغوي	٧٤
ثانياً: أسباب النزول	٧٥
ثالثاً: القراءات	٧٥
رابعاً: التفسير الإجمالي	٧٦
خامساً: وجوه البلاغة	٧٨
سادساً: استنباط بعض الهدايات من هذا المقطع القرآني	٧٩

المقطع الثاني: من الأخلاق الذميمة عند الكفار (الكذب، النميمة، الاعتداء وغيرها) (الآيات ٨-١٦)	٨١
أولاً: التحليل اللغوي	٨١
ثانياً: أسباب النزول	٨٢
ثالثاً: مناسبة الآيات لما سبقها	٨٢
رابعاً: التفسير الإجمالي	٨٢
خامساً: وجوه البلاغة	٨٦
سادساً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من هذا المقطع القرآني	٨٦
المطلب الثاني: قصة أصحاب الجنة والعبرة منها (١٧-٣٣)	٨٧
أولاً: القصة في القرآن	٨٨
أغراض القصة في القرآن	٨٩
ثانياً: التحليل اللغوي	٩٠
ثالثاً: أسباب النزول	٩٢
رابعاً: التفسير الإجمالي	٩٢
خامساً: أوجه البلاغة	٩٥
سادساً: استنباط بعض الهدايات	٩٦
المطلب الثالث: مناقشة المكذبين وتهديدهم (الآيات ٣٤-٤٧)	٩٨
المقطع الأول: جزاء المتقين وإنكار التسوية بين المسلمين الطائعين والمجرمين العاصين (الآيات ٣٤-٤١)	٩٨
أولاً: التحليل اللغوي	٩٨
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	٩٩
ثالثاً: التفسير الإجمالي	٩٩
رابعاً: أوجه البلاغة	١٠٢

المقطع الثاني: مشهد من مشاهد يوم القيامة وتهديد المكذبين (الآيات ٤٢-٤٧)	١٠٣
أولاً: التحليل اللغوي	١٠٣
ثانياً: التفسير الإجمالي	١٠٤
ثالثاً: أوجه البلاغة	١٠٧
رابعاً: استنباط بعض الهدايات من هذا المقطع القرآني	١٠٧
المطلب الرابع: الأمر بالصبر على قضاء الله وحكمه وأن الإسلام دين عالمي	١٠٩
أولاً: التحليل اللغوي	١٠٩
ثانياً: التفسير الإجمالي	١١٠
ثالثاً: استنباط بعض الهدايات من هذا المقطع القرآني	١١٢
الفصل الثالث **تعريف عام بسورة الحاقة وبيان المقاصد والأهداف**	١١٤
المبحث الأول: تعريف عام بسورة الحاقة	١١٥
المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها	١١٦
المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه	١١٧
المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس	١١٨
المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة الكريمة	١١٩
المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها	١١٩
المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها	١٢١
المطلب الأول: جزاء من كذب بالساعة (١-١٢)	١٢٢
أولاً: التحليل اللغوي	١٢٢

ثانياً: التفسير الإجمالي	١٢٣
ثالثاً: وجوه البلاغة	١٢٤
رابعاً: استنباط بعض الهدايات من هذه الآيات	١٢٥
المقطع الثاني: هلاك فرعون وقوم لوط وقوم نوح	١٢٦
أولاً: التحليل اللغوي	١٢٦
ثانياً: التفسير الإجمالي	١٢٦
ثالثاً: أوجه البلاغة	١٢٧
رابعاً: استنباط بعض الهدايات	١٢٨
المطلب الثاني: يوم الحساب وما فيه من مواقف للأبرار والفجار	١٢٩
المقطع الأول: مشهد من مشاهد يوم الحساب وبعضاً من أحداثه	١٢٩
أولاً: التحليل اللغوي	١٢٩
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	١٢٩
ثالثاً: التفسير الإجمالي	١٢٩
المقطع الثاني: مشهد يظهر حال الناجين من الحساب وسبب نجاتهم	١٣١
أولاً: التحليل اللغوي	١٣١
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	١٣٢
ثالثاً: التفسير الإجمالي	١٣٢
المقطع الثالث: مشهد يظهر كيف يستلم الاشقياء كتبهم وما هو مصيرهم وسبب شقاوتهم	١٣٣
أولاً: التحليل اللغوي	١٣٣
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	١٣٣
ثالثاً: التفسير الإجمالي	١٣٤

رابعاً: استنباط بعض الهدايات	١٣٥
المطلب الثالث: تعظيم القرآن وصدق النبي ﷺ في تبليغه عن ربه	١٣٦
أولاً: التحليل اللغوي	١٣٦
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	١٣٦
ثالثاً: التفسير الإجمالي	١٣٧
رابعاً: أوجه البلاغة	١٣٨
خامساً: استنباط بعض الهدايات	١٣٩
الفصل الرابع **تعريف عام بسورة المعارج وبيان المقاصد والأهداف**	١٤١
المبحث الأول: تعريف عام بسورة المعارج	١٤٢
المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها	١٤٣
المطلب الثاني: زمان ومكان السورة والجو الذي نزلت فيه	١٤٣
المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس	١٤٤
المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة الكريمة	١٤٥
المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها	١٤٥
المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها	١٤٧
المطلب الأول: تهديد المشركين بالعذاب الواقع عليهم (١-١٨)	١٤٨
أولاً: التحليل اللغوي	١٤٨
ثانياً: أسباب النزول	١٤٩
ثالثاً: القراءات	١٤٩
رابعاً: التفسير الإجمالي	١٤٩
خامساً: أوجه البلاغة	١٥٢

سادساً: استنباط بعض الهدايات من هذا المقطع	١٥٣
المطلب الثاني: طبيعة الإنسان وعلاج القرآن لها (١٩-٣٥)	١٥٤
أولاً: التحليل اللغوي	١٥٤
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	١٥٥
ثالثاً: التفسير الإجمالي	١٥٥
رابعاً: أوجه البلاغة	١٥٧
خامساً: استنباط بعض الهدايات	١٥٧
المطلب الثالث: أحوال المكذبين ونهايتهم (٤٦-٤٤)	١٥٨
أولاً: التحليل اللغوي	١٥٨
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	١٥٩
ثالثاً: التفسير الإجمالي	١٦٠
رابعاً: أوجه البلاغة	١٦١
خامساً: بعض الإرشادات والهدايات من الآيات	١٦٢
الفصل الخامس **تعريف عام بسورة "نوح" وبيان المقاصد والأهداف**	١٦٣
المبحث الأول: تعريف عام بسورة نوح	١٦٤
المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها	١٦٥
المطلب الثاني: زمان ومكان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه	١٦٥
المطلب الثالث: فضائل السورة ومحورها الرئيس	١٦٦
المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي تناولتها السورة	١٦٧
المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها	١٦٧
المبحث الثاني: بيان مقاصد السورة وأهدافها	١٦٩

المطلب الأول: الدعوة إلى التوحيد رسالة الأنبياء جميعاً	١٧٠
أولاً: التحليل اللغوي	١٧٠
ثانياً: التفسير الإجمالي	١٧١
ثالثاً: استنباط بعض الهدايات	١٧٢
المطلب الثاني: منهج نوح عليه السلام في دعوة قومه وموقفهم منه	١٧٣
أولاً: التحليل اللغوي	١٧٤
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	١٧٤
ثالثاً: التفسير الإجمالي	١٧٤
رابعاً: وجوه البلاغة	١٧٥
خامساً: استنباط بعض الهدايات من الآيات	١٧٦
المطلب الثالث: ثمار الطاعة والاستغفار سعة الرزق، إكثار النسل ونعيم الجنة	١٧٧
أولاً: التحليل اللغوي	١٧٧
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	١٧٧
ثالثاً: التفسير الإجمالي	١٧٨
رابعاً: أوجه البلاغة	١٧٨
خامساً: استنباط بعض الهدايات من الآيات	١٧٩
المطلب الرابع: الدليل العقلي على نعم الله وقدرته على البعث بعد الموت	١٨١
أولاً: التحليل اللغوي	١٨١
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	١٨٢
ثالثاً: التفسير الإجمالي	١٨٢
رابعاً: أوجه البلاغة	١٨٢

خامساً: استنباط بعض المقاصد والأهداف	١٨٣
المطلب الخامس: مكر قوم نوح برسولهم	١٨٤
أولاً: التحليل اللغوي	١٨٤
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	١٨٥
ثالثاً: التفسير الإجمالي	١٨٥
رابعاً: أوجه البلاغة	١٨٦
خامساً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد من الآيات	١٨٦
المطلب السادس: دعوة نوح على قومه بالاستئصال والغرق	١٨٧
أولاً: التحليل اللغوي	١٨٨
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	١٨٨
ثالثاً: التفسير الإجمالي	١٨٨
رابعاً: أوجه البلاغة	١٨٩
خامساً: استنباط بعض الهدايات والمقاصد	١٨٩
المطلب السابع: الدعوة بالمغفرة للوالدين والمؤمنين والدعاء على الظالمين بالهلاك	١٩٠
أولاً: التحليل اللغوي	١٩٠
ثانياً: التفسير الإجمالي	١٩٠
ثالثاً: استنباط بعض الهدايات من الآية	١٩١
الخاتمة	١٩٢
النتائج	١٩٢
التوصيات	١٩٣

الفهارس	١٩٥
أولاً: فهرس الآيات القرآنية	١٩٦
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	٢٠٧
ثالثاً: فهرس الأعلام	٢١١
رابعاً: فهرس المصادر والمراجع	٢١٣
خامساً: فهرس الموضوعات	٢٢٧
ملخص الرسالة باللغة العربية	٢٣٩
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	٢٤٠

ملخص الرسالة

تناول الباحث دراسة ومقاصد وأهداف الحزب السابع والخمسين المشتمل على السور الكريمة **(الملك – القلم – الحاقة – المعارج – نوح)**.

وقد سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي الموضوعي الاستنباطي حيث قام باستنباط المقاصد والأهداف من السور موضوع الدراسة.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وخمس فصول وخاتمة، أما **المقدمة** فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته، وأما **الفصل التمهيدي** فقد اشتمل على مفهوم الدراسة التحليلية ومتطلباتها، ومفهوم المقاصد والأهداف وأهميتها.

أما **الفصل الأول** فقد اشتمل على تعريف عام لسورة الملك ومقاصد وأهداف السورة الكريمة، وأما أما **الفصل الثاني** فقد اشتمل على تعريف عام لسورة القلم، ومقاصد وأهداف السورة الكريمة.

أما **الفصل الثالث** فقد اشتمل على تعريف عام لسورة الحاقة، **و**مقاصد وأهداف السورة، وأما **الفصل الرابع** فقد اشتمل على تعريف عام لسورة المعارج، ومقاصد وأهداف السورة، وأما **الفصل الخامس** فقد اشتمل تعريف عام لسورة نوح، ومقاصد وأهداف السورة.

أما **الخاتمة** فقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

ABSTRACT

The researcher study the purposes and objectives of the party's seventh session containing the Souar (Almolk - Alkalam - Alhagah - Almaarej - Noah).

The researcher wire in this study, the analytical method of substantive deductive, where he devised the purposes and objectives of the souar the subject of the study.

This research in the introduction and preface, five chapters and a conclusion came, but provided included the importance of the subject and the reasons for his choice and previous studies, methodology, and his plan, and the introductory chapter has been included on the concept of analytical and requirements of the study, and the concept of objectives and targets and its importance.

The first chapter has been included in the definition of the Almolk and the purposes and objectives of the sura precious, and the second chapter has been included in the definition of Al-Qalam, and the purposes and objectives of the souar.

The third chapter included a general definition of the Alhagah, and the purposes and objectives of the sura, and the fourth chapter included a general definition of Surat Almaarej, and the purposes and objectives of the sura, and the fifth chapter included in the definition of Nuh, and the purposes and objectives of the sura.

The conclusion included the most important findings and recommendations.